

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد الخامس والسبعين

١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ — ٣٠ جادى الثانية سنة ١٣٤٨

المجمع المصري للثقافة العلمية

نخط هذه الكلمات وهزة الطرب تبعث في اليراعة رعشة الحياة ، وبسمة التفاؤل تفتح امام البصيرة كوة الخيال فتلط منها على مستقبل العلم في هذا القطر السعيد فتلفه زاهياً زاهراً يعيد الى الذهن عهد ازدهار العلمي والفني في الاسكندرية حاضرة البطالسة ، وعصر مدرسة الحكمة في بغداد عاصمة العباسيين ، ومطامع النهضة العلمية الاوربية في القرن التاسع عشر. ذلك ان عزيمة طائفة من علماء هذا القطر والمشتغلين بنشر العلم فيه قد صحت على تأليف مجمع علمي يدعى « المجمع المصري للثقافة العلمية » تتأخص اغراضه فيما يأتي نقلاً عن دستوره :

اولاً : نشر الثقافة العلمية باللغة العربية — ثانياً : ترقية اللغة العربية بكتابة المباحث العلمية بها ونشرها — ثالثاً : انشاء رابطة للمشتغلين بالعلم من ابناء اللغة العربية في كل الاقطار والطريقة التي ينوي ان يجري عليها لتحقيق اغراضه تشتمل على ما يأتي :

اولاً — عقد مؤتمر سنوي لالقاء الخطب العلمية وتلقيها ونشرها ثم طبعها كاملة في مجموعة توزع وتباع . ثانياً — القاء خطب علمية دورية . ثالثاً — عدم تعرضه للسياسة والدين وغني عن البيان ان العربية لغة المجمع والقاهرة عاصمة المملكة المصرية مركزه

فغرض المجمع كما تقدم رفع مستوى الادراك العلمي في البلاد العربية اللسان وخدمة اللغة العربية عن طريق نشر العلم بها بالخطب الدورية تلقى وتذاع وبالحض على اتخاذ طريقة البحث العلمي اساساً للتفكير وبيان الفوائد الجملة التي تنشأ عنها في ميادين الكشف العلمي والارتقاء الاجتماعي . فاللغة العربية غاية ووسيلة في آن واحد . ولكن المجمع يريد

حية مطواعة تؤاتي كتابها وقارئها. لذلك لن يحجم اعضاؤه عن احياء كلام العرب المهجور اذا كان هذا الاحياء وافياً بالغرض. ولا عن التعريب اذا كان التعريب لا مندوحة عنه ابقاء على الصلة بتيارات الفكر العلمي في الغرب. ولكمهم سيحفظون كل الاحتفاظ بجلتها العربية وبروحها التي تتميز بها عن سائر اللغات. وكون المجمع هيئة علمية لالغوية لا يحول دون اتصال اعضائه بالهيئات اللغوية المختلفة للاخذ بما تسنه من قواعد وتقترحه من الفاظ وقد ابعد منشئوه الموضوعات الأدبية وما اليها عن دائرة مباحثه ولم يختاروا للانضمام الى هيئة مجلسه الا العلماء والمشتغلين بالمباحث العلمية ونشرها لأن انطواء غرض المجمع على اغراض متنوعة يجعل تحقيقها كلها بعيد المنال. ولأن المذاهب الأدبية وما اليها تقوم على الذوق الخاص والزرعة الخاصة وهذا قديفسي الى عدم اجتماع الكلمة في دور التكوين. اما الآراء العلمية فتقوم في الغالب على حقائق تقاس وتحصى وتوزن ويستطاع اعادة قياسها واحصائها ووزنها حتي يتفق المختلفون عليها. ولا ريب في ان اجتماع الكلمة بين اعضاء مجمع وليد يرمي الى تحقيق غرض بعيد المنال لامندوحة عنه للنجاح

وفيما يلي اسماء الاعلام الذين تفضلوا فا زروه بانضمامهم الى مجلسه حتى كتابة هذه السطور

الدكتور علي بك ابراهيم — عميد كلية الطب المصرية ووكيل الجامعة المصرية — رئيس المجمع لسنة ١٩٣٠	الدكتور كامل منصور — مدرس الحيوان بالجامعة المصرية
الدكتور محمد شاhein باشا: وكيل الداخلية لشؤون الصحة	الدكتور محمد رضا مدور — الفلكي المقيم بمصر وحلوان
الدكتور فارس مر	الدكتور جورج صبحي — استاذ اللغة القبطية بالجامعة المصرية
الدكتور خليل عبد الخالق — استاذ الطفيليات بكلية الطب المصرية	الاستاذ اسماعيل مظهر — صاحب مجلة العصور
الدكتور علي مصطفى مشرفة — استاذ الرياضة التطبيقية بالجامعة المصرية	الدكتور علي حسن — الاستاذ المساعد للم وظائف الاعضاء بكلية الطب
حسن بك صادق — دكتور في الفلسفة ووكيل مصلحة المناجم والمحاجر	الاستاذ سلامه موسى — صاحب المجلة الجديدة ومحررها
الدكتور محمد شرف: الجراح بمستشفى الملك بالقاهرة	الدكتور شخاشري
الدكتور عبدالعزيز احمد: مدير مدرسة الهندسة سابقا	الدكتور احمد زكي ابو شادي — بكتريولوجي
ووكيل عام مصلحة الميكانيكا والكهرباء بوزارة الاشغال	معامل الصحة الفنية
	الاستاذ فؤاد صروف — محرر مجلة المقتطف —
	سكرتير عام دائم
	الاستاذ كامل كيلاني — سكرتير مساعد

ومما يفاخر به المقتطف ان كانت داره ندوة عقد فيها الذين فكروا في انشاء هذا المجمع اجتماعاتهم فكان تأسيسه فيها اعظم جزاء له على اربع وخمسين سنة قضاها في ميدان الثقافة العلمية يجاهد في سبيل نشرها وتمكين اصولها في العقول. وانه لمن اكبر بواعث غبطتنا ان لانحتم هذه السنة الا ونحن نرف الى العالم العربي هذا النبأ السار « المهر »



السرطان والاشعة الكونية

مذهب علمي جريء

في تحليل اصل السرطان وزيادة انتشاره

السرطان

﴿زيادة انتشاره﴾ لا يزال العلم يخط خط عشوائي في امر السرطان فانه مجهول سببه البعيد ولا يعرف دواء يشفي منه . ولكن الامر الذي لا شبهة فيه ان انتشار السرطان بين الناس آخذ في الازدياد وان الوفيات به تتكاثر تكاثراً مطرداً . فقد بلغ عدد الوفيات بانكلترا وويلس سنة ١٩٢٢ نحو ٤٩٠ ألفاً منهم نحو ٤٧ ألفاً ماتوا بالسرطان . ويقدر عدد قتلاه بأميركا سنوياً بنحو مائة ألف نسمة . ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية في انكلترا ان عدد الوفيات به سنة ١٨٩١ كان ٦٩٢ في المليون فصار ٨٤٤ سنة ١٩٠٢ و ١٢٢٩ سنة ١٩٢٢ فكانه زاد ضعفين في ٣٠ سنة وبعض هذه الزيادة نتج عن زيادة التدقيق في معرفة المرض الذي سبب الوفاة ومن ان متوسط عمر الانسان قد زاد فزاد عدد الذين يتعرضون له لانه من امراض الكهولة والشيخوخة . ولكن لا شبهة في ان زيادة الوفيات به ناجمة عن زيادة انتشاره . وقد قال لورد موينيهام الجراح الانكليزي الذائع الصيت ورئيس كلية الجراحين بلندن ان المصابين به الذين يطلبون المعالجة اكثر مما تتسع له الوسائل المعدة لذلك ﴿تكون نواحيه﴾ من الامور المعروفة عن السرطان كيفية تولده . فكل عضو من اعضاء الجسم مؤلف من دقائق صغيرة خاصة به تسمى خلايا . وبها يعمل كل عضو عمله الخاص به فالعدد اللعابية مؤلفة من دقائق او خلايا تفرز اللعاب . والقلب مؤلف من خلايا عضلية تنقبض وتمدد فتدفع الدم في الشرايين . والدقائق المؤلفة منها جسم الانسان متصل بعضها ببعض باللياف دقيقة هي خلايا مثلها ولكنها خلايا مستطيلة . ودقائق العضو الواحد تنمو معاً مواظبة على عملها كأنها افراد شعب جمهوري دقيق الانظام يعمل كل فرد منهم لخير المجموع . حتى اذا اصاب عضو آفة من الآفات وقتلت بعض دقائقه — كجرح — اهتمت الدقائق التي حولها ببناء او توليد دقائق اخرى بدلاً منها حول الجرح حتى يلتئم . ولكن نمو الدقائق مقيد في كل الاحوال فلا يتجاوز حداً محدوداً فينمو الانسان من طفولته الى ان يبلغ اشدّه وهذا النمو مقيد في مدته ومقداره ومداه . ولا تعلم ماهية هذا القيد الذي يقيد الخلايا ولكنه امر واقع لا شبهة فيه

ولكن بعض هذه الخلايا او الدقائق ينشز فيكسر القيود التي تقيدُهُ ويتخطاها ويجعل ينمو نمواً طليقاً فاذا وقع ذلك في الجلد نمت دقيقة من دقائقهِ حيث لا داعي لنموها وانقسمت الى اثنتين وكل واحدة منها تنمو وتنقسم الى اثنتين وارثة هذا الميل من امها فتصير الدقائق اربعاً . وكل واحدة تنمو وتنقسم وهلم جراً . ومتى حدث هذا النمو والانقسام احدى عشرة مرة صارت الدقيقة الواحدة اكثر من ألفي دقيقة ومتى كثرت احدثت وربما هو السرطان او طليعته . على ان هذا الورم اذا ظل محصوراً في مكانهِ فلا خطر منه ولا خوف اذ يسهل استئصاله بمبضع الجراح فاذا لم يستأصل فقد تتفصل منه بعض خلاياه وتجري في الدم الى اعضاء الجسم المختلفة حتى تصل الى عضو يعوق سيرها فتقف وتجعل تنمو فيه وتتكاثر فيكون فيه نمو سرطاني . وينمو السرطان رويداً رويداً الى ان يصيب عضواً من الأعضاء الحيوية فيمنعه عن القيام بأعماله فيموت المصاب به

﴿ الأَقْوَال فِي سَبَبِهَا ﴾ ما السبب الذي يحمل بعض الخلايا على كسر القيود التي تقيد بها في نموها فتكاثرت في النسجة جسم قد ادركه الهرم والشيخوخة الى ان تصبح نمواً سرطانياً ؟ هذا سر لم يكشف العلم عنه حتى الساعة وقد تضاربت فيه الأقوال والآراء . فمن العلماء فريق يذهب الى ان بعض العادات الغذائية تسببه وفريق آخر يقول بأنه التهييج المتوالي في نسيج من الأنسجة ويلقي اللوم على الامساك في احدثائه سرطان المعدة بهييج النسجة المعدة تهيجاً متوالياً . وآخرون يقولون ان الصراخ من شأنه لأن دوداً يعيش فيها يلتقل منها الى بعض الأطعمة فيؤكل معها فيتصل ببعض الأنسجة ويحدث فيها تهيجاً مستمراً ينشأ عنه السرطان . وانقسم الباحثون الى فريقين فريق يقول ان المرض ميكروبي وأن هناك ميكروبات خاصة تحدثه مع أنها على صغرها لا ترى بالمكروسكوب وتمر في ادق المرشحات مسام على أنها لا تحدثه الا اذا وجد معها عامل آخر . اما ما هو هذا العامل فلا يعرف الآن . والفريق الآخر يقول بأن السرطان مرض غير ميكروبي وان خلايا الجسم في دور تكونها تتأثر بانسحاب هرمون من الدم له عليها القوة والسيطرة فتتفك من قيودها وتنمو كما تقدم . ويقولون انه لو كان ميكروبياً لاصاب جميع الناس على اختلاف اعمارهم صغارا أو كباراً ولتابع دستور كوخ الخاص بالعدوى الميكروبية ولكنه في الواقع لا يصيب عادة الا المتقدمين في السن

﴿ طَرِيقُ عِلاَجِهِ ﴾ اما الوسائل المتبعة في معالجته فاثنتان (الأولى) بمبضع الجراح وهو يفيد اذا كشف عن الورم السرطاني في بدائه . فقد اثبت احد الجراحين انه شفى نصف الحوادث التي عالج السرطان فيها بنزعه . ولكن النمو السرطاني في بدائه لا يؤلم فيعذر الانتباه

له قبل استفحال امره وخصوصاً اذا كان في احد الأجزاء الداخلية. ومتى بلغ هذه الدرجة يكون قد انفصل عنه خلايا رجّح انها تحدث نواحي سرطانية في اعضاء وانسجة اخرى في الجسم . فاذا استوصل النمو الأصلي فكيف نكشف عن النواحي الأخرى التي في دور التكوّن؟ والطريقة (الناية) هي استعمال اشعاع الراديوم وأشعة اكس في اتلاف الخلايا السرطانية من غير اتلاف الخلايا الحية الطبيعية في النسيج الذي يحيط بالنمو السرطاني . والقارىء لا شك يعرف ان الاشعاع مظهر من مظاهر الانحلال في جواهر المادة اذ يتحول عنصر الى آخر في صفاته الطبيعية والكيمائية فيتحول الراديوم الى رصاص مثلاً . وفي اثناء هذا الانحلال والتحول يطلق العنصر اشعة . وهذه الاشعة قد تكون ذرات مادية دقيقة تنطلق من الجسم المشع كاشعة ألفا وبيتا المنطلقة من عنصر الراديوم . وقد تكون حركة موجية في الاثير كاشعة غمّا التي تنطلق من الراديوم كذلك . اما اشعة الفا فلا فائدة منها للجراح . وأما اشعة بيتا فقد تفيد في بعض الاحوال . اما اشعة « غمّا » فهي معتمد الأطباء في العلاج فيستعملها الجراح بادخال ابرة معدنية في النمو السرطاني وداخل الابرة يضع احد مركبات الراديوم . وتكون جوانبها كثيفة تمنع خروج اشعة الفا وبيتا منها ولكنها لا تمنع خروج اشعة غمّا فتصل بخلايا النمو السرطاني حولها . اما كيف تفعل هذه الاشعة بالخلايا السرطانية فالرأي الراجح انها تطلق الكهارب من بعض الجواهر في الخلايا السرطانية فتتحل وتلف ولكنها لا تفعل ذلك بالخلايا الطبيعية لأنها في رأي بعض العلماء اثبت بناءً من الخلايا السرطانية غير الطبيعية

الاشعة الكونية

يعلم قراء المقتطف ما هي الاشعة الكونية فقد بسطناها لهم في مقالات سابقة واتينا على طريقة الكشف عنها وما يقوله فيها اهم الكاشفين عنها روبرت ميليكن الاميريكي . والى القارىء خلاصة موجزة مما يرتبط منها بهذا البحث (١)

مهما يكون النور ساطعاً وسواء كان نور الشمس او نور مصباح فان ورقة رقيقة تحجبها ومنذ عهد غير بعيد (١٨٩٥) كشف عن النور المسمى باشعة اكس او اشعة رنتجن وثبت انه اقوى نفوذاً من نور الشمس وانه ينفذ مواد كثيرة لا ينفذها نور الشمس فنستطيع ان نرى به عظام الانسان لانه ينفذ اللحم ولا ينفذ العظام . والرصاص من اشهر المواد التي لا تنفذها هذه الاشعة بسهولة فان لوحاً منه نحته سنتمتر ونصف سنتمتر يحجبها . وعليه نرى المشتغلين بالراديوم واشعة اكس يلبسون في ايديهم كفوفاً من الرصاص ويضعون على

(١) راجع مقتطف فبراير ١٩٢٦ ص ١٦٣ ومقتطف مارس ١٩٢٧ ص ٣١١ ومقتطف مارس

١٩٢٨ صفحة ٣١٦ ومقتطف يوليو ١٩٢٨ صفحة ٢

اجسادهم اغطية من الرصاص ويضعون الراديوم في انابيب كثيفة مبطنة بالرصاص لان الاشعة اكس ولبعض الاشعة التي تنطلق من الراديوم فعلاً قوياً يمت الخلايا اذا اشده فعله وقد مات اكثر من عالم واحد متأثراً بفعل الراديوم واشعته

وقد ثبت حديثاً لجمهور من الباحثين انه تصل الى الارض من الفضاء اشعة اشد نفوذاً من اشعة اكس لانها تنفذ في لوح من الرصاص سمكه نحو ١٧ قدماً اي انها تفوق اشعة اكس نحو ٤٠٠ ضعف في قوة نفوذها . واشترك في الكشف عن هذه الاشعة الاستاذ غوكل وهس السويسريان والاستاذ كوهلر ستر الالماني والاستاذ ملكن الاميركي ومساعدوه . الا انها نسبت الى الاخير وتعرف باسمه كما تعرف اشعة اكس باسم رنتجن لانه اثبت وجودها وقاس قوة نفوذها قياساً علمياً وابان ان مصدرها من الفضاء خارج جو الارض بل خارج المجرة وانها رسل تبي بان عمل التكوين جار الآن في السدم التي تصدر منها وهذا التكوين انما هو تكوين العناصر من موادها الاساسية . فعل ذلك بسلسلة من التجارب العلمية البديعة تحسب مثلاً ينسج على منواله في البحث العلمي

السرطان والاشعة الكونية

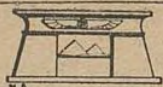
يذهب الاستاذ ملكن الى ان قوة الاشعة الكونية التي تصل الى الارض تبلغ عشر القوة التي تصلها من النجوم نوراً وحرارة . وهذه القوة الضئيلة لا ينتظر ان يكون لها اثر ما في الكائنات الحية على سطح الارض . ولكن لنفرض ان هذه القوة زادت اضعافاً وصار لها اثر فعال في تكاثر الخلايا الحية ونموها . فالمرجح ان حادثاً من هذا القبيل يزيل كل النواحي السرطانية من الاحياء التي تصاب بها . لانتا لا نعلم سبباً يمنع هذه الاشعة الشديدة الاختراق للاجسام المنتشرة في كل انحاء الفضاء من ان تفعل فعل اشعة غمما او اشعة اكس التي يستعملها الجراح في العلاج الموضعي . لابل يرجح العلماء ان اشعة اضعف من اشعة غمما او اكس تفعل فعل هذه في اتلاف الخلايا السرطانية الناشئة اذا استمر فعلها . فيصبح السرطان حينئذ اثرأ بعد عين ولا تقع على ذكره الا في مدونات الامس الغابر

ولنفرض كذلك ان الاشعة الكونية التي تصل الارض كانت في العصور الغابرة اقوى جداً منها اليوم فينتج عن ذلك ان فعلها يجعل خلايا الجسم تنمو نمواً طبيعياً وتكاثر تكاثراً طبيعياً فلا تنتشر واحدة منها ولا تكسر قيود نموها كما يحدث في النواحي الحبيثة . فالمرجح اذا ان السرطان لم يكن معروفاً حينئذ

ولكن لما كنا قد فرضنا ان قوة الاشعة الكونية الواصلة الى الارض في العصور الغابرة اعظم منها الآن ، وجب علينا ان نفرض كذلك حادثاً كونياً قد حدث فاعفها . فاذا نتج عن ذلك في نشوء الاحياء ا وهل كان هذا التغير يؤثر في انقسام الخلايا ونموها ؟

من المبادئ العلمية المقررة ان الكائن الحي يتجه دائماً الى التحول تحولاً تقتضيه بيئته. فاذا تغيرت احوال البيئة — كما يحدث في الطبيعة — وجب على الكائن الحي ان يتحول طبقاً لتحولها او ينقرض. ومذهب النشوء العضوي انما هو قائم على هذا المبدأ الخطير. لذلك اذا كانت الاشعة التي كان لها هذا الاثر الكبير في نمو الخلايا وتكاثرها قد اخذت في الضعف فلا مندوحة عن ان يظهر اثر ذلك في مظاهر النمو « الحُلوي ». ولقد ثبت ان لاشعة اكس وهي شبيهة بعض الشبه باشعة غاما اثرها في احداث تغيير في الكائن الحي بما لها من الفعل في مادة الوراثة فيه كما ثبت للاستاذ مولر في معالجة سلاسل متعاقبة من ذباب « الدروسوفيليا » باشعة اكس فحدث فيها تغيير في صفاتها الوراثية من قبيل التحول الفجائي فلا يبعد عن العقل الذهاب الى ان ضعف هذه الاشعة الكونية الواصلة الينا اذ قيسَت بما كانت عليه قبلاً كان السبب في ظهور السرطان وازدياد انتشاره لان الزمن لم يتسع بعد للاجسام الحية حتى تتحول طبقاً لمقتضيات الاحوال الجديدة

فاذا صح هذا المذهب في تعليل اصل السرطان وسببه تمكنا من ان نعلل به زيادة انتشاره المروع في العصر الحديث ونجاح العلاج باشعة غاما لان الجراحين يحاولون ان يعيدوا بها الى الجسم حالته الطبيعية بتعريض النمو السرطاني للاشعة القوية التي كان الجسم كله معرضاً لها في العصور الغابرة ندلي بهذا الرأي ونحن نعلم انه على امكان رجحانه ليس له سند علمي يستند اليه. اتانا لا نستطيع ان نتثبت الان من حدوث هذا التغير في ضعف الاشعة الكونية الواصلة الينا. ولكن في نظامنا الشمسي وسيره في الفضاء ما قد يعاين حدوث تغيير من هذا القبيل فلقد اثبت ملكن ومساعدوه ان الاشعة الكونية لا تأتينا من كل انحاء الفضاء على السواء. بل هي في نواحي السدم العظيمة اقوى منها في نواحي الفضاء الأخرى. لان في هذه السدم تنفصل كهارب الجواهر عن بروتوناتها بفعل الحرارة العظيمة ثم تعود الى التكون في بعض الطبقات فينشأ عن انحلالها وتحولها تولد هذه الاشعة القوية التي تحترق الاجسام وفي الوقت نفسه يحدثنا علماء الفلك ان نظامنا الشمسي سائر سيراً سريعاً الى ناحية معينة في الفضاء في جوار الكوكب المعروف بالشتايك. افلا يجوز ان يكون نظامنا الشمسي في سيره قد اخترق منطقة من المناطق التي تكثر فيها الاشعة الكونية واتا آخذون الان في الخروج منها وهذا يعلل ضعف هذه الاشعة وبضعفها يعلل نشوء السرطان وازدياده. اذا كان ذلك فأمامنا امد مديد يكثر فيه السرطان رغم وسائلنا الطبية العاجزة ازاء الاشعة الكونية. وقد يكون من حظنا ان نحترق منطقة اخرى واسعة النطاق فيها الاشعة الكونية قوية تجوهر الاجسام وتمنع عنها النواحي السرطانية. اي هذين الطريقتين امامنا؟ من يدري!



الحضارة القديمة في العالم الجديد

« مصر » القارة الاميركية

كتابتها — علمها — مبانيها — نفوسها — تاريخها

لقد اطلق الكتاب على بلاد المايا في غواتيمالا باميركا المتوسطة وما يجاورها من البلدان كيوكانان وجنوب المكسيك وسلفادور وشمال هنداروس لقب « مصر » القارة الاميركية لما عثر عليه العلماء من وجوه الشبه بين عمارة المايا وكتابتهم وعمارة المصريين وكتابتهم. وازداد هذا اللقب تمكناً وتأييداً لما ثبت للباحثين ان حضارة المايا هي اقدم الحضارات الاميركية الراقية ومصدر الثقافة التي امتدت عناصرها الى البلدان المجاورة ولان انصافها اعلام تقاس بها مراحل الحضارات الاميركية القديمة وتؤرخ كسجلات المصريين القدماء ومدافعهم واذا نظرنا الى الاحوال التي نشأت فيها امة « المايا » وجدنا ان منشأتها العمرانية تضاهي ارقى المنشآت العمرانية في ارقى الامم القديمة . فاقليم البلاد التي نشأت فيها حار يضعف القوى ويخمد النشاط وهو في الوقت نفسه يؤاين الزرع مما جعل الزراعة هناك نزاعاً دائماً بين الانسان والطبيعة في غاباتها وحراجها الغضة التي كانت لحصص الارض وجودة الاقليم تسطو على المناطق التي يزرعها الانسان وتكسوها . ومع ذلك نشأ في تلك البلاد وفي ذلك الاقليم حضارة راقية من ارقى الحضارات القديمة مع انها لم تتصل — على ما نعلم — بالعالم القديم

وشعب المايا هو الشعب الوحيد الذي استنبط في اميركا طريقة للكتابة واستعملها في تدوين مدوناته وهذه الطريقة الكتابية الهيروغليفية تحسب اعظم ما في اميركا العقلية في العصور الغابرة . اما العلماء فلم يفوزوا حتى الان بكل هذه الرموز الهيروغليفية ولكنهم عثروا فيما حلوه منها على اركان التاريخ « المايا » واصول تقويمهم وعلومهم الفلكية والرياضية . وقد تكون الباقي منها منظوياً على وصف الحوادث العظيمة التي حدثت لهم اما الرموز نفسها فرسوم للاشياء او للافكار فيها ظل من الاثر الصوتي ولكن ليس لها المجدية اما تاريخ هذه الكتابة ومنشئها فتغلغل في القدم تحيط به سحب الرية والخرافة . ولم



السلم الهيروغليفي في كوبان
رسم خيالي لهذا السلم الذي عثر الباحثون على انقاضه

يوحنا الآن على أثر يحتوي على اسم المستنبت
أو تاريخ الاستنباط أو غير ذلك من دقائق
النسب. ومع أن أقدم المدونات المؤرخة
رجع تاريخها إلى سنة ٩٦ قبل المسيح نجد في
أثار الاتقان البادية في الاشارات الهيروغليفية
دليلاً مقنعاً على أنها ليست بنت ساعتها وأن

فروناً انقضت عايتها
لما بلغت هذه
المرجة في الاتقان .
وما في هذه الاشارات
من الخطوط المنحنية
بل على أنها كانت
رسم على سطح مستو
سواء قبل استنباط
في النحت في الحجر
الذي مكّن أصحابها
عندئذ من نقشها في
الحجر الصلب لحفظها
مناوبة لانياب الدهر
وعلاوة على هذه
الكتابات المنقوشة



خريطة البلاد التي نشأت فيها حضارة
« المايا » وازدهرت

العام ببلدة تيكال رغم حزن الوطنيين وبكائهم.
على أن الوطنيين في حزنهم وبكائهم على فقد
هذه الكنوز العقلية الثمينة لا يبلغون شأواً
العلماء في هذا العصر الذي لا يرون بين أيديهم
الآن ثلاثة من هذه الكتب يحاولون أن
يستخرجوا منها أصول حضارة المايا وما أثرها
والكتب الثلاثة التي

لم تعث بها أيدي الاسبان .
محفوظة الآن في خزائن
أوروبا وهي في الغالب
تدور على جداول فلكية
ورياضية وبعض التهاويل
السحرية . والظاهر أن
انحصار هذه المعارف في
طبقة كهنة « المايا » كان
الباعث على اتلاف الكتب
التي دونت فيها لأن الكهنة
الاسبان كانوا ينظرون
إلى كهنة المايا نظراً إلى
الشياطين فحملوا القواد على
القتل بهم واتلاف كتبهم

معارفهم الفلكية والرياضية

وقبلاً نلّم بتاريخ « المايا » لنظر نظرة
عجلى في معارفهم الفلكية والرياضية لأن الباحثين
مجمعون على أن عملهم في هذه الناحية من نواحي
الثقافة لا يفوقه عمل أية أمة أخرى في إقليم
كافيلهم وبيتة كيتيم . فهو كاستنباطهم للكتابة
الهيروغليفية أعظم الما في العقلية في أميركا القديمة

في الصخور كان لشعب « المايا » كتب مكتوبة
بالطريقة الهيروغليفية . وقد تلف منها معظم
الكتب التي كانت تحتوي على كل علوم المايا
وحكمهم اتلفها الاسبان حين افتتحوا البلاد
وحكوها . فقد كتب مطران لندا يقول :
والند جمعت أربعة آلاف من هذه الكتب
والنساوير الشريرة وحرقتها كلها في الميدان

﴿التقويم﴾ كل تقويم يجب ان يبنى على قياس دقيق لطول السنة. وهذا القياس عمل صعب ان لم يكن متعذراً في امة لا تملك ادوات فلكية دقيقة . فالسنة على ما نعلم يتعذر تقسيمها الى عدد كامل من الايام والشهور لانها مؤلفة من ٣٦٥٢٤٢٢ يوماً أو ١٢ شهراً قرياً و٣٧ في المائة من الشهر كل منها مؤلف من ٢٩ يوماً و٥٣ في المائة من اليوم . وهذه الكسور في الايام والشهور كانت ولا تزال العقبة الكادا في سبيل واضعي التقاويم على اختلافها . فالسنة حسب التقويم اليولياني الذي كان مستعملاً في جنوب اوربا الى سنة ١٥٣٢ وفي شمال اوربا الى سنة ١٧٠٠ وفي روسيا الى بعيد الحرب كانت اطول من السنة الحقيقية ١٢ دقيقة فكانت النتيجة انه لما عزمت روسيا ان تجري على التقويم الجريجوري كان الخطأ في اليولياني قد بلغ نحو اسبوعين . على ان امة « المايا » تمكنت من غير ادوات الرصد ان تضع تقويمان من نحو الف سنة لا يبلغ الخطأ فيه اكثر من يوم في ٢١٤٨ سنة . اما التقويم الذي يجري عليه اليوم فلا يفوق تقويم المايا كثيراً . فالخطأ فيه يبلغ يوماً واحداً في ٣٣٢٣ سنة . كذلك تمكن علماء المايا ان يضعوا تقويمان قرياً لا يزيد فيه الخطأ عن يوم واحد في ٣٠٠ سنة

﴿علم الهيئة﴾ وعلاوة على ذلك تمكن رصد « المايا » من ان يعرفوا مدى دوران الزهرة والمرجح انهم قرروا مدى دوران المريخ ويحتمل انهم عرفوا مدى دورة المشتري وزحل وعطارد . وبنوا على دورة الزهرة تقويمان كانوا يستعملونه في ضبط التقويم الشمسي والتقويم القمري . فقد كانوا يعرفون مثلاً ان ثمانين سنة شمسية تعادل تقريباً خمس سنوات من سني الزهرة وان ٦٥ سنة من سني الزهرة تعادل مائة سنة واربعة سنوات من سني الشمس . وكانوا يستعملون التقاويم الثلاثة لتقدير ازمة طويلة وقد وجد ما يدل على انهم تنبأوا بحدوث حوادث فلكية تمتد الى اكثر من ٣٤ الف سنة . وكانوا يتنبأون بالكسوف

﴿الصفير﴾ اما الجداول الرياضية التي وضعوها فكان يلزم لها قبل وضعها استنباط فكرة « الصفير » وهذا الاستنباط من مفاخر حضارة « المايا » . فالصفير امر تعودناه في الجداول الحسابية الا ان حتى اصبحنا نراه غير ذي خطر فنقول عنه انه رمز للعدم . ولكن لولا هذا الرمز لتعذر القيام بالعمليات الحسابية قياماً سريعاً ولما تمهدت الطريقة للحساب العشري ولظلت العلوم الرياضية تجر ذيلها على الارض . فالصفير هو الذي يمكننا من ترتيب الارقام حتى يكون لكل رقم منها قيمة خاصة بحسب الرتبة التي يكون فيها . ومع ذلك لم يستنبط الصفير الا في القرن السادس او السابع بعد المسيح استنبطه الهنود ونقله العرب الى اوربا فانتشر في بلدانها . على ان امة المايا استنبطته على حدة قبلما استنبطه الهنود بالف سنة

الدوار تاريخهم

اما وقد الممنا بشيء من ما في المايا العقلية فلنتجه الآن الى تاريخهم . واول ما يجب ذكره في هذا الصدد ان الاثريين الاميركيين لا يعترفون بوجود علاقة ما بين شعب المايا وشعوب العالم القديم . فالفرق الكبيرة في الجنس واللغة واركان الثقافة تفوق وجوه الشبه السطحي في قيمتها . فالمايا كانوا لغة ودماً من هنود اميركا وحضارتهم اميركية خالصة **جاهليتهم** . اما اصل المايا فموضوع لا نطيل الوقوف عليه لانه لا يهمننا الآن سواء هجروا الى اميركا الوسطى من الشمال او من الجنوب او من الغرب او نشأوا ونموا في البلاد التي ازدهرت فيها حضارتهم . والمرجح ان سيرهم على طريق العمران بدأ الوفاً من السنين قبل المسيح حين تمكنوا هم او على ما يرجح حين تمكن سكان مرتفعات المكسيك المجاورة لهم من تدجين نوع من العشب المكسيكي البري فاستنبطوا منه الذرة . فلما تعلم الناس اصول الزراعة استقرت حياتهم ورفهت معيشتهم واتسعت امامهم ساعات الراحة وال فراغ وزاد عدد السكان فتمكنوا من العناية باعمال الحضارة واتقانها . وبعدما استنبطوا الذرة تمكنوا من ان يضيفوا الى حاصلاتهم الزراعية الفاصوليا والكوسى والفلفل والقطن والتبغ والككاو والانا ناس ثم دجنوا النحل وبعد ذلك استنبطوا صناعة الخزف ومعرفة العلماء بتاريخ المايا من نشأته الى فاتحة العصر المسيحي مبنية على الظن اكثر من بناءها على التحقيق العلمي الراسخ . ولكن الحضارة العالية التي ازدهرت في القرون التي تلت ولادة المسيح تقتضي نشوءاً بطيئاً سابقاً لها مستغرقاً قروناً كثيرة ففي هذه المدة السابقة لازدهار الحضارة استنبطت الرموز الهيروغليفية ووضعت اصول الفنون المختلفة ورصدت الاجرام السماوية ارساداً بنيت عليها فيما بعد التقاويم المختلفة **الامبراطورية القديمة** . ويصح ان يقال ان تاريخ المايا يبدأ سنة ١٧٦ بعد المسيح وهو التاريخ المدون لأول كلام خرافي . اما عهد الامبراطورية القديمة فاستمر الى سنة ٦٠٠ بعد المسيح وتاريخه مبني في الاكثر على التواريخ المنقوشة في الانصاب الحجرية . وهو مقسم الى ثلاثة اقسام الاول يمتد الى سنة ٣٥٧ ب . م . والمتوسط الى سنة ٤٥٥ ب . م . والثالث وهو عصر الازدهار او العصر الذهبي الى سنة ٦٠٠ ب . م . وفي هذه الحقبة بنى ابناء هذا الشعب النشيط عشرات من المدن العظيمة ومئات من القرى الصغيرة وأقدم المدن العظيمة التي شادوها مدينة تيكال في غواتيمالا حيث شاد « المايا » اعلى بناء شيد في اميركا الوسطى في العصور الغابرة فبلغ علوه مع هرمه ١٧٥ قدماً . اما مدينة

كويان في شمال هندوراس فكانت على ما يرجح اعظم المدن في عهد الإمبراطورية القديمة . فالسلم الهيروغليفي العظيم (انظر الصورة) كان قبلما دمره زلزال شديد اتاب تلك البلاد من اعظم اعمال البناء التي قام بها سكان اميركا الاصليون . فقد كان مؤلفاً من تسعين درجة عرض كل منها ١٢٥ قدماً وعمقها ٢٥ قدماً وكانت وجوه هذه الدرجات كلها وما اقيم على جانبها من الانصاب مغطاة بالنقوش الهيروغليفية يتألف منها كتابة فيها ٢٥٠٠ رمز والمرجح ان هذا السلم بني سنة ٥٠٠ ق . م . والعمارة في سائر مدن المايا على نمط العمارة في كويان . فكانت اكثر المباني مجمعة حول مركز المدينة ومرتفعة على تلال من التراب كأنّ كلاً منها الأكروبوليس في اثينا . على ان المباني بوجه عام ضخمة ساذجة وخالية من اي اثر عظيم للفن . والمرجح ان دوافع التعبير الفني في نفوس المايا ظهرت آثارها فيما نقشوه من الانصاب والمذابح والتماثيل لتزيين مبانيهم بها

اما المدينة التي تمثل حضارة العصر المتوسط من الامبراطورية القديمة فهي مدينة بالانك وهي اطلال مشهورة الآن في جنوب المكسيك . في هذه المنطقة لم يجد حفرة الصناع حجراً موافقاً للنقش والحفر فاستعملوا نوعاً من المصيص الحيري الكثير في تلك المنطقة . وفي القوالب التي اخرجوها بلغوا غايات بعيدة من الدقة والجمال . فالنقوش البارزة في بالانك التي افترغت على هذه الطريقة هي من اروع الآثار الفنية التي خلفوها

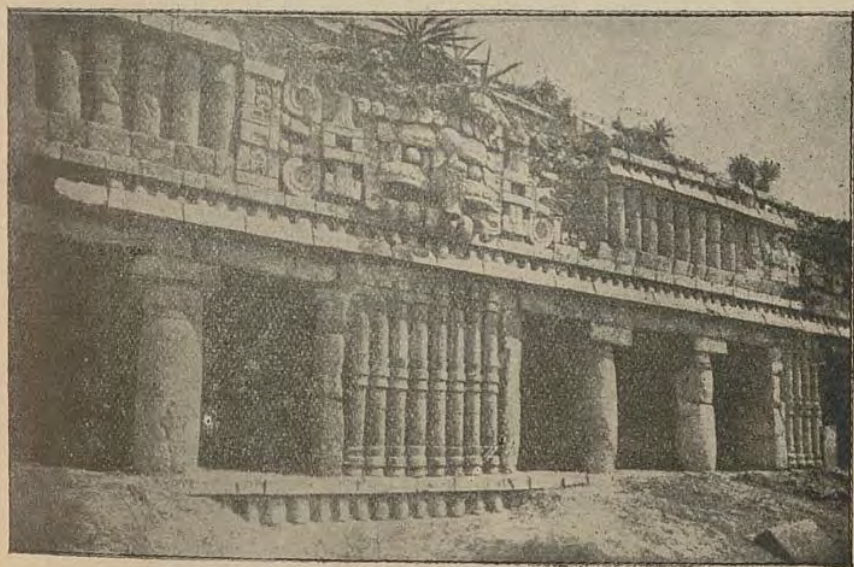
وبلغ المايا ذروة حضارتهم حوالي سنة ٥٢٠ ق . م . وفاقوا بذلك اعلى ما بلغت حضارة التوتونيين في اوربا في ذلك العصر . وقد عثر الاثريون حتى الآن على اطلال سبع عشرة مدينة في الاكام المنتشرة في شمال غواتيمالا والبلاد التي تجاورها . وما لاريب فيه ان العلوم والفنون كانت مزدهرة ومستوى معيشة السكان عالياً . واعظم مدينة نشأت حينئذ كانت مدينة كيريجوى بغواتيمالا . ففي اطلالها عثر على اكبر آثار المايا الفنية وابدعها . والانصاب التي وجدت فيها ممتازة بحجمها وبراعة جمالها ويسندل منها ان نصباً منها كان يقام كل خمس سنوات والقصد منه ان يكون جزءاً من تقويم عام خالد على الدهور

الامبراطورية الجديدة * * * * * ولسبب ما لم يكشف عنه الباحثون اخذت مدن غواتيمالا تقفر من اهلها حوالي سنة ٦٠٠ ب . م . ويسند بعض العلماء ذلك الى تفشي الحمى الصفراء ويقول آخرون ان حرباً أهلية طاحنة نشبت بين طوائف السكان فبادوا فيها ويقول غيرهم ان تغييراً فجائياً في الاقليم والتربة جعل البلاد جدياً لا تكفي لاجراج القوات الكافي وعلى كل لم يعثر الباحثون على آثار مدينة من مدنها ظلت مأهولة بعد مطلع القرن السابع المسيحي . وتاريخ القرون الثلاثة التالية محجّب بحجّب الجهل والراجع ان شعب المايا



تمثال من المصيص افيو على مذبح
في بلدة بالانك بيوكاتان

رأس حجري منقوش في جوار هيكل
بيوكاتان يكاد يكون ناطقا على قدمه



الدور العلوي لقصر في سايل بيوكاتان
وعمارته مثل حسن على عمارة شعب المايا في دور الامبراطورية
مقطف ديسمبر ١٩٢٩ امام صفحة ٤٩٧

كان في فترة تحول وانتقال . ولكن لما انتصف القرن العاشر المسيحي كانت آثار حضارتهم قد انتقلت شمالاً الى يوكاتان فجددوها هناك وظلت زاهرة الى اواسط القرن الخامس عشر . فنشأت في يوكاتان مدن جديدة اروع جمالا وابدع فنا وبناء من مدن غواتيمالا وهندوراس . ومما امتازت به حضارة « الامبراطورية الجديدة » فن العمارة مع ان ميزة « الامبراطورية القديمة » كان فن النقش

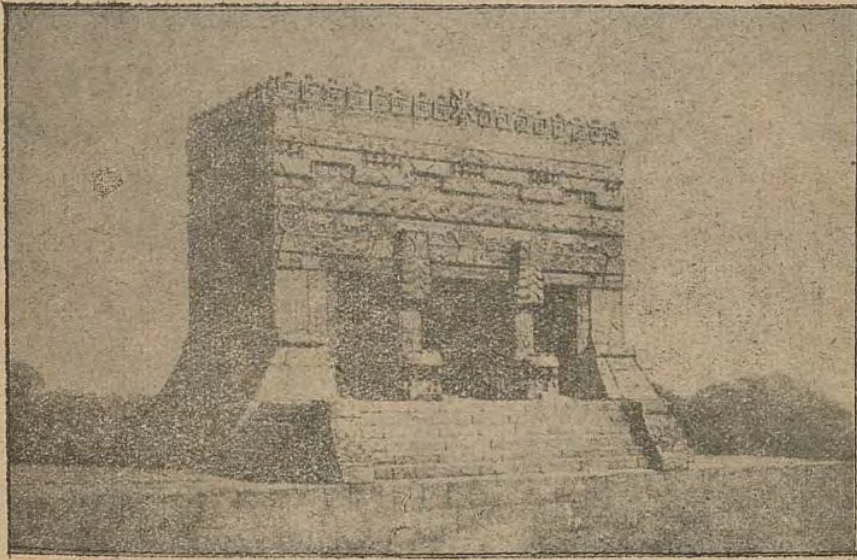
وأشهر المدن الفخمة التي نشأت مايايان وأوكسكال وتشيتشن ايتزا . نشأت المدينتان الأوليان في القرن العاشر ب.م ولكن الثالثة اقدم منهما والمرجح ان الناس نزلوا فيها اولا في القرن السادس فهي اقدم مدن اميركا الآن . وكانت هذه المدن الثلاث في مطلع القرن الحادي عشر مراكز ثلاث قبائل كبيرة كل منهما يحكم عليها طبقة من الاشراف فاتفق هؤلاء على التحالف فيما بينهم وتأليف حكومة عامة تدير شؤون المدن الثلاث فظلت هذه الحكومة المشتركة قرنين متوالين فبسط الا من رواقه في عهدها وعم الرخاء وازدهرت الفنون وبنيت الهياكل والاهرامات وغيرها من المباني العظيمة . هذا العصر في تاريخ المايا (١٠٠٠ — ١٢٠٠ ب.م) معروف بالعصر الذهبي الجديد . اما الآن فانك لا تقع حيث كانت مدينة مايايان الا على آكام مهجورة وأطلال خربة . وأما اطلال تشيتشن ايتزا وأوكسكال فترتفع بما فيها الحجرية فوق اشجار الأدغال التي سطت عليها . واليهما انجبه العلماء والسياح اولا . فهي احدى الآثار الأميركية بالزيارة والدرس

﴿ الحرب الاهلية ﴾ وسبب هذا الخراب ان عقارب الغيرة دبّت في صدور الاشراف الحاكمين في هذه المدن الثلاث حوالي سنة ١١٩٠ بعدما قضوا نحو قرنين يؤيدون الحكومة العامة التي مهدت السبيل للعصر الذهبي الجديد فشبت بينهم حرب اهلية طاحنة . والظاهر ان الحرب شبت اولا بين مدينتي مايايان وتشيتشن ايتزا فعمد اشراف مايايان الى عمل غير وجه حضارة المايا . ذلك انهم استجدوا بقبائل التولتك في وادي المكسيك الى الشمال الغربي منهم . وهذه القبائل كانت على جانب عظيم من الحضارة والراجح ان انبساط نفوذ التولتك في شمال يوكاتان هو الذي اثار غيرة المايا في الجنوب فكانت السبب الحقيقي في نشوب الحرب الاهلية . ولكن مهما يكن الامر فان مثل تشيتشن ايتزا في الحكومة العامة دس ضد زميله ممثل مايايان فنشبت الحرب الاهلية واستعان اشراف مايايان بمجنود التولتك على اشراف تشيتشن ايتزا وفتحوها عنوة . وكانت هذه الحرب فاتحة لسيطرة دولة التولتك في يوكاتان التي دامت الى اواسط القرن الخامس عشر

على ان مدينة اكسكال بقيت ملتزمة جانب الحياض مترفعة عن خوض معامع النزاع بين



المدينتين ولم تأخذ بفنون التولتك واسلوب عمارتهم كما فعات مايايان الا في بناء ساحة للرقص. واما مدينة تشيتشن ايتزا فشيدت فيها المباني الفخمة على الاسلوب التولتي والاسلوب المتأثر به ولم يلبث القامعون بدولة التولتك ان اصبحوا متعجرفين مستبدين بالريعية فاندفع الوطنيون في اواسط القرن الخامس عشر الى رفع علم الثورة عليهم بزعماء مدينة اكسبال فذبحوا كل ابناء الاسرة الحاكمة في مايايان ودمروا المدينة فلم يبق منها اليوم الا كوم من الحجارة ماثلة على قمم الآكام . وكان سقوط مايايان هاية حضارة المايا . والظاهر ان البلاد مزقتها بعدئذ حرب اهلية طاحنة فهجرت مدينتا اكسبال وتشيتشن ايتزا ولم تبن مدن اخرى تقوم مقامهما . وفشا الجوع والمرض وجاءت على اثر ذلك طليعة الفاتحين الاسبان اما اليوم فهنود المايا يقطنون شبه جزيرة يوكاتان وجانباً من غواتيمالا ويقدر عددهم بثلاثمائة الف . وهم جنس راق من هنود اميركا اقوياء الاجسام اذ كياء العقول في نفوسهم شعلة الاستقلال وفي عزائمهم الاجتهاد وحب العمل وفي عاداتهم النظافة من الايمان . واكثرهم لا يتكلم الا لسان المايا على ان اصحاب المزارع منها يتكلمون اللغة الاسبانية كذلك . وقد كان انقراض الاشراف والكهنة وحرقت كتبهم مؤذناً بضياع معالم حكمهم وعلمهم وصناعتهم ونسيان آثارها فلم يبق الا اطلال نخمة في الادغال تحدث بعظمتهم الماضية وعزهم الغابر



صورة زعيم «هيكال النخورة» في مدينة تشيتشن ايتزا



امامة تاريخية ساذجة

بعضر ابي بكر الصديق

للركتور اصمدر فريبر رفاعي

— ٢ —

الردة بوتقة الاسلام

لعلك تطالبني الآن بالتحدث اليك في الردة من حيث كونها بوتقة صهر بها الاسلام وخرج منها قوياً مذاعاً ، ونال من بعدها نجاحاً مؤزراً . وانت تعلم ان الردة في جملتها امتناع فريق من العرب كير عن اداء فريضة الزكاة باعتبارها نوعاً من الاتاوة وفاتهم انها نوع من المعونة والرحمة والعطف من غنيهم لفقيرهم ومن قويهم لضعيفهم . وتعلم ان تيار الردة كان قوياً وجباراً في قوته حتى كاد يكتسح الاسلام اكتساحاً لولا انه دين الله ولولا ان نهدي للمرتدين مثل ابي بكر فرماهم بشجعان العرب وفرسان الهزاهز وابطال المواقع امثال خالد بن الوليد ووجهته قتال طليحة بن خويلد الاسدي ومالك بن نويرة وعكرمة بن ابي جهل وقد وجه به الى مسيلمة الكذاب باليمامة ، وشرحيل بن حسنة ووجهته مسيلمة وقضاة ، والمهاجر بن ابي أمية لمعاونة الانباء على قتال الاسود الغنسي بصنماء ، وحذيفة بن محصن وقد بعث به الى عمان ، وعرفجة بن هرمة الى أهل مهرة ، وسويد بن مقرن ووجهته الى تهامة ، والعلاء بن الحضرمي وبعثته الى اليمن ، وطريفة ابن حاجز ومهمته بني سليم ، وعمر بن العاص لقيادة الجند الى قضاة ، وخالد بن سعيد وقد وجهته الى الشام

تعلم هذا وتعلم من الطبري وغير الطبري النصوص التي كتبها ابو بكر لامير كل بعث وجماعة المرتدين في كل قطر وقد هالك طبعاً ان نيران الفتنة قد التهمت في كل صقع من بلاد العرب ، وهالك طبعاً انه الى جانب هذا الارتداد الجزئي ارتداد اوسع نطاقاً وابلغ خطراً ... هو ادعاء النبوة عند الكثيرين ممن يصح ان يتحدث في أمرهم معك تفككة ودعابة بئد انني الآن اود ان اتحدث اليك في شيء جزئي هو الآخر ولكن له معناه وله فلسفته وله درسه وله تهذيبه ذلك الشيء هو انفاذ ابي بكر الصديق لحيش

أسامة بن زيد، واعتقد أنك ستوافقني بعد وقوفنا على ذلك الشيء الجزئي معاً وسنؤمن معاً بضرورة نجاح أصحاب هذه الدعوة الإسلامية لما لهم من مميزات خلقية من عزيمة حذاء، وهمة شماء، وإرادة ومضاء

أبو بكر وأسامة به زبير

أجل سأحدثك عن أسامة وبطولة أسامة وهو لم يزل بعد في طراوة إهابه وعنفوان شبابه، وهو جدر بعجابك وتقديرك لأنك معجب بنا بليون وبطولة نابليون وهو لم يزل بعد كاسامة في طراوة إهابه وعنفوان شبابه... ولكنني أعلم حيك للنصوص التاريخية لأن رسميات ذلك العصر وما هو شبيه بالرسميات في ذلك العصر مما يقع من قلبك الكبير موقع التقدير والاحلال..... ولست في حاجة إلى أن أذكرك أن نية رسول الله نفسه كانت منصرفة إلى أن يبعث بأسامة وجيش أسامة لتأديب بعض العصاة والخارجين. ولست في حاجة لأن أقول لك أن المنية قد عاجلت الرسول دون انفاذ هذه البعثة وأن ارتداد المسلمين والذهول الذي استولى على المؤمنين بوفاة نبي المسلمين لم يحولا بعد عما ستحدثك به النصوص والرسميات، والمصادر الشبيهة بالرسميات....

يحدثنا الطبري عن مشيخته عن عاصم بن عدي أنه قد نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتم بعث أسامة ألا ييقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج... ويحدثنا بأن أبا بكر قد خطب هذا الجند بما ستجده في أخبار السنة الحادية عشرة..... ثم يحدثنا الطبري بأن الحسن بن أبي الحسن البصري قد قال ما نصه: «ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وأمر عليهم أسامة بن زيد، فلم يجاوز بهم آخر الخندق حتى قبض رسول الله صلعم، فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنه يأذن لي أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وثقل رسول الله، وانتقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون...! وقالت الانصار فإن أبي إلا أن نمضي فأبلغه عنا وأطلب إليه أن يولي امرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة...! فخرج عمر بأمر أسامة، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة. فقال أبو بكر: لو خطقتي الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن الانصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون إليك أن تولى أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة، فوثب أبو بكر وكان جالساً، فأخذ بلحية عمر فقال له تملكك

أملك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلعم وتأمرني أن انزعه !
 خرج عمر الى الناس فقالوا ما صنعت فقال : امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت في سبيلكم من
 خليفة رسول الله . . . ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم واشخصهم وشيعهم وهو ماش ، وأسامة
 راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة يا خليفة رسول الله
 والله لتركن أو لا تزلن ، فقال والله لا تنزل والله لا أركب ، وما علي أن أغبر قدسي
 في سبيل الله ساعة ! إن للغازي في كل خطوة يخطوها سبعة حسنة تكتب له
 وسبعة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعة خطيئة حتى اذا انتهى قال ان
 رأيت ان تعينني بعمر فافعل ، فأذن له ثم قال : يا أيها الناس قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها
 عني ، لا تحونوا ، ولا تغلوا ، ولا تندروا ، ولا تملوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً
 كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا
 شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للمأكلة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في
 الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها
 ألوان الطعام فاذا اكتم شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد
 خصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خففا : اندفعوا
 باسم الله اهـ »

وإنك بلا ريب ستوجه نظري يا صاح الى قوة ارادة ابي بكر المثلة في قوله « لو
 خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله » ، وستشير اليّ بما في تصميم
 ابي بكر على إمرة أسامة من احترام ارادة الرسول ، وستذكرني بأدبه في مشيته ، وإيمانه
 في خطوته ، وأدبه مع قادته ستوجه نظري الى ذلك كله مما يجب عليّ ان
 اذكره واتدبره . واما انا فأرى في عني بعد ان فهمت ما ترحي اليه من تبيان رسوخ ابي بكر
 واستصغارم للخطب وتقديره للكفايات واحترامه لحقوق الامير وهو الخليفة دونه في
 استئذانه في النزول له عن احد جنوده ورجاله كعمر بن الخطاب — أمّا انا فأرى من قلبي
 ان اوجه نظرك — سيما في ايماننا هذه وجيلنا الراهن وحروبنا الحاضرة الى ما تضمنته
 وصيته لجنده من ضروب الانسانية وآداب المقاتلة اليس كذلك ؟

ولكنك تريد ان تحدثني عن الردة وما فيها من حروب ووقائع انتهت بتوطيد
 الاسلام ، وتطهير الاسلام ، في تلك البوتقة الحامية الضرام واما انا فأريد من ناحيتي
 ان احدثك عن الوجه الثاني من الردة . . . وجه البطولة الكاذب في التبي الكاذب

الديماء السكزبة

افهم جيداً أن المجال لا يسمح بالتحدث عنهم جميعاً من مسليمة بن حبيب وعبلة بن كعب المعروف بالأسود العنسي وطلحة بن خويلد الأسدي وسجّاح بنت الحارث بن سويد التيمية وغير هؤلاء من مرتقة الرسالة وصناع النبوة افهم هذا ولكنني افهم ان وجه ثبات الايمان ، ووجه اعجاز القرآن ، ووجه نجاح رسالة نبي عدنان ، إنما كان في ظهور هؤلاء وإنما كان في زيف هؤلاء وفشل هؤلاء

ولعلك تذكر خلاصة ما قرأته في شبابك في المظان التاريخية العربية عن رغبة هؤلاء وزبد هؤلاء وانها كانت الى زوال وعفاء ، وانها ذهبت جفاء وكتب لها الفناء ولعلك تذكر من قرآن سجّاح قولها: «أعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم اغيروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب »

ثم لعلك تذكر من قرآن مسليمة : « والمنذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجنأ ، والحازبات خبزاً ، والثارذات ثرداً ، واللاقات لقماً ، اهالة وسمنأ لقد فضأتم على اهل الوبر ، وما سبقتم اهل المدر ، ريفكم فأمنعوه والمعثر فأووه ، والباغي فناوئوه ثم قوله : الفيل ما الفيل وما الفيل ، وما ادراك ما الفيل ، له ذنب وبيل ، وخرطوم طويل ثم لعلك قرأت في حيوان الجاحظ عند كلامه في الضفدع قوله : ولا أدري ما هيح مسليمة على ذكرها ولم ساء رأيها فيها حتى جعل بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه : يا ضفدع بنت ضفدعين ، ينقي ما تنقين ، نصفك في الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين »

ثم لعلك الى جانب هذا كله تذكر قول مسليمة لسجّاح : « وهل آكل قومي وقومك العرب ؟ قالت نعم . . . فتزوجها واقامت معه اياماً ثلاثة ثم أفلت راجعة الى قومها . . . لا من رسالتها ولا من جهادها ولا من بلائها بل من زواجها ان كان الزواج جهاداً ومن بنائها ان كان البناء بلاءً فسأل قومها نيتهم ذات المعجزات والايات عن وحيها الجديد ، وأمرها الجديد ، فقالت : إني وجدته على الحق فاتبعته وزوجني ! فما ثارت لهم ثائرة ، ولا نفرت بهم نافرة ، ولا تولتهم الخزية الخافرة ، وإنما الذي هالهم وافزعهم والذي اسهدهم وابكتهم انها تزوجت من غير صداق ، فردوها اليه لانه قيسح بمن كان في مكاتها من النبوة ومرتبها من الرسالة ان تزوج بلا صداق سألتها الصداق فدعا مؤذنها شبت ابن ربمي الرياحي فأمره ان يؤذن في الناس » إنه حط عن الناس صلاتين مما آتى به محمد : صلاة العشاء الاخرة وصلاة الفجر ! »

ثم لعلك تذكر الى جانب هذا ، اجتثاث اصول هؤلاء . ولكنك لا تزال تذكر معي في حسرة وأسى ما نجمع عن امثال هذه العبقريّة المموهة العرجاء ، والبطولة الزائقة اللكماء ، وهذه الاضلولة الخاطئة العشواء من بدع بالغات ، واحاديث هي في نظرك ونظرنا من الكاذبات ولعلك ان كنت لا تزال تذكر قولنا لك في تيارات المبالغات والمناقصات ، ان تذكر هنا امثال تلك الاحاديث الشرهة المترعة بها كتب الادب والسير امثال ما لصقوه به من الاقوال عن الفواكه وما الى الفواكه من الحلوى وغيرها وان تقارنها بما كان يكرهه صحابة هذا العصر من الالتجاء الى الاحاديث ورواية الاحاديث إلا في أمر حازب وموقف حاسم وعظّة بالغة ثم تقارنها بما كان عليه القوم من تقشف في كل شيء من ملبس وماكل ومشرب . . . ولكن النبوة التي من «الماس الكاذب» لها بريقها وسراها ، وحتلها وسخفها ، ولكن المسلم الذي من «الماس الكاذب» ليس له من اسلامه إلا الاسم واللقب ، والاصل والحسب ، أمّا العمل والايمان ، وإلما الاخلاص والعرفان . . . فهذه هو منها براء ، وهذه هو بعيد عنها بعد الارض عن السماء

ولكنك مع هذا كله مازلت تريدني وانافي مقام الردة ، وتجديد الاسلام بعد حروب الردة ، واكتساح الايمان الصحيح للنبوة الكاذبة ، تريدني ان اثبت لك بعد ما قرأت من قرآن عصر الردة كلمة الجاحظ التاريخية الخالدة في هذا الباب

قول الجاحظ

قال الجاحظ : « بعث الله محمداً صلعم أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً ، وأحكم ما كانت لغةً ، وأشد ما كانت عدّة ، فدعا أقصاها وأدناها الى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة ، فلما قطع العذر ، وأزال الشبهة ، وصار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية ، دون الجهل والحيرة ، حمّاهم على حظهم بالسيف ، فنصب لهم الحرب ، ونصبوا له ، وقتل من عاينهم واعلامهم وبني اعمامهم ، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباحاً ومساءً الى ان يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة ، أو بايات يسيرة ، فكلما ازداد تجديداً لهم وتقرباً لمجزم عنها ، تكشف من نقصهم ما كان مستوراً ، وظهر منه ما كان خفياً ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة ، قالوا له أنت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف ، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ، قال فها توها مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكفئه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه عارض وقابل وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم

واستجابة لغتهم ، وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاء منهم ، وعارض شعراء اصحابه وخطباء أمته ، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله ، وأفسد لأمره وأبلغ في تكذيبه ، وأسرع في تفريق اتباعه ، من بذل النفوس ، والخروج من الأوطان ، وإنفاق الأموال ، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش ، والعرب في الرأي والعقل بطبقات ، ولهم القصيد العجيب ، والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة ، والقصار الموجزة ، ولهم الاسجاع ، والمزدوج ، واللفظ المنتور ، ثم تحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدنائهم . فبحال ! أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر ، والخطأ المكشوف البين ، مع التقريع بالنقص ، والتوقيف على العجز ، وهم أشد الخلق أنفة ، وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد عملهم ، وقد احتاجوا إليه ، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض ، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة ؟ وكما أنه محال أن يطيقوا ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة ، فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ، ويجدون السبيل إليه ، وهم يذلون أكثر منه . . . اه . »

على رسلك يا صاح فقد حدثتنا عن الردة وأنبياء عصر الردة ، وحدثتنا عن علاقة ابي بكر في الردة ، وكان من المنتظر ان تحدثنا قبل ذلك بحدث السقيفة لأن السقيفة كانت مبدأ حياة ابي بكر . ولكنني اجيبك في غير تعقيب على كلامك او اخام لحجتك اونقض لأقوالك ان المؤرخين قد جروا مجراك بيداني احب لك المنطق اكثر من جزيك على ارسان العادة وأحكام العادة ، ولعلك لا تزال تذكر من مراجعاتك في كل التاريخ ان شيئاً كثيراً من نبوة الأدياء قد افرخت جرثومتها والنبي صلعم لا يزال على قيد الحياة ، وان ارتداد العرب الذي تم انفجاره بعد وفاته مباشرة لا بد وان يكون لقي نفوساً معدة له ، وتربة موالية لحسكه وقتاده . وأنت تدرس الفكرة في تطورها وأنت تحفل بهذا النوع من الدراسة لاسيما وقد لاحظت ان ابا بكر اصر على امرة أسامة بن زيد في حروبه ضد المشركين وان أسامة بن زيد ما نصبه في القيادة الا رسول الله ، وقد لاحظت ان نبوة الأسود العنسي كانت في عهد رسول الله . وإذن فقد رأيت ان المنطق لا العادة يقضي بهذا النظام الذي اخذناك به في غير صلف ولا إدعاء وقد نكون على ضلال في تمسينا مع فكرة وجدت فولدت فتمت ثم دوت اكثر من تمسينا مع المواقع والأيام والساعات والاحظات . وقد يكون سوانا على حق والعصمة والكمال لله وحده



مركز الثقل الجديد في العمران

انتقاله من الحرية الى المال

خلاصة خطبة للدكتور بطر رئيس جامعة كولومبيا

الموضوع الذي اريد ان اتناوله بالبحث في هذا الخطاب حافل بالمسائل التي تثير اختلافاً حاداً في الرأي حتى يصعب كثيراً على الباحث ان يهرب عن وجهة خاصة منها من غير ان يتصدى له من يناقضة فيها . ولكن الحقيقة الاساسية التي اود توجيه الانظار اليها هي ان مركز الثقل في شؤون العمران آخذ في الانتقال من نقطة حل فيها اربعة قرون متواليه من مطلع القرن الخامس عشر الى نقطة قد يحل فيها في القرون الاربعة القادمة واذا توخينا الصراحة في وصف هذا التحول قلنا ان هذا المركز آخذ في الانتقال من السياسة الى الاقتصاد ومن الاعتبارات التي كانت تعنى بشكل الحكومات وتأييد الحرية الفردية والحفاظة عليها الى اعتبارات غرضها الاول انتاج الثروة وتوزيعها وانفاقها . ولا اريد ان ارمي الى ان الاعتبارات الثانية كانت ناقصة في القرون الاربعة الغابرة ولا ان الاعتبارات الاولى ستعدم من يعنى بها في الاربعة المقبلة . انما اريد ان اقول ان المكانة العليا التي كانت للسياسة قد انتزعها منها الاقتصاد . اما النتائج والمقدمات التي قد تسفر عن هذا التحول فلا يتعذر تبينها وتعليلها ولو تعليلاً ناقصاً

انا مستعد ان اعيد هنا ما سبق وصرحت به في لندن سنة ١٩٢٧ لما اعربت عن رأيي باننا لا نجد اليوم في امم الارض شاعراً عظيماً ولا فيلسوفاً عظيماً ولا زعيماً دينياً عظيماً . ان قوى الناس العقلية وضروب اهتمامهم قد انتقلت من ميدان الى ميدان . مات غوته سنة ١٨٣٢ وفكتور هوغو سنة ١٨٨٥ وبروتنغ ١٨٨٩ وتنسن ١٨٩٢ . اي شاعر من شعراء العصر يصح ان يوضع في مرتبتهم ؟ قضى هيجل آخر حامل للواء افلاطون وارسطو وليس وتوما الاكوييني ودكارت وكانت سنة ١٨٣١ . اين نقع على خلفه اليوم ؟ سطا الردي على شليارماخر الذي وضع في طبقة واحدة مع اوريفن وكلفن سنة ١٨٣٤ وذهبت روح لا كوردير الى ربها سنة ١٨٦١ — لا كوردير الذي كان شاتوبريان وهوغو

وموت الامبر يصغون اليه بدهشة واعجاب وحلّ في الاكاديمية خلفاً لده توكفيل — واتقل
الكردينال نيومن الى رحمة ربه سنة ١٨٩٠ وتوفي جوزف كارد اكثر فلاسفة الدين تعمقاً
سنة ١٨٩٨ فن حلّ محلمهم ؟ قد نستطيع ان نقيم الحجة على ان الفيلسوف بنديتو كروتشي
الذي ولد سنة ١٨٦٦ والشاعر ريدر كبلنغ الذي ولد سنة ١٨٦٥ يرتدون اردية الفلاسفة
والشعراء الناهيين . ولكن اليس صوت هذين صوتاً داوياً في برية مقفرة !

اذا طوينا بالخيال تاريخ القرون الى مطلع العهد الحديث في عمران البشر وجدنا النشاط العقلي
والكفاءة العقلية والقلق العقلي في العصور الوسطى تمهد الطريق للحوادث الفكرية والسياسية
التي سيطرت على العالم مدى اربعة قرون وكونت التاريخ ووجهته في الوجهة التي اتخذها.
والركن الاساسي الذي قامت عليه هذه الحوادث كان الاعتراف بقيمة الفرد بعلمه وايمانه وحرية في
الاعراب عن رأيه والقيام بالعمل الذي يستهويه وقضاء حياته كما يشاء وتكوين فكره
والاعراب عما يرى وجملة نفسه مركزاً لعالمه الخاص — فكانت النتيجة التي اسفرت
عنها هذه الآراء والميول انفجار القوى الشخصية وظهور الشخصيات الكبيرة في كل ميادين
الفكر. وهكذا تمّ للعمران ظهور الآيات الخالدة في الشعر والآداب والتصوير والبناء والنقش
والنحت والفلسفة والتفكير السياسي . ولو اردنا التوسع في هذا البحث لاعوزنا الوقت
والمدى ولكن الخلاصة يجب ان تكون معروفة لدى كل الرجال المثقفين والنساء المثقات

اما المنشآت السياسية فتأخرت عن التحول الذي تقتضيه الآراء الجديدة والمثل الجديدة.
لذلك قطع الشعر والادب والفن والفلسفة والفلسفة الدينية شوطاً بعيداً على طريق التجدد
قبلاً ازيلت التماثل عن الحرية الشخصية في ميادين الاجتماع والحياة العامة . تلك التماثل
التي فرضتها طبقات الحكام في عهود الاستبداد. على ان اصواتاً حارة كانت ترتفع في دياجير
الظلمة من حين الى آخر تنطق بالشعر آناً وبالنثر آناً آخر فتضرب على الوتر الحقيقي في عود
الارتقاء السياسي. بين هذا الاصوات الصارخة كان صوت ملتن الشاعر الانكليزي اعلاها
واقواها . وكان قولتر الرجل الذي نقل هذه الرسالة الى فرنسا في كتابه « رسائل عن
الانكليز ». على ان الغرض لم يتحقق الا عن طريق الثورة وكل ثورة كانت تستمد وحيها
وارشادها من الآداب. فخطا الانكليز الخطوات الاولى في هذا السبيل وما عملوه كان منطبقاً كل
الانطباق على تعاليم ملتن وادلته . وفي القرن التالي شبت ثورتا الولايات المتحدة الاميركية
وفرنسا وتلاهما استقلال الشعوب اللاتينية في جنوب اميركا واخيراً وقع الانقلاب الثوري في اوربا
سنة ١٨٤٨ فاسفر عن نتاج لا يستطيع الناظر العجول ان يدرك مدى خطورتها

فلما تمّ للانسان الحديث انشاء الانظمة السياسية التي تتفق مع رأيه في الحرية المدنية والحفاظ علىها عمد الى السكون والاستقرار بعد القلق والاضطراب مكتفياً بما تمّ له . ولعله تغاضى او عزب عن باله ان الانظمة مهما ابدع في تكوينها لا تحافظ بنفسها على نفسها وان الطبيعة البشرية تظل هي هيه بقيودها وانانيتها وتخاذها وتقلبها سواء كان صاحبها مستعبداً في ظل حاكم مستبد او حرّاً في جمهورية ديمقراطية او تابعاً لأمير من امراء الاقطاع . فالواضح ان الواجب على الانسان كان يقضي باصلاح هذه الانظمة السياسية ومحاولة سموّها الى مرتبة الكمال واعاداد نفسه لها بالتثقيف والتهديب

ولكن في اواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر اتسع نطاق المعرفة بالقوى الطبيعية وتعددت وسائل السيطرة عليها فتحوّلت اساليب المعيشة وطرق العمل وانقلبت طرائق التفكير الظاهر والباطن . واذا بحثنا عن تاريخ لمطلع العهد الذي اخذت فيه الاعتبارات الاقتصادية تسيطر على شؤون العمران فسنة ١٧٧٦ هي ذلك التاريخ . في تلك السنة نشر ادم سميث كتابه في الاقتصاد المعنون « ثروة الامم » وتخلّى ترجوعه عن خدمة ملك فرنسا لويس الخامس عشر بعد ما كتب كتابه العظيم الذي موضوعه « تأملات في انتاج الثروات وتوزيعها » . اتنا لا نجد تحميلاً للحياة الاقتصادية بعد ارسطو اكمل من التحليل الذي نفع عليه في هذين الكتابين

قد يكون من قبيل الاتفاق حدوث الثورة الصناعية في الزمن الذي كتبت فيه هذه الكتب العظيمة وقد لا يكون . بل قد يكون الباعث عليها عاملاً اعظم وابعد غوراً من الاتفاق . فالكيمياء كانت قد بُعِثت من كراها والفلسفة الطبيعية صارت تعنى بأعوص المسائل الطبيعية وتطبيقها . واصبحت اسماء اركريت وكرومتن مستنبطي آلة الغزل ووط مستنبط الآلة البخارية وستيفنسن مستنبط القاطرة اسماء يحسب حسابها . وحالت الآلات محل الصناعة اليدوية واخرجت منتجات المعامل منتجات الصناعة اليتية من الميدان . واخذ تيار البشرية يتدفق الى المدن . وبدأ نظر الالوف والوف الالوف من بني البشر يتغير تغيراً بعيد الغور كما تغيرت البيئة التي يعيشون فيها والاعمال التي يتعاطونها . وكانت المواصلات بطيئة في ارتقائها فتأخرت عن اللحاق بالنظام العمراني الجديد . على ان الآلة البخارية اتقنت واستنبط بعدها التيار الكهربائي ومن هذين المصدرين تدفقت وسائل المواصلات العصرية التي طوقت الارض تطويقاً لم يجزؤ على تصوّره خيال شاعر . ومتى ادركنا ان الهواء اصبح طريقاً سلطانية او كاد وان البحار على سعتها لا تحول دون انتقال الصوت البشري من بلاد الى بلاد عرفنا اتنا نميش في عالم جديد سواء ادركنا مقتضياته ام لم ندرها

ولنا كل يوم برهان جديد على ان العناية بالشؤون الاقتصادية اخذت تحل مباشرة وبواسطة محل عناية البشر القديمة بالشؤون السياسية والعقلية . لا ريب في ان السياسة مرتبطة كل الارتباط بالاقتصاد ولكن الامر الواضح لكل ذي عينين ان العنصر الاقتصادي في عصرنا هذا لا العنصر السياسي هو المسيطر على شؤون الحياة والفكر في كل انحاء الارض فكانت النتيجة الخطيرة التي اسفر عنها هذا الانقلاب ان حل « المال وجمع المال » في عقول الناس وافكارهم محل « الحرية وتأيد الحرية وحفظ الحرية ». وهذا الانتقال يعلل اكمل تعليل انحطاط المذاهب السياسية الحرة والاحزاب التي تدن بها في اوربا واميركا . « انك تضجرني حين تتحدث عن الحرية ». هذه عبارة لاحد خريجي جامعة اكسفورد سابقاً ومن اعضاء البرلمان الانكليزي الآن وما كان كاذباً لانه اعرب عما يجول في صدر جيله من المعاني . ان مركز الثقل في نظر هذا الرجل والوف الالوف من ابناء جيله قد انتقل من سياسة المبدل الى سياسة المنفعة ومن العناية بمشكلات الحرية الى العناية بمشكلات الثروة

[ثم تناول الرئيس الموضوعات الناشئة عن هذا الانتقال وأثرها في السلم والعمران مما لا يتسع له هذا المقام كسألة تفسير التاريخ الاقتصادي وآثر الضرائب العالية على الواردات وتحقيق حلم « ممالك اوربا المتحدة » وعلاقة ذلك بالامبراطورية البريطانية] ثم ختم خطبته بقوله : من الواضح ان كل هذه المشكلات والاعتبارات الخطيرة نشأت عن انتقال مركز الثقل المتقدم الذكر وصحبته . فلو ان الناس في هذا العصر يعنون في مقدمة ما يعنون به بشكل الانظمة السياسية والحكومات النيابية وتأيد الحرية المدنية — لو انهم يهتمون في مقدمة ما يهتمون به بالشعر والفلسفة والحياة الروحية لكان اعظم الأحياء وأكبر الزعماء المعاصرين هم الشعراء والفلاسفة والزعماء الروحيون والمعلمون . اما انهم ليسوا كذلك فدليل على روح العصر

وانا اعتقد اعتقاداً راسخاً ان لا تناقض على الإطلاق بين مركزي النقل المذكورين . ويجب ان لا نسمح لاحدى هاتين القوتين ولا للآخرتين مجتمعتين ان تسيطر على حياة الشعوب سيطرة تلحق الروح القومية التي تنظر نظراً ضيقاً مبدئياً على الخوف والحسد . يجب ان لا ننسى بمجهود ما للدفاع عن الحرية من جهة ونتاج الثروة من جهة اخرى وتوزيعها توزيعاً عادلاً . وان نجعل هذا الانتاج والتوزيع سبيلاً لبناء الحياة الادبية في الافراد والامم وتقريب الشعوب بعضها من بعض وربطها برباط من الصداقة والتفاهم والتعاون لتحقيق الاغراض العليا



الرازي وعيده الالفى^(١)

للدكتور يوسف فرج حريز

لوريا كلية الطب بباريس

سيدي : اصحاب الدولة : ايها السادة

عرفته لأول مرة اذ ورد اسمهُ في بيتٍ لليازجي الكبير في مجمع البحرين وهو قوله
باسان الخزامي ينصل من تبعة مريض كانت عاقبته وخيمة قال :

ما أنا بالرازي ولا البخاري - وليس لي في الطب من اسفار

ثم لم تكن غير دوراتٍ قلائل من دورات الفلك حتى كنت في باريس عام ١٩١٦
اذيل احاديث علمية وادبية في جريدة المستقبل بتوقيع الرازي فكأنني كنت عاملاً على احيائه
منذ ذلك العهد فاذا قت اليوم بدعوة الى الاحتفال بعيدة الالفى فانما هو نتيجة طبيعية لتلك
المقدمات ، واذا كللت هذه الصداقة وقد أصبحت الماسية العيد عشر مرات فانما هو اكليل
قد ضفرته اياديكم على العلم والطب والتاريخ والادب

اسيادي : لا تهب نسمة في هذا الوجود ولا يحدث حدث مهما عُدَّ تافهاً إلا وللعاقل فيه
عبرة ويرى من خلال فصوله امثلة تعود عليه بالفائدة في مستقبل الحوادث ، فما قولكم بحياة
حافلة بجلائل الاعمال ملأى من غرر الافعال مشحونة بمؤلفات هي الجواهر الغوالي كحياة
الرازي ابي بكر طبيب العرب غير مدافع حكيم عصره على الاطلاق ، نطاسي الشرق في عهده
وفان الغرب بعده طيلة قرون ، صاحب المؤلفات المؤلفة والكتب الخالدة

كان الرجل قد ناهز الاربعين من سنه عند ما قدم بغداد بعد ان زاول الصيرفة واولع
بالموسيقى والشعر ، وانما بالرغم مما احترق وزاول وامتهن فان جذوة حب المعرفة ما زالت تتأجج في
صدره ، ولما وقع طائر بصره على المستشفى في بغداد داخلته روعة شديدة واصبح لا ينفك
عن السؤال والاستفسار . قال ابن ابي اصيدعة في كتابه عيون الانباء في كلامٍ عن الرازي
لعلم ابي بكر : ان سبب تعلم ابي بكر محمد بن زكريا الرازي صناعة الطب : انه عند دخوله
مدينة السلام بغداد ، دخل الى البيارستان العضدي يشاهده فاتفق له ان ظفر برجل
شيخ صيدلاني البيارستان فسأله عن الادوية ومن كان المظهر لها في البدء ؟ فلجابه بان قال :

(١) من خطبة علمية تاريخية ادبية تليت في المجمع العلمي العربي بدمشق في اكتوبر الماضي

ان اول ما عرف منها كان حي العالم وكان سببه افولن سليلة اسقليوس وذلك ان افولن كان به ورم حار في ذراعيه مؤلم الماء شديداً فلما اشفى منه ارتاحت نفسه الى الخروج الى شاطيء نهر فأمر غلمانه فحملوه الى شاطيء نهر كان عليه هذا النبات وانه وضعها عليه تبرداً به فنفّ المله بذلك فاستطال وضع يده عليه واصبح من غدر ففعل مثل ذلك فبراً — فلما رأى الناس سرعة برئه وعلموا انه انما كان بهذا الدواء سموه حياة العالم وتداولته الالسن وخففته فسمي حي العالم فلما سمع ذلك اعجب به . ودخل تارة اخرى الى هذا اليبارستان فرأى صبيّاً مولوداً بوجهين ورأس واحد فسأل الاطباء عن سبب ذلك فاخبر به فاعجبه ما سمع ولم يزل يسأل عن شيء فشيء ويقال له وهو يعلق بقلبه حتى تصدى لتعلم الصناعة وكان منه جالينوس، العرب هذه حكاية ابي سعيد»

ياسادة : اعرف اجداداً وأباء وامهات لا يدركون ما عليهم من الواجب نحو احفادهم وابنائهم عند ما يطلب منهم هؤلاء افهامهم ما اشكل عليهم بل يدفنون اسئلة هؤلاء الصغار في صدورهم غير محيين عنها ولا مكترئين لها تاركين امر هذه الشروح للمدارس فيما بعد فيشب الولد لا تربطه بذويه صلة روحية ذهنية ولم يدفعوا عنه عادي الجهل وقد اخمدوا في صدره جذوة المعرفة لم تكن والحمد لله هذه حالة الرازي مع الصيدلاني ولا حالة الشريف الرضي مع تلميذه مهيار . واذا كنت اسجل له هذه السجية فان المؤرخين اجمعوا على امر يجعل للرازي صفة جديدة كبيرة هي صفة النظر البعيد والمذهب السديد الدال على معرفته العريقة بمركبات المواد الآلية وتعرضها للانحلال : قال ابن ابي اصيبعة : وقال بعضهم ان الرازي كان في جملة من اجمع على بناء هذا اليبارستان العضدي وان عضد الدولة استشاره في الموضع الذي يجب ان يبنى فيه اليبارستان وان الرازي امر بعض الغلمان ان يعلق في ناحية من جانبي بغداد شقة لحم ، ثم اعتبر التي لم يتغير ولم يسهك فيها اللحم بسرعة ، فاشار بان يبنى في تلك الناحية وهو الموضع الذي بنى فيه اليبارستان

وجاء في رواية اخرى : ان الرازي دعي من جديد الى بغداد لادارة المستشفى فيها واتفق له مع عضد الدولة ما يأتي : وحدثني كمال الدين ، ابو القاسم ابي تراب البغدادي الكاتب : ان عضد الدولة لما بنى اليبارستان العضدي المنسوب اليه ، قصد ان يكون فيه جماعة من افاضل الاطباء واعيانهم فامر ان يحضروا له ذكر الاطباء المشهورين حينئذ ببغداد واعمالها فكانوا متوافرين على المائة فاختار منهم نحو خمسين بحسب ما علم من جودة احوالهم وتمهرهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم ، ثم انه اقتصر من هؤلاء على عشرة فكان الرازي منهم ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي احدهم ، ثم انه ميز فيما بينهم فبان له ان الرازي

أفضلهم فجعله ساعور البيارستان العضدي . اما استاذة في الطب فهو علي بن الربن الطبري اليهودي وكان قد اعتنق الاسلام في ايام المعتصم ووضع للمتوكل كتاب فردوس الحكمة

أهم الروايات الطبية

نقل علي بن رضوان الطبيب المصري الشهير عن بقراط شروطاً يرى ابو الطب انها لازمة لصاحب هذه المهنة وكلها تنطبق على الرازي واقدرها على تصويره ، الرابع والخامس منها قال ابن رضوان : في طبقات الاطباء ص ١٠٣ ج ٢ ان تكون رغبته في ابراء المرض اكثر من رغبته فيما يلمسه من الاجرة ، ورغبته في علاج الفقراء اكثر من رغبته في علاج الاغنياء ، وان يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس

هذا ما قاله ابن رضوان واليك ما قاله ابن ابي اصديعة في وصف اخلاق الرازي الطبية وكان الرازي فطناً رؤفاً بالمرضى مجتهداً في علاجهم وفي برئهم بكل وجه يقدر عليه ، مواظباً للنظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها واسرارها وكذلك في غيرها من العلوم بحيث انه لم يكن له دأب ولا عناية في جل اوقاته إلا في الاجتهاد والتطلع فيما قد دونه الافاضل من العلماء في كتبهم حتى وجدته يقول في بعض كتبه : انه كان لي صديق نبيل يسامرنى على قراءة كتب بقراط وجالينوس

وقال صاحب الفهرست في صفة الرازي ص ٢٧٢ وذكره محمد بن اسحاق النديم في كتابه فقال : ابو محمد بن زكريا الرازي من اهل الري : اوجد دهره وفريد عصره قد جمع المعرفة بعلوم القدماء لاسيما الطب . وكان ينتقل في البلدان وبينه وبين منصور بن اسماعيل حد صداقة وله ألف كتاب المنصوري . قال ابو الحسن الوراق . قال لي رجل من اهل الري شيخ كبير سألته عن الرازي فقال : كان شيخاً كبير الرأس مسقطه وكان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخرون وكان يجي الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه منهم فان كان عندهم علم والا تعداه الى غيره فان اصابوا والا تكلم الرازي في ذلك وكان كريماً متفضلاً باراً بالناس حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم

قال ولم يكن يفارق النسخ وكانت في بصره رطوبة لكثرة أكله الباقلاء (وفي آخر عمره عمي) والغريب ايها السادة ان ما كان يجري عليه الرازي منذ الف عام يجري عليه اليوم دهاقين الطب في مستشفيات باريس الكبرى فان المريض الذي يلج بابها انما يبدأ باخذ حكاية دائه وسوابقه المرضية ، احد مساعدي الاستاذ ثم يرفع خلاصة معلوماته الى سابعه في المستشفى وعند ما يلم بها رئيس المعاینات تعرض نهائياً على الرئيس الاكبر وهو الاستاذ

زكته واقواله

اما زكته ايها السادة فلا ادل عليه من القصة الآتية . جاء في ابن أبي أصيبعة ص ٣١١ من بدائع وصفه وشدة استدلاله قال القاضي أبو علي المحسن بن علي بن أبي جهم التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة حدثني محمد بن علي بن الخلال البصري أبو الحسين أحد أمناء القضاة قال : حدثني بعض اهل الطب الثقة ان غلاماً من بغداد قدم الري وهو ينفث الدم وكان لحقه ذلك في طريقه فاستدعي ابو بكر الرازي الطبيب المشهور بالحدق صاحب الكتب المصنفة فاراه ما ينفث ووصف له ما يجد . فاخذ الرازي بحسته ورأى قارورة واستوصف حاله منذ بدأ ذلك به . فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة .

فاستنظر الرجل ليتفكر في الامر فقامت على الليل القيامة وقال هذا يأس لي من الحياة لحق المتطبب وجهه بالعلة فازداد ما به وولد الفكر للرازي ان عاد اليه فسأله عن المياه التي شرب منها في طريقه فاخبره انه شرب من مستنقعات وصهاريج فقام في نفس ابي بكر محمد ابن زكريا الرازي المطيب الرأي بمحذرة الخطر وجودة الذكاء ان عاقبة كانت في الماء فحصلت في معدته وان ذلك النفث للدم من فعلها فقال له اذا كان في غد جئتك فعالجتك ولم انصرف او تبرأ ولكن بشرط تأمر غلمانك ان يطيعوني فيك بما أمرهم به فقال نعم وانصرف الرازي فتقدم فجمع له ملء مركنين كبيرين من طحلب اخضر فأخضرهما من غد معه وأراه اياها وقال له ابلع جميع ما في هذين المركنين فبلع الرجل شيئاً يسيراً ثم وقف فقال ابلع فقال لا استطيع فقال للغلمان خذوه فأنيموه على قفاه ففعلوا به ذلك وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه واقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويطلبه ببلعه شاء ام ابى ويقهره بالضرب الى أن بلع كارهاً أحد المركنين والرجل يستغيث فلا ينفعه مع الرازي شيء الى ان قال الساعة اقذف فراذ الرازي فيما يكبسه في حلقه فذرعه القبيء قذف وتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علقه واذا هي لما وصل اليها الطحلب فرمت اليه بالطبع وتركت موضعها والتفت على الطحلب فلما قذف الرجل خرجت مع الطحلب ونهض الرجل معافى .

والنائب في اقواله يأسادة الشاردة ملؤها الحكمة والاختبار وفي مؤلفاته الآراء الجديدة الدالة على فكر نير ومن كلامه قال : الحقيقة في الطب غاية لا تدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم رأيه خطر وقال القراءة من كتب الحكماء والاشراف على اسرارهم نافع لكل حكيم عظيم الخطر وقال : العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الارض فعليك بالاشهر فيما اجمع عليه ودع الشاذ واقتصر على ما جربت . وقال من لم يعن بالامور

الطبيعية والعلوم الفلسفية والقوانين المنطقية وعدل الى الذات الدنائية فاتهمه في علمه لاسيا في صناعة الطب . وقال متى اجمع جالينوس وارسطو على معنى فذاك هو الصواب وقال الامراض الحارة اقتل من الباردة لسرعة حركة النار

وقال الناقهون من المرض اذا اشتها من الطعام ما يضرهم فيجب على الطبيب ان يحتال في تدبير ذلك الطعام وصرفه الى كيفية موافقة ولا يمنهم ما يشتهون البتة

وقال ينبغي للطبيب ان يوهم المريض ابدأ الصحة ويرجيه بها وان كان غير واثق بذلك فزاج الجسم نابع لاخلق النفس . ليست هذه ياسادة آخر اختراعاتنا الطبية

وقال الاطباء الاميون والمقلدون والاحداث الذين لا تجربة لهم ومن قلت عنايته وكثرت شهواته قتالون . وقال ينبغي للطبيب ان لا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن ان تولد عن عائلته من داخل ومن الخارج ثم يقضي بالاقوى

وقال ينبغي للمريض ان يقتصر على واحد ممن يوثق به من الاطباء فخطاه في جنب صوابه يسير جداً . قال ومن تطب عند كثيرين من الاطباء يوشك ان يقع في خطأ كل منهم . وقال متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل

وقال ينبغي ان تكون حالة الطبيب معتدلة لا مقبلاً على الدنيا كلية ولا معرضاً عن الدنيا كلية فيكون بين الرغبة والرغبة . وقال ان استطاع الحكيم ان يعالج بالاغذية دون الادوية فقد وفق الى سعادة . وقال ما اجتمع عليه الاطباء وشهد عليه القياس وعضدته التجربة فقد وافق السعادة الى آخر ما هناك من الاقوال الدالة على علم ثاقب وحكمة بليغة وفلسفة نادرة المثل في ادراك الاشياء هذا عدا مئات من الكتب في الطب والفلسفة والطبيعات والكيميا والظواهر الجوية وعلوم الاقدمين عن بكرة ايها

الرازي بين الشرق والغرب

لما عيدت الجمهورية الفرنسية تذكار سبعمائة سنة على تأسيس مدرسة مونبليه الطبية جاء المدينة من باريس في شهر نوفمبر عام ١٩٢١ حضرة المسيو ميلران رئيس الجمهورية لذلك العهد والقيت خطب كثيرة . وكان معظم هذه الخطب من قبل اساتذة المدرسة الحاليين وهم نجوم العلم اليوم في الطب والجراحة . وقد جيء في تلك الخطب على ذكر الرازي وابن سينا وابي القاسم عباس بن خلف الزهراوي . وعلى قمة الجدار الامامي للبهو الكبير في مدرسة باريس الطبية ترى رسوم عديدة لمشاهير اطباء الانسانية وبينها رسم ابي بكر محمد بن زكريا الرازي يحيط به من جهة الرئيس ابن سينا ومن جهة أخرى جراح القرون الوسطى غير مدافع ابو القاسم الزهراوي للرازي : ايها السادة مؤلفات عديدة في شتى المواضيع اوصلها ابن ابي اصيبعة الى المائة

وتريد وانما ما يتعلق يبحثنا منها هنا هما اثنان المنصوري والحاوي . نُقِل الكتابان الى اللاتينية في القرن الثاني عشر اي بعد موت الرازي بقرنين ودرسا في اوربا قاطبة وفي فرنسا خصوصاً الى اوائل القرن الثامن عشر . وقد اتفق للمنصوري وقد اهداه مؤلفه الى صديقه الملك المنصور بن ساسان احد ملوك خراسان لذلك العهدان المؤرخين خبطوا فيه خطاً عجيباً وذلك لاقبال مدرسة مونبليه عليه ولأنه اصبح من الشهرة بمكان

فمنهم من عزا الاسم الى أبي جعفر المنصور مؤسس وموطد الدولة العباسية معيداً اياه جيلاً الى الوراء ومنهم من بات ينسبه الى المنصور حاجب هشام الاندلسي قافراً به من قارة الى قارة . على ان المنصوري يتضمن فصولاً في واجبات الطبيب وفي شروطه هي خير ما كتب في هذا الموضوع وقد ترجمت في القرن الاخير الى الافرنسية رأساً وظهرت في كتاب عنوانه المذاهب الطبية للاستاذ بوشو المطبوع عام ١٨٦٤ . واما الحاوي واسمه في اللاتينية *Conteneur* فقد اتفق له من غرائب التقادير ما يجعل ذكره منها انه ظهر بعد موت الرازي اظهره ابن الحميد الاديب الكبير بعد ان جمع تلاميذ الرازي . ومنها ان ترجمته كانت في طليطلة في القرن الثاني عشر مع اخيه المنصوري وقانون ابن سينا . ومنها ان ملوك فرنسا كانت تهتم بحاوي الرازي اهتمامها بأثمن ما لديها من الكنوز فان لويس التاسع وقد كان شديد الاعتناء بصحته طلب من مدرسة الطب بباريس في القرن الثاني عشر ان تمكنه من استئساخ الكتاب المذكور ليحفظ في مكتبته الخاصة فاغتمت الادارة هذه الفرصة السانحة واخبرت صاحب الجلالة بمحاجتها الى الدراهم فلم يخرج الحاوي من مكتبته إلا بعد ان نقدها صاحب الجلالة ما طلبته منه . واستدان المدرسة المذكورة مراراً في القرن الرابع عشر فلم تجد من يسلفها نقوداً إلا بعد ان استودعته حاوي الرازي ولم يقبل المدائنون بغيره من الرهن وقد شاهدت في المكتبة الاهلية بباريس منذ عام نسخة خطية من كتاب له معروف باسمه الفاخر دخل المكتبة منذ عهد قريب ويعتقد صديقي المسيو بلوشه احد ابناء المكتبة بانه من منسوخات القرن الثاني عشر . وقد سبق الرازي الى اشيائه لم تكن معروفة قبله منها وضعه الفصل المعروف في واجبات الاطباء وهو خلاصة ما يعرف اليوم بعلم *Déontologie* ومن فصول في الدرجة الاولى من خطورة الشأن في امراض الاطفال وعلاجهم . ومنها رسالة في الجدري والحصبة طبعها المرحوم الاستاذ فنديك عام ١٨٦٦ في لوندرة . وقال الاستاذ بوشو في هذه الرسالة « لقد اتى الرازي في هذه الرسالة على وصف ضرب من الجدري ذي بشور بيضاء متلاصقة على اديم الجلد كأنها بقع من الدهن المنتشر وقال ان آخرتها محزنة واني والحق يقال لم اجد اصوب من قوله فيها »

لماريج وفاته

في المسألة قولان — اولها لاحد المواطنين واكاد اقول المعاصرين الحسن بن سوار الطبيب والثاني للمظفر بن موف الطبيب المصري الذي جاء بعد الرازي بجيلين اما الحسن بن سوار فيقول ان الرازي توفي سنة نيف وتسعين ومائتين او ثلاثماية وكسر والشك مني . واما الثاني فيقول بانه توفي عام ٣٢٠ هجرية واما كشف الظنون وابن خلكان وتعري بردي ومؤلف المجاني فكلهم قد اعتمدوا عام ٣١١ هجرية الموافقة لسنة ٩٢٣—٩٢٤ ميلادية. ولدي براهين عديدة على صحة الاعتقاد بان تاريخ ٣١١ هو الصواب. ولذلك ان استاذ في الطب علي ابن الربن وضع للمتوكل فردوس الحكمة بعد ان اسلم على ايدي المعتصم والمعلوم ان المتوكل توفي عام ٨٦١ فاذا افترضنا ان علي بن الربن قضى نحبه في ذاك التاريخ كان الرازي قد عمر نيف وستين سنة بعد موت استاذة وهو اقرب الى التصديق من القول الآخر . ودبر الرازي مستشفيات الري وبغداد في زمن المكتفي وقد علم بانه اقدم على الطب بعد الاربعين من سنه فهل اصبح مديراً وطيباً لمستشفيات بغداد والري إلا بعد ان ذاع صيته واصبح يشار اليه بالبنان وبالتالي بعد عشرين وثلاثين سنة من تعلمه الطب وانصرافه عن الصيرفة والموسيقى . واذا كان المكتفي قضى نحبه عام ٩٠٢ فان القول بان الرازي مات بعد خليفته بنيف وعشرين سنة اقرب الى الصواب والتصديق من ان يلحق به بعد نيف وثلاثين سنة وهو قد اجتاز المائة من سنه

وقال ابن ابي اصيبعة ان الرازي كان في الاول صيرفياً ومما يحقق ذلك انني وجدت نسخة من المنصوري قديمة قد سقط آخرها واحترق اولها من عتقها وهي مترجمة بذلك الخط على هذا المثال : المنصوري تأليف محمد بن زكريا الرازي الصيرفي واخبرني من هي عنده انها خط الرازي وكان الرازي من معاصري اسحاق بن حنين ومن كان معه في ذلك الوقت والمشهور ان اسحاق بن حنين توفي في بغداد في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين فالقول بان الرازي عاش بعده نيف وعشرين سنة صعب التصديق لا يألف المعقول اما انصراف الرازي عن الصيرفة فهذا برهان على عدم تمسكه بالماديات واما هجره الموسيقى فالمشهور انه استعماها بعد اقدامه على الطب في التوسطات الجراحية ولعل الفارابي كان ممن اقتفى اثره فيها وفي اعتقادي ان لها مستقبلاً حسناً في الطب انتم اليوم أيها السادة تמידون تذكرا الرازي ويوبيله الالفى، الا تسمعون يقول وقد حضرته الوفاة

لعمرى لا ادري وقد آذن البلى بعاجل ترحال الى ابن ترحالي
 وابن محل الروح بعد خروجه من الهيكل المهجور والجسد البالي
 على ان ذكره لا يزال ملء الكتب وهو حي بينكم في المكتب الطبي غرفة عيادة
 منسوبة اليه وفي الاقرباذين مرهم لا يزال الى اليوم باسمه وغير بعيد ان تنجب لنا الشام مثال
 الرازي فيعود الى الشرق ضياؤه والى الانسانية جمعاء عزاؤها

دعوة المقتطف

للمرئصال بعمر الرازي الالفي

جرت الامم الغربية ، على تكريم علمائها وادبائها وفلاسفتها وساستها ورجال الفضل فيها
 في حياتهم وبعد مماتهم . فهي تقيم لهم التماثيل والاضرحه في الميادين العامة وتطلق اسماءهم
 على الشوارع والمعاهد وتؤسس المدارس والجمعيات وتنسبها اليهم وتنشيء الكراسي في الجامعات
 والمحاضرات السنوية تخليداً لأعمالهم وتجديداً لذكورهم وتعقد المؤتمرات للاحتفال بمرور مائة
 عام او مائتي عام او ثلاثمائة عام على ولادة احدهم او وفاته . فلا يصدر عدد من اعداد
 المقتطف الا وفيه خبر عن خطبة هكسلي او بايحت مثلاً او الاحتفال بمرور ثلاثمائة عام
 على ميلاد نيوتن او نبأ اجتماع الجمعية الملكية للحج الى دار دارون او تبرع احد المتزين باقامة
 معهد علمي او صناعي يسمى باسم باستور او رُس . . . الخ

وقد جارينا الامم الغربية في كثير من علومها وفلاسفتها وصنائعها وعادات سكانها . فعلى
 ان نجاريها أيضاً في تكريم علمائنا وفلاسفتنا تكريماً يثبت في نفوس الشبان مجد العلم ورفعة قدره
 والرازي كما يسن صاحب هذه الخطبة النفيسة من اعلام الاطباء والعلماء الذين انجبتهم
 الامة العربية فيجب علينا ان نحفل بذكره كما يحتفل الغربيون بهارثي وباستور وقركو ولستر
 لذلك يدعو [المقتطف] الجمعية الطبية المصرية والجمع العلمي العربي بدمشق الشام وغيرها
 من الجمعيات العلمية والطبية في انحاء البلاد العربية الى تعيين يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٣٠
 للاحتفال بانقضاء الف سنة على الرازي الطبيب العربي المشهور الخالد الذكر فتلى الخطب في
 ترجمته ووصف مؤلفاته وما افاد به الطب والعلوم الاخرى التي اشتغل بها . وقد اخترنا
 هذا التاريخ تحكماً مع انه سابق للتاريخ الذي يحسبه بعض الباحثين تاريخ وفاته الحقيقي
 ومتأخر عنه بحسب رأي فريق آخر منهم — وخير البر عاجله



تحوّل الآراء في الاثير

من نيوتن الى اينشتين

مهما يكن تصوّر نوع الفضاء الذي يحيط بنا صعباً. ومهما تختلف الآراء في نوعه وحدوده الهندسية ومهما يكن تقصيرنا عن ادراك كنهه وحقيقته. فإن له صفات طبيعية خاصة به يمكننا درسها ومعرفة بعض قوانينها. وعليه لا يمكننا ان نسميه فضاء فحسب. بل علينا ان نطلق عليه اسماً ينم على خواصه الطبيعية او بعض هذه الخواص

واول من بحث في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً وسمى هذا المجهول بالاثير كان الطبيعي الانكليزي العظيم السر اسحق نيوتن

يستحيل علينا ان نصف صفات الاثير الطبيعية بالدقة التامة بالتعابير والمصطلحات التي نستعملها لوصف خواص المواد الارضية. ولكننا نستطيع غير هذا السبيل فنضطر الى استعمال هذه المصطلحات لكوننا لا نعرف سواها! وفي مثل هذه الحال يجب علينا ان نبقى متذكرين انها لا تعبر عن الحقيقة بالدقة التامة ولكنها تفعل ذلك لو كان الاثير مادة عادية نحن نتكلم عن مرونة الاثير وكثافته مثلاً. فباي حق نفعل ذلك! ليس الاثير مادة عادية كموادنا لننسب اليه صفاتها. ومع ذلك نقول ان كثافة الاثير هي الف طن للعلتر المكعب. ومرونته تساوي حاصل ضرب كثافته في مربع سرعة النور! وبهذا نعني انه لو تحوّل الاثير مادة لكانت له تلك الكثافة وهذه المرونة

بمثل هذه التحفظات يمكننا ان نستعمل الاصطلاحات العادية لتعداد خاصيات الاثير المعروفة فنقول: —

- (١) الاثير شفاف
- (٢) » عديم الاحتكاك بالمواد
- (٣) » عظيم الكثافة
- (٤) » تام المرونة
- (٥) » عديم الحرارة
- (٦) » عديم الصوت
- (٧) » موصل حسن للجاذبية والنور والامواج الكهربائية — المغنطيسية

- (٨) الاثير وسيط لتلاصق دقائق المادة وتماسكها
 (٩) » وسيط للجاذبية الكيماوية (او الالفة الكيماوية)
 (١٠) » يملأ كل فراغ من المادة

النظريات القديمة

(١) اول من بحث في الاثير بحثاً علمياً مسهباً هو نيوتن . وقد اضطر الى ذلك ابان درسه لناموس الجاذبية العام ، فقد تعذر عليه ان يتصور قوة عظيمة (قوة الجاذبية) تؤثر عن بعد دون وسيط موصل لهذا التأثير . ولذلك خلق هذه القوة الهائلة التي تربط اجزاء الكون بعضها ببعض وسيطاً مائلاً للفضاء الواسع بين الاجرام ، وبذلك تحايد مغالطة القوانين الميكانيكية المعروفة آنثذ . وقد كان نيوتن يعتقد ان لهذا الاثير مظاهر كيماوية وحرارية وكهربائية ، لا يمكنه ادراكها تؤثر في ذرات النور الآتية من الاجرام البعيدة فتكيفها ويجعلها قابلة الانعكاس والمرور على ابعاد متساوية . وهكذا نرى ان نيوتن ابتدع فكرة الاثير لحاجته اليه ولكنه لم يدقق في ماهيته التدقيق الكافي

(٢) عندما تقدم هويجنس (*Huygens*) بنظريته الموجية في حركة النور داخضاً نظرية نيوتن الذرية وجب عليه ان يبحث بحثاً دقيقاً في حقيقة الاثير ، وذلك لان نظريته تقوم على الفرض بان النور ليس الا ساسلة امواج متتابعة في الاثير بسرعة عظيمة معينة . ولقد كان هويجنس نفسه الذي قال بان الاثير مؤلف من ذرات صغيرة جداً . سريعة الحركة في مراكزها . ثقيلة الوزن . عظيمة الكثافة . وكما ان حركة دقائق الماء تجعلها اقل ممانعة لسير الاجسام الصلبة فيها فسرعة حركة الذرات الاثرية العظيمة تجعله عديم الممانعة لسير الكواكب والسيارات والافار . ومن هذه النظرية قوله ان الاثير شديد الاختراق للاجسام فذراته الصغيرة تمر بين ذرات المواد وتملأ كل فراغ بينها دون ممانعة ، وعليه نرى انبوب البارومتر الزئبقي يمتليء طرفه الاعلى بالاثير لما ينقلب في حوض من الزئبق

اما النور فهو انتقال اهتزازات دقائق الجسم المشع بواسطة اهتزاز ذرات الاثير ، وهذا الانتقال لا ينقص كمية الطاقة المرسلة البتة لان الموصل هو كامل الوساطة ولم يكن هويجنس يعتقد ان الجاذبية من خواص المادة بل كان يقول انها نتيجة توسط الاثير بين الاجسام . ولما كان هذا الاثير يملأ كل فراغ بين ذرات المادة فالجاذبية تتحرك المواد ٠ هما كان نوعها دون اقل نقصان في قوتها (كمية الطاقة فيها)
 (٣) وقد توسع فرنل الفرنسي (*Fresnel*) في تطبيق النظرية السالفة فقال ان الاثير

يختلف كثافة باختلاف موقعه بالنسبة الى المواد المحيطة به . فالأثير داخل الاجسام الشفافة اكتف من الاثير المائي الفضاء الشفاف حسب زعمه . وقد بحث بحثاً وافياً في كثافة الأثير داخل المواد الشفافة وقرر انها تتوقف على مربع دليل الانكسار النوري لذلك الجسم (*index of refraction*) . وعليه فعند مسير ذلك الجسم في الفضاء بسرعة (س) مثلاً ، تنقص سرعة الأثير المار في وسطه عن اصلها جزئياً وتبقى س (١ - $\frac{1}{D^2}$) « هنا (س) تدل على سرعة الأثير و (د) تدل على دليل الانكسار النوري »

وجرياً على هذه النظرية يجب ان يحدث الارض عند مرورها بالأثير تياراً صغيراً معاكساً لوجهة مسيرها ووجود مثل هذا التيار يحرف النور عن مسيره العادي انحرافاً قليلاً لا يقدر ان يراه احد حتى ولا الباحث المدقق . وقد علل فرنل عدم ظهور هذا الانحراف بكون العدسيات التي يمتحن بها تسير بسرعة الأرض نفسها وبذلك تحرف النور الى الجهة المقابلة فيتم التوازن ولا تتأثر قواعد الانعكاس والانكسار النوري

(٤) وقد عال كوتشي (*Couchy*) انحراف النور في الاثير — على فرض وجوده — بكون الأرض تحمل معها في مسيرها طبقة من الأثير فعند ما تمر الأشعة في هذا الوسيط السائر مع الأرض فلا بد لها من الانحراف نحو وجهة المسير . وقد كان كوتشي يعتقد ان اختلال موازنة الأثير عند مرور الارض هو سبب الظاهرات الكهربائية والمغناطيسية التي نراها

(٥) والنظرية الخامسة هي نظرية جورج ستوكس (*George Stokes*) ، وهي تختلف عما سبقها اختلافاً تاماً . تصور ستوكس الأثير سائلاً شفافاً عديم الاحتكاك عند ما ننظر اليه من وجهة حركته مع الأرض والسيارات ، وصدلاً عظيم المرونة عند ما ننظر اليه من وجهة اتصال النور والجاذبية . فهو مثل كثير من المواد (الزفت والشمع) التي تكون احياناً سائلاً وأحياناً جامدة وهي في حالة واحدة وشكل واحد

وقد تصوره سائلاً كاملاً حتى لا يمكن لذراته ان تسير بحركة دورية ولا يقبل الضغط مطلقاً بل على الضد مما ارتاه فرنل يسير مع الأرض في سيرها دون ان يحدث تياراً دورياً صغيراً كان ام كبيراً . وكل حركة دورية تبتدىء فيه نحمد لشدة مرونته . وقد ايد ستوكس نظريته هذه بمعادلات رياضية عظيمة الأهمية لا تزال حتى يومنا هذا من اسس هذا العلم المفيدة وخصوصاً في الكهرباء

وقد جرب السير اوليفر لدج (*Oliver Lodge*) حديثاً تجربة برهنت على صدق نظرية ستوكس في مسألة عدم دوران الاثير . وذلك بان وضع اسطوانتين متوازيتين في صندوق وافرغ هواءه ثم جعل الاسطوانتين تدوران دوراناً معكوساً ، ومع دقة اجائيه الفائقة

لم يجد أثراً لدوران الاثير بين الاسطواناتين مع انهما كانتا تدوران بسرعة هائلة (٦) اما النظرية التي تهمننا اكثر من الجميع فهي نظرية ماكسول (Clark Maxwell) لما بنى عليها من المعارف المدهشة في الهندسة والفنون الكهربائية واللاسلكية. فهو يقول ان الاثير ساكناً كان ام متحركاً ، صلباً كان ام سائلاً ، له كثافة عظيمة جداً ومرونة تساوي حاصل ضرب الكثافة في عددٍ وُجد بعدئذ انه يساوي مربع سرعة النور : وهو ينقل الامواج المغنطيسية والكهربائية حسب قانون رياضي تحليلي وضعه ماكسول نفسه . وقد طبق هذا القانون النظري في ايجاد اعظم سرعة للامواج التي يستطيع الاثير نقلها فكانت مساوية لسرعة النور بالضبط

وقد برهن ماكسول على ان معادلاته هذه لا تتغير مهما يتغير مركز المحورين في الرسم البياني وذلك لانها مبنية على كميتين ثابتتين تمثلان صفات الاثير الاصلية (الاولى تعادل قوة الجاذبية بين جسمين مشحونين بالوحدة الكهربائية والثانية قوتها بين جسمين ممغنطين بالوحدة المغنطيسية) نعم ان ماكسول لم يقدر ان يفصل احدى هاتين الكميتين عن الاخرى ولكنه وجد ان حاصل ضربهما يعادل عكس مربع سرعة النور بالضبط

هذه المعادلات التي بنى عليها ماكسول نظريته هي في غاية الاهمية لان عليها ترتكز جميع الابحاث العلمية الحديثة ان في الكهربائية او المغنطيسية العامة او اللاسلكي او الجاذبية او تركيب المادة. ولكن هذه المعادلات قد حرفت قليلاً عن اصلها لان ماكسول لم يحسب حساباً لتأثير الوسط المادي في سرعة اختراق الامواج . ومن اعظم من اهتموا بتصحيح هذه المعادلات هلمهولتز الالماني Helmholtz الذي استنتج بطريقة رياضية محضه ان الاثير يجب ان يسير بحركة مستمرة في المجال الكهربائي المتحرك ! ولكن التجارب العديدة التي قام بها الدج وهنري وهندرسن جاءت على عكس ذلك ونفت حركة الاثير بتماماً وهذا ما حدى بفين الى القول بالنظرية التالية

(٧) اما فين (Wien) فيقول ان ليس للاثير كثافة مطلقاً وعليه يمكن للامواج الكهربائية المغنطيسية ان تخرقه دون ان تحدث اضطراباً فيه . ولكي يجعل الاثير تام الهدوء مهما تغيرت الاحوال افترض ان قوة استمراره عظيمة جداً لدرجة انه لا يمكن لاي قوة ان تبدأ الحركة فيه وعلى الاخص الحركة الدورية

(٨) ومن النظريات التي كان لها شأن خطير وثبتت امام هجمات الناقدين مدة طويلة نظرية ماك كولاغ (Mc Coulagh) الذي تصور الاثير مائعاً مرناً لا يقبل الضغط مطلقاً فلا يمكن ان تسير فيه الامواج الطويلة لعدم انضغاطه ولكن الامواج العرضية كالامواج النور والكهربائية

نسير فيه بسبب تأثيره الجيروساتيكى (اي حرية حركته المطلقة دون دوران اجزائه)
فلو ابتداءً هذا الدوران بقوة خارقة (وهذا مستحيل) لارتد الاثير الى مركزه الاصلي كما
رتد اللولب (الزنبرك) او الجيروسكوب لشدة مرونته

وقد عُنُضت هذه النظرية كثيراً عندما ادخل عليها لارمر *Larmor* تحسيناته المبنية على
درسه للكهربائية والمغناطيسية فلارمر يقول ان خطأ القوة المغناطيسية ليس الا مسيراً لتيار من
الاثير وما المجال الكهربائي حسب هذا التعديل سوى النفاذ قطعة من الاثير حول تيار فيها
(خط من خطوط القوة) كمحور ثابت فتسعى على الدوام للرجوع الى حالتها الطبيعية بسبب
شدة مرونتها ولذلك فهي تدفع الكهارب في الواجهة المعاكسة للقوة التي اثرت فيها

لهذه النظريات كما لغيرها صعوبات جمة . اهمها هو ان الارض تدور على الدوام بسرعة
لا بأس بها (نحو ١٨ ميل ونيف في الثانية) فيجب ان تكون دائماً في مجال مغناطيسي عظيم
وان يكون هنالك ربح اثيرية محيطة بجسمها ومسيرها . اما عن المجال المغناطيسي فهو موجود
اكيداً وظواهره العديدة تشهد بذلك . ولكن ادق التجارب التي قام بها علماء هذا العصر
تتفق وجود التيار الاثيري حول الارض

وفي سنة ١٨٩٧ قام ميكلسن ومورلي بتجربتهما الشهيرة للثبوت من وجود هذا التيار او
فيه بان قاسا سرعة النور في وجهة مسير الارض وسرعته في وجهة عمودية للاولى . فوجدوا
ان السرعة واحدة لا تتغير . وبذلك استدلالاً على عدم وجود التيار الذي تفترضه نظرية
ماك كولاغ ولارمر وقد اعيدت هذه التجربة مراراً للثبوت من دقتها وصحة نتائجها فاسفرت
عما اسفرت عنه التجارب الاولى

ولتعليل هذه النتيجة السلبية قام لورنتز الهولاندي وفترجيرالد الانكليزي *Lorentz & Fitzgerald*
بتجارب عديدة ليبرهن على ان المواد تنقلص في وجهة مسيرها حسب قانون رياضي
ينبع عنه عدم اختلاف سرعة النور في اي وجهة كان مسيره

(٩) اما اينشتين *Einstein* فقد بنى على هذه النتيجة السلبية نظريته في النسبية التي
ينكر فيها وجود مثل هذا الاثير المزعوم ويستبدله بخيال من الفضاء والوقت يصعب على من لم يتعمق
في الرياضيات ان يدرك كنهه

شكري شماس

الخرطوم : كلية غوردن



التجارة عند الأمم القديمة

تجارة المصريين

بنى رمسيس الثالث فرعون مصر اسطولاً في البحر الاحمر وسافر عليه يرتاد بلاد
الفنت (الحبشة والصومال) وبلاد العرب (الارض المقدسة) تسهيلاً للتجارة البحرية بين
مصر والشرق الاقصى . ففتح طريقين تجاريين خدمة لهذا المشروع احدهما بري بين القصر
وقفت والثاني بحري بين المحيط الهندي والنيل بطريق بلاد العرب

وفي عهد سيتي الاول من الاسرة التاسعة عشر احتفرت القناة الموصلة بين النيل وبحر
القليزم (البحر الاحمر) لتحسين المواصلات التجارية بين مصر وجزيرة العرب . وكانت
الملاحة الفينيقية محصورة بأيديهم في البحرين المتوسط والاحمر فاقتدى المصريون بهم . فاهتمت
القناة بعد موت سيتي وبطلت الملاحة المصرية لان سكان مصر ليسوا اهل اسفار وارتداد
وعلى اثر ذلك سقطت صور واضطرب حبل الفينيقيين فاغتم حيرام ملك صور وسليمان
ملك اورشليم الفرصة وانشا سفناً للملاحة فيه . وربما كان هذا اول اتفاق تجاري دولي . واتخذ
أيلة (العقبة) مرفأ لهم تنقل اليه سفنهم حاصلات اليمن وبضائنها الهندية والشرقية وقد اشار
سفر الملوك في التوراة الى ذلك وتوقفت الملاحة بموت سليمان . وفي كتابات تل العمارنة المكتشفة
سنة ١٨٨٨ م ادلة على تقدم التجارة البحرية الفينيقية والمعاهدات مع المصريين

فكانت للمصريين سفن وقوافل للتجارة فسفنهم كانت تبحر البحر من اعلى النيل الى
شواطئ البحر الرومي لطلب الاخشاب لانيتهم ولموثاقهم مثل التوب (الشوح) والسرو والشرين
اما من غابات لبنان واما من جهة امنوس (الكام) وهكذا كانت تسير الى المرافيء الاخرى
ولاسيما في الارخبيل والمحيط الهندي وكانت لهم قوافل كثيرة تسير الى السودان وافريقية وقوافل
في المرافيء تتناول مشحوناتهم من على السفن وتنقلها الى داخلية البلاد في اطراف آسية وغيرها^(١)
وكانت تسير على طريق سيناء في البرية المتسعة الاطراف ولا تخلو من مهاجمات القبائل التي
تمر بها مثل بقية القوافل التجارية فتنفد هم اجوراً من البضاعات والصناعات خفارة للطريق
وفي ذكر يع يوسف الصديق للمصريين اشارة صريحة الى ربط تجارة سورية بمصر

فديماً وكانت مدينة طيبة محط رحال التجارة من مصر واليا حتى ذكر هوميروس عظيم زوتها وبضائعها ووصف هيرودوتوس المواقف التجارية بين طيبة والممالك الاخرى وهي (١) الى فرطاجة (٢) الى بوغاز جبل طارق (المسمى اذ ذاك بوغاز اعمدة هرقل) فالحيط الاعظم (٣) طريقان من طيبة الى بلاد اثيوبية (الجبشة) ومملكة مروة اما بمحاذاة النيل واما بقطع معابر النوبة (٤) طريقان احدهما الى البحر الاحمر والثانية من بلدة (ادفو) فتصل بالاولى بئر القصير الى كثير من هذه التفرعات (١) وعلى الجملة فكان المصريون يجلبون بضائع الهند ويرسلون بضائعهم الى جوار البحر الاحمر المتوسط

تجارة الاشوريين والبابليين والسطرائيين

كان الساماريون من قدماء سكان العراق وخلفهم الساميون ومنهم الكوسانيون فاشتهروا بعمرانهم وكانت معاملاتهم التجارية ذات شأن من اقراض وادانة وسفائح (بوالس) ومصارف (بيوت مالية) وارتهان الخ. وكانت لهم انظمة وشرائع من عهد العيلاميين فالحمورابييين فالبابليين فما بعد وكلها تدل على اثرهم وضبط معاملتهم واشتغلت نساؤهم بالتجارة وساوت الرجال في الحقوق. وكان البابليون اول من استنبط سك النقود وكانت لهم مصارف (بنوك) شهيرة منها بيت (اجيبي) المتمول الكبير وشركائه في ايام سنحاريب قبل الميلاد بسبع مائة سنة. ولقد كشفت الآثار كثيراً من اصول تجارتهم ومعاملتهم. وامتزجوا بالامم المتصلة بهم واسسوا عندهم المصارف والمتاجر الكبيرة ولا تزال اثناء بعض مدنها تدل على تجارتهم مثل (الهيث) بمعنى القار وهو احد حاصلاتهم الكثيرة التي منها الغنم والبقر والصوف والحبوب والتمر. وفي الصحف المسبارية المكتشفة سفتجة (بوليسة) بتاريخ سنة ٥٥٠ قبل المسيح اشبه بسفائح عصرنا (٢) وكانوا ينقلون بضائعهم في نهري دجلة والفرات بالكلكات (وهي الظروف من جلد تنفخ وتشد عليها ألواح الخشب ثم تقبل عليها البضائع بقوة التيار المائي في النهرين المذكورين). ومثلها الاطواف (وهي خشاب بشد بعضها الى بعض فتجري مع التيار ايضاً) وكانت تجارة البابليين من نهر الفرات الى بغداد اي من حلب الى بغداد بالكلكات والاطواف المذكورة

(١) الاثر الجليل لقدماء وادي النيل لاحد نجيب طبع مصر سنة ١٨٩٥ صفحة ٣٠٠ (٢) عرف الشرقيون الصرافة منذ القدم واول مصرف انشئ في بابل لبيت ايجيبي بقي مائة سنة الى الفتح الفارسي ثم اتسع نطاقه الى جهات مختلفة وكان من اعمال هذا المصرف الادانة بفائدة مالية وفتح حسابات للمعاملين معه ودفع قيمة السفائح (البوالس) المسجوبة عليه من بلاد العجم ونحو ذلك

ولما كشفت آثار (اور الكلدانيين) في (سنة ١٩٢٤) عثروا في قصر نبوخذ نصر ملك اشور على دفاتر تجارية قديمة وهي اشبه بدفاتر حساب الزنجير المعروف عندنا بالدويا بينها دفتر الاستاذ وهو مثل دفاترنا اليوم في اول صفحة فيه كلمة (من) وفي الثانية (الى) (١) وكل من طالع شرائع حمورابي من القدماء عرف نظام التجارة عند العراقيين. فكانت عندهم تربط بصكوك وعقود ووضعوا شرائع للرهن والوديعة ومن انظمتهم (ان كل بيع بلا عقد باطل) و (كل دين بلا صك لغو). ومن غريب ما فعلوه في اقتضاء الدين عند عجز المدين عن تأديته ان يقبض الدائن على زوجة المدين واولاده فيستخدمهم في بيته حتى يستوفي منهم حقه واذا عجزوا عن الوفاء خدموا ثلاث سنوات ثم يطلق سراحهم وكانت الحكومة تتولى تسعير السلع وفرض اجور الصناع والعاملين حتى الاطباء والبيطرة. والقت عليهم تبعة ما يقع على يدهم من المخاطر والاضرار. وقد اكتشفت آثار كثيرة فيها قواعد حسابية تجارية وصكوك وعقود تدل على ترقى التجارة في عهدهم

تجارة العبرانيين

اشتهرت تجارتهم القديمة واهمها كان بزمن سليمان الحكيم في اواخر القرن العاشر قبل الميلاد لان هذا الملك رقى العلم والصناعة والتجارة واعرض عن الحروب وعقد شبه معاهدة مع حيرام ملك صور صديقه الذي ساعده ببناء الهيكل في اورشليم. وبني في تدمر مخازن ومخافر للتجارة. قال سفر الملوك الثالث (٩ : ١٨) فبنى سليمان بعله وتدمر في ارض البرية. وقال سفر الاخبار الثاني (٨ : ٤) وبني تدمر في البرية وجميع مدن الحزن التي بناها في حماء. وقال يوسفوس المؤرخ اليهودي : ان سليمان بني تدمر في محل فيه ينابيع وآبار يستقي منها المسافرين واحاطها بأسوار منيعة وسمها باسم تدمر اي العجبية وهو اسمها السرياني ايضاً. وكان بناؤها لتأمين طريق الفرات من غزوات البدو والاراميين الذين يفاجئون المارة والتجار لان القوافل كانت تسير من دمشق وحماء الى تدمر ثم الى العراق وما وراءها فبقيت محطاً للتجارة الكبيرة من عهد سليمان الى عهد الرومانيين وقدر بلينيوس تجارة رومية وحدها في تدمر بنحو خمسة وعشرين مليون فرنك من نقودنا واهمل العبرانيون التجارة مع الاجانب لعدم مهارتهم بالملاحة ولكنهم كانوا يتعاونون البضائع الاجنبية ويرسلون

(١) قال الاستاذ هلمبرخ الاميركي : كانت الصيرفة في ايلم البابليين وقد وجد مثلها في دفتر مصرف (اجيبي وابنه) وما كانا في القرن السابع قبل الميلاد : ووجد مثال آخر لها في دفتر (لرساشو وابنه) في القرن الخامس قبل الميلاد : وكلها اكتشفت في هيكل بل في نيبو

بضائعهم اليها. واشتهرت يافا فرضة اورشليم بتجارها البحرية ولكن تجارة اليهود البرية كانت في مواسمهم لا يتباع الضحايا وصرف الدراهم في الهيكل

تجارة الماين والفرس

توالى على العراق ملوك مادي وعيلام وفارس على اثر انقراض الدولة البابلية وكانت تجارة بابل شهيرة كما مر فطمحت نفس (كورش) الفارسي اليها فحمل عليها سنة ٥٣٨ قبل المسيح ودخلها ظافراً فبرز فيها التجارة وابقى للقوم عادتهم فاحبوا دولته ودانوا لها الى ان بلغت أوجها في زمن (داريوس) وانتشرت تجارتها في انحاء العالم المتمدن حتى اثرت المملكة وتوسع نطاق عمراتها فصارت موازتها اذ ذاك نحو ثلاثة ملايين وثلاثمائة واثنى عشر الف ليرة استرلينية. وهو يكاد يساوي من نقودنا ستة وعشرين مليون ليرة

وكانت مناجم الذهب المكتشفة في الهند غنية في زمن داريوس فابدلت النقود الممزوجة من المعادن المختلفة بنقدي الدينار الذهبي والدرهم الفضي وبقيت كذلك نحو قرنين

وفتح الفرس طرقاً جديدة للتجارة اهمها ما بين سرديس وشوشن فرصفوها وهندسوها على احدث طرز فاشتهرت حتى صورها اليونان ومنها طريق الجبال التي عرفها العرب وهي من همدان الى العراق وارتقت التجارة في زمن كسرى انوشروان لانه اصلح العراق ومد الجسور الى ان سولت للفرس انفسهم ان يقاطعوا التجار الرومان واليونان ويحتكروا تجارة الشرق والغرب بحفظ طريق المحيط الهندي والبحر الاحمر « بحر القلزم » ولكنهم نجحوا فقط بالطريق الاول الشرقي اي طريق الهند . وفشلوا في الطريق الغربي واشتهرت عاصمتهم المدائن بموقعها التجاري وعمراتها ووفرة حاصلاتها المعدنية والدر والاواني الزجاجية والخزفية والمعدنية ومنسوجاتها وحجارتها الكريمة . وكانوا ينقلونها كسلافهم البابليين بالاطواف والكلكات والسفر في الانهر ويبلغون بها اقصى البلاد . فيبيعون فيها مشحوناتهم ثم ينقلون بضائع تلك البلدان وحاصلاتهم الى العراق محط تجارة العالم اذ ذاك فيوزعون ما يحتاج اليه مدنها وما اليها . ويعيشون بالباقي الى دمشق وحلب والموانئ البحرية في مصر وسورية . وكانت علاقاتهم شديدة مع بلاد العرب ولهم فيها معتمدون يدفعون الجعالة لغزاة العرب خفارة للقوافل والسفن . وكان معظم التجارة بيد اليهود والنصارى في عهد الملوك الساسانيين لانفة اشرفهم من التجارة ولاشتراطهم على ملوكهم ان لا يتاجروا تفادياً من غلاء الاسعار ولما احتك الرومان واليونان بالفرس تناولوا عنهم اتفاق التجارة (١)

(١) بعضه ملخص عن (تجارة العراق قديماً وحديثاً) لصديقنا الاستاذ يوسف افندي رزق الله غنية وزير مالية العراق سابقاً الصفحة ٢٢ — ٣٠

تجارة الانباط في الجنوب

الانباط عرب سكنوا في مملكة ادوم الواقعة في جنوب فلسطين الشرقي ممتدة من حدود فلسطين الى خليج العقبة . وهي التي سميت (العربية الحجرية) وعاصمتها (بيترا) او (سالع) بمعنى الحجر . وكان الاسرائيليون يسمونها باسم (سكير) واليونان باسم (ايدوما) سكنها الحويون ثم الادوميون الذين دوخهم سليمان الملك واتخذ بلادهم طريقاً لتجارته الى البحر الاحمر . ثم عضدهم نبوخذ نصر ولم يطل ذلك حتى غلبهم الانباط على امرهم قبل القرن الرابع قبل المسيح واستولى عليهم الرومان سنة ١٠٢ م

وبلادهم تعرف الآن بوادي موسى وهي ملتقى القوافل بين تدمر وغزة وخليج فارس والبحر الاحمر واليمن . فلذلك نجحت عاصمتهم (بيترا) المائلة الى اليوم اطلالها العظيمة . والعرب سموها (الرقيم) وهو تعريب اسمها اليوناني (ارکه) Arke

واشتهرت في زمن الامويين ووصفها كتاب العرب . واشتهرت دولة الانباط بملوكها الذين سمي كل منهم (بالخارث) ووجدت اسماءهم على نقودهم التي ضربوها اقتباساً من اليونان واتسع نطاق هذه المملكة وبقيت مركزاً تجارياً بين الشرق والغرب والجنوب والشمال حتى اعدوا الطريق من القصير على البحر الاحمر الى قفط على النيل . فتقهقرت تجارتها ومال السكان الى الزراعة واستولى عليهم الرومان كمبر . فتجولت الطريق التجارية الى مدينة (تدمر) التي استعمرها الرومان استعماراً تجارياً عظيماً

ووجد بعض الاثريين كتابة نبطية في فرضة (بتيولي) في ايطالية ما لها : ان صيدو النبطي وقف في السنة الرابعة عشرة من حكم الخارث الرابع بعض مقتنياته على اسم هذا الملك وزوجته . وكانت جميع التجارة تمر على يدهم وعلاقاتهم بمصر شديدة ولهم كتابة خاصة وجد منها قطعة في (دمر) قرب دمشق

تجارة اليونان

اضطرت بلاد اليونان الى جلب الحنطة والتمر والسمن والسمك من البلاد الاخرى وكان عبيدها يعملون السلاح والحزف والثيراب والاثاث مما يباع خارج بلادهم . فوجدت عندهم التجارة وذلك بعد ان صارت ائينة مدينة عظيمة في القرن الخامس قبل المسيح وكانت (بير) مرفأهم فانشئت فيها الخازن وصارت سوق بلاد اليونان . وامتدت تجارتهم الى بلاد ايطالية حيث نزل اليونان هناك . وكان لكل مدينة فيها نقود خاصة وصيارف يتعاملون بها ويقرضونها بالربا الفاحش زهاء عشرين بالمئة . فكثرت اغنياءهم . وصارت طبقة منهم

خاصة بالتجارة ومصانعها واعمالها وسفنها . فسميت (طبقة المثرين) فاستخدمت الطبقات التي تحتها ثم ظهر من ذلك حزبان عظيمان في البلاد وهما (الاغنياء) و (الفقراء) . فصار كل حزب منهما اذا نال الحكم والنفوذ صادر الآخر وتحامل عليه ولهذا قال ارسطو الفيلسوف : (الثورات تنشأ من سبب تقسيم الثروات) فاحذ الحزبان يتفانيان بالمعاداة وتداول الحكومة فصار عندهم الحكم الجمهوري والحكم الافراي وبقيت الخاصات مستفحلة بين هاتين الطبقتين نحو ثلاثة قرون (من سنة ٤٣٠ — ١٥٠ قبل المسيح) واهرقت دماء غزيرة وخربت بلدان حجة

وفي زمن انطيوخوس الثاني الذي ملك سنة ٢٦٠ قبل المسيح اراد بطليموس ملك مصر ان يحتكر لمملكته التجارة البحرية وكان ذلك الحق للصوريين الذين كانوا ينقلون السلع بالبحر الاحمر الى ايلة (النقبة) ثم نقلها القوافل الى مرفأ بين فلسطين ومصر فتشجن الى صور . فبني بطليموس مدينة على الشاطئ الغربي من البحر الاحمر وسماها برنيس (اوبرنيقة) باسم امه فكانت محطة للسلع الواردة من الهند والعربية وفارس والحيش نقلها القوافل الى النيل وتسير بها الى الاسكندرية فتشجن منها الى المغرب وتستورد منه البضائع اليها فتحمل الى الآفاق في المشرق . فانشأ بطليموس كثيراً من السفن التي تمر بالبحرين المتوسط والاحمر فدعا هذا الى تحاسدها ونشبت حرب سنة ٢٥٥ قبل المسيح فكانت طاحنة اندحر فيها انطيوخوس ثم صالح بطليموس^(١) . وكان لهم في السويدية مرسى مبني بالحجارة الضخمة خربه الملك الظاهر بيبرس البندقداري وكان هذا المرسى مع مرسى خليج اسكندرونة من أمن المراسي وأفضل المرافئ . وهكذا لما ظهر الرومان كان اليونان مشغولين بالحروب الداخلية والخارجية فغلبوا على امرهم وضعفت تجارتهم فتناولها الرومان وعززوا شؤونها

تجارة الرومان

اخذ الرومان تجارتهم عن تقدمهم وكانت تدمر محطاً لقوافلها في عهدهم فزنها القيصر اديانوس سنة ١٣٠ م بالاً بنية الشاهقة والهاكل العظيمة وأقاموا فيها الأسواق التجارية ورفضوا الطرق الممتدة اليها وأقاموا فيها الخافر والمحارس والمخازن وسهلوا اسباب التجارة فراجت اسواقها واتسعت اعمالها فكانت صلة بين المشرق والمغرب ولا سيما بين الهند وفارس . وكانت قوافلهم تسترضي قبائل العرب الرحل في طريقهم مدة شهرين وكانوا ينصبون التماثيل لرؤساء القوافل مكافأة لهم على تسييرها وتأمينها مما دلت على ذلك خطوط كثيرة اثرية

(١) تاريخ سوريا للمطران يوسف الدبس (١٠٩ : ٣)

وقال بلينوس : ان تجارة رومية وحدها بلغت في تدمر نحو خمسة وعشرين مليون فرنك من نقودنا الحاضرة او مائة مليون دينار . وقال ثولي الفرنسي : كانت تدمر في جميع العصور مرفأً طبيعيًا ومستودعاً رحباً للسلع الواردة عليها من الهند في الخليج الفارسي ومن هناك يصعد بها الى الفرات او الى البرية فتبلغ فينيقية وآسية الصغرى منتشرة بين شعوب مولعة بها . ولهذا سمي (ايانوس) المؤرخ الروماني في القرن الثاني للميلاد : التدمريين (مستبضعين سلع الهند) واطلاها الباقية من آثار الرومان وأقدمها يتجاوز صدر التاريخ المسيحي وملكتها زينب المشهورة حاربها الرومان^(١)

وكانت افامية (قلعة المضيق) حاضرة سورية الثانية في البر للتجارة مثل صور في البحر وهي على ضفة العاصي . وهناك اطلال مدن غربية طولها نحو ١٨٠ كيلو متراً فيها نحو مائة بلدة خربة يظهر أنها بنيت في اواخر ملك الرومان بين القرنين الرابع والسادس وكان سكان افامية تجاراً عرفوا في اوربة بذلك العهد

وكانت مدينة بعلبك احدي محطاتهم التجارية في سهل سورية المجوفة او وادي سورية حيث بعلبك والبقاع الآن يسرون فيها الى الشمال والى الجنوب . ولهذا ترى اطلالها المتسعة الضخمة شاهداً على مكاتها التجارية وثروة سكانها القدماء ويكفي ان في عتبة هيكل الشمس فيها رمز التجارة وهو : نسر يحمل برجليه مفتاحين كما سبقت الاشارة الى هذا^(١) وكانت رومية عاصمة الرومان العظيمة كثيرة السكان ومركز التجارة في الأبحر والأنهر . وكانت رومية وايطالية قليلة الصادرات كثيرة الواردات فكان سكانها يقصدون بلادنا لاستبضاع ما يحتاجون اليه من حاصلاتها كالحبوب والزيت والبقول والفواكه والمنسوجات والأعمال الأخرى . ويأخذون من البانية الفضة وبعض المعادن ويحلبون من الشرق ادوات الزينة والعطور والابازير والعاج والحجارة الكريمة والمنسوجات والعييد والحيوانات بطريق البحر الأحمر . وكانت انطاكيا في الشرق مرفأًهم العظيم فانقسم الرومان الى طبقتين كاليونان طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء وكانت الطبقة الثالثة عندهم طبقة العبيد التي يتخذها الاغنياء ويتصرفون بها كما يريدون بالاستئجار ونحوه . فيما ملونهم بقسوة خارقة للمادة حتى يكونوا بين ايديهم كالحيوانات فأوغروا صدرهم عليهم . وعقد الرومان الشركات المختلفة ومنها الشركات التجارية وعمادها تجار من الصعاليك يتجرون بين ايطاليا وغالية بشركاتهم الصناعية

(١) ولقد فصلت تجارة وادي سورية المجوفة وطرقها ومحطاتها بتطويل في التاريخ الذي وضعته لها باسم (تاريخ سوريا المجوفة) وهو محفوظ في مجلد ضخم نشرت من تحليل اسماء الاعلام المصرية فيه في مجلة المقتطف هذه

فجمع الرومان في فتوحهم ثروات الامم المختلفة فكثرت الدراهم في رومية فصار الاقتراض فيها اربعة بالمائة على حين ان الدراهم قلت في الولايات فكان الاقتراض فيها بفائدة اثني عشر بالمائة وهكذا انجر الصيارف باسم الملوك والمدن . واذا تأخر المستقرض بعامله الصيارفة معاملة العشارين الذين يجبون عشور الخراج حتى كان بعضهم يبيع اولاده لوفاء ما عليه . والبعض الاخر يموت في السجون فكثير الارهاق والظلم

ويرجح انه في ايام ادرينوس الملك سنة ١٢٢ م أمنت الطرق . فكان بين دمشق وتدمر الى الفرات نحو خمسين حصاناً او اكثر يبعد كل منها عن الآخر مسافة ثلاث ساعات لتسهيل المواصلات وتيسير القوافل بأمان . وضربت في دمشق سكة باسمه كتب عليها (الى الاله ادرين) تملقاً له ورسمت على وجهها صورته وصورة الملكة ومنها ما ارخ في سنة ١٢٧ و ١٢٩ ومهد طريق القوافل بين دمشق وبترا ورصف الطرق فصارت بصرى حوران عاصمة تجارية تنقل الى دمشق عبر الحجاز وطبوس اليمن وتجلب الى العربية الحبوب والزبيب من وادي الاردن والسلع من آسية الصغرى ^(١) . وكانت الحكومة الرومانية تصك نقود الفضة في سورية والكبادوك على مثال السكة الفارسية مخالفة لسكاتها الملكية في اوربة . وكانت مادة المصنوعات السورية ولاسيما الانسجة الصوفية والحريرية تؤخذ من غلال البلاد البالية . وكان السوريون يوصلون الى ايطالية وسائر انحاء المغرب اكثر اصناف البضائع الشرقية . كالانسجة الحريرية والفراء والطبوس والثمار والرقيق الشرقي الخ وما امتاز به التجار السوريون عن غيرهم انهم لم يكونوا يبيعون سلع تجارتهم للاجانب فقط كما يصنع المصريون بل كانوا ينقلونها بانفسهم الى الافاق وكان ربانو السفن في سورية طائفة كثيرة العدد شريفة كما دلت الخطوط القديمة . وقاما خلت مدينة شهيرة في المغرب في ايام الملوك الرومانيين من تجار سوريين ومحال تجارية لهم كما ذكر هوميروس وغيره

فكان لمدن بلادنا محلات في ايطالية واوربة وكثير السوريون فيها وامتدت العلاقات التجارية الى يومنا ^(٢) وكانت النصرانية التي دخلت بين اليونان والرومان قد هذبت اخلاقهم خفست معاملاتهم التجارية . وحصلوا اموالهم بالطرق المحللة فبدلوا دراهمهم للأعمال المفيدة

عيسى اسكندر المعلوف

زحلة (لبنان)

في جزء يناير القادم فصل ممتع في « تاريخ التجارة عند العرب »



موازنة بين الجيولوجيا والتاريخ

الجيولوجيا والتاريخ

ان الجيولوجيا في الحقيقة تاريخ. وكما نرى نستطيع ان نعالجها من ناحيتين الاولى — ان نحسبها سफراً للحوادث الكبيرة ووصفها — والثانية ان نحسبها علماً يتناول الاسباب التي سببت هذه الحوادث ونواميس تتبعها. فالاولى ناحية من نواحي البحث يغلب عليها الخيال والثانية يسود فيها العقل والمنطق. والجيولوجيا تاريخ تغلب فيه الناحية الثانية على الاولى

١ — تاريخ العمران يقسم الى عصور بحسب الحوادث الجسام التي تفصل بينها. وهذه العصور يدون ذكرها في مجلدات وفصول وابواب وبنود حسب مقامها. وتاريخ الارض يقسم الى عصور ايضاً تفصل بينها حوادث طبيعية خطيرة حدثت في التكون الجغرافي واحوال الاقليم واشكال الاحياء التي سادت في الارض في عصور مختلفة وهذه الحوادث تدون في مجلدات وفصول هي الصخور على اختلاف طبقاتها

٢ — العصور في تاريخ العمران متصل احدها بالآخر لا يفصل بينها فاصل ظاهر الا في بعض الحوادث التي يسرع فيها الانتقال كالثورات والحروب الكبيرة والانقلابات الاجتماعية الخطيرة. كذلك تاريخ الارض عصور محبوكة الاطراف لا تفصل بينها فواصل ظاهرة الا في الحوادث البارزة كظهور جنس جديد من النبات او الحيوان او حدوث حادث طبيعي يغير وجه الارض او طبائع الاحياء كمصر الجليد

٣ — كل عصر من عصور التاريخ العمراني يمتاز بصفة اجتماعية او عمرانية فينسب اليها فنقول مثلاً عصر الفروسية وعصر الديمقراطية وعصر الحديد وعصر الكهر بائية. كذلك تاريخ الارض. فكل عصر من عصوره يمتاز بطائفة من الاحياء نباتاً كانت او حيواناً. فلدينا عصر الحمار وعصر الاسماك وعصر الزحافات. ولما كانت اطراف العصور محبوكاً بعضها ببعض الآخر فمن المنتظر ان تبدأ تبشير كل عصر بالظهور في العصر السابق

٤ — نجد في التاريخ العمراني ان ما يمتاز به كل عصر ينشأ فيبلغ ذروته ثم يأخذ بالانحطاط ولكنه لا يتلاشى كل التلاشي فجأة بل يخضع للقوى الجديدة الظاهرة في العصر التالي. وعلى

ذلك نجد تاريخ العمران في ارتقاء مستمر. كذلك في تاريخ الارض نجد ان كل طائفة من الاحياء تنشأ وتبلغ ذروة من القوة والسيطرة ثم تأخذ بالانحطاط ولكنها لا تتلاشى بل تحل محلها في الميدان للطائفة الجديدة التي تتلوها لذلك نجد ان مملكتي الحيوانات والنباتات في ارتقاء مستمر صفته الظاهرة زيادة التعقيد في اعضاء الاحياء ووظائفها

٥ — في كل كتاب من كتب التاريخ نستطيع الوقوف على اقسام العصر المؤرخ من المجلدات والفصول التي ينقسم اليها الكتاب ومن طبيعة تقسيم الموضوع الى اقسامه الطبيعية. والاحسن ان يقسم الكتاب الى فصول تتفق مع طبيعة تقسيم الموضوع نفسه. كذلك في تاريخ الارض نحكم على تقسيم الازمنة التي مرت فيها من انواع الصخور الاساسية واختلاف طبقاتها وتميزها ومن التغير الذي حدث في ما نجده في كل طبقة منها من آثار الاحياء. وهذا يقودنا الى البحث في الحفريات او «الآثار المتحجرة»

الحفريات والآثار المتحجرة

لا يكمل الكلام على الجيولوجيا كتاريخ مهما يكن موجزاً اذا خلا من الكلام على ما في الطبقات الجيولوجية المنضدة من آثار النباتات والحيوانات المتحجرة. فان هذه الآثار هي دليل الجيولوجي وابلاغ ما كتب في سفر الطبيعة

لا ريب ان كل قارئ لاحظ آثار نباتات او حيوانات متحجرة في طبقات صخرية. هذه الآثار هم الجيولوجي لانها تطلعه على الاحوال التي كانت تعيش فيها هذه الاحياء. فمن الحقائق الاساسية في علم طبقات الارض ان الصخور المنضدة اتربة راسبة تحجرت في البحار او البحيرات او الخلجان او الانهار. وفي تلك الازمنة المتغلغلة في القدم كما في هذا الزمان كانت الحيوانات الصدفية تمش في البحار فتقذفها امواجه الى الشاطئ وكانت اليابسة منطاة بالنباتات المختلفة وتمرح الحيوانات على سطحها فكانت الجداول والانهار تجرف معها الاوراق والانصان والجذوع وجثث الحيوانات وتدفنها في التربة التي تحملها معها. فهذه الآثار من الكائنات الحية حفظت من غير تغيير تقريباً بين الطبقات الراسبة من ذلك الحين الى هذا الزمن. وتختلف درجات هذا الحفظ باختلاف الزمان والمكان والمادة والكائن نفسه. فقد تحفظ المادة الطرية التي يتركب منها جسم الحيوان وهذا نادر وقد تحفظ اصدافه او هيكله وهو الغالب. اما حفظ المادة الطرية فامثله نادرة. ولعل اشهرها جسم حيوان حفظ كما هو في جليد سيبيريا عصوراً طويلة. وقد بلغ هذا الحفظ درجة اغرت الكلاب بالهجوم عليه

وفي كثير من الاحيان لا يوجد الهيكل متحجراً كاملاً بدقائقه بل يوجد اثر الشكل الظاهر مطبوعاً في الحجر كان الصخر قالب لذلك الكائن يحفظ شكله الخارجي فقط

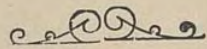
قيل ان هكسلي كان في بدء حياته العلمية شديد الحذر في قبول مذهب النشوء فلما اشتغل بالجيولوجيا ودرس تتابع الآثار المتحجرة فيها وارتقاءها صار من أعظم أنصار النشوء وقال « لو لم يستنبط مذهب النشوء لوجب على علماء الآثار المتحجرة أن يستنبطوه لتعليل ما يرون »

التتابع الجيولوجي

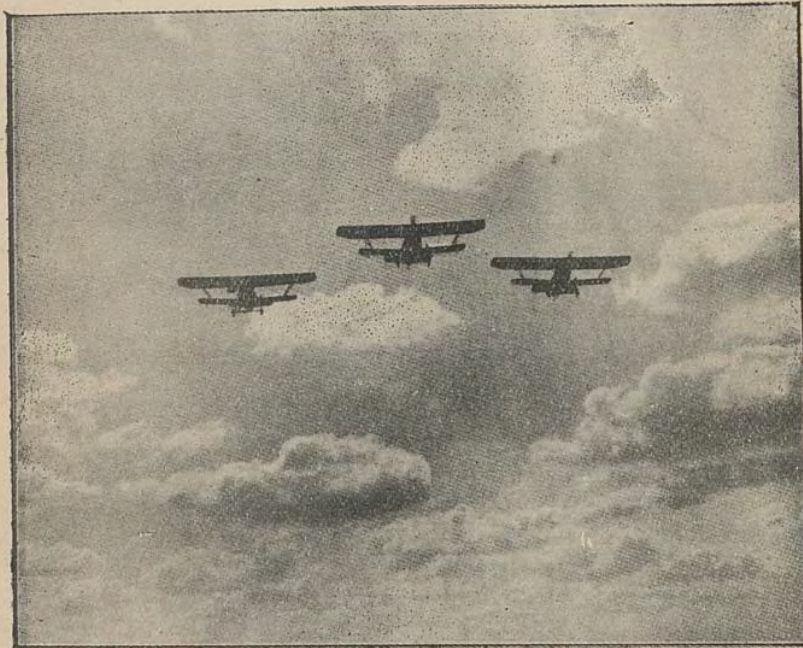
قلنا ان الجيولوجيا تاريخ والصخور المنضدة هي صفحات ذلك التاريخ فاذا شئنا استنطاق الصخور المنضدة لنستخرج منها تاريخاً وجب ان نرتبها بحسب قدمها . هذه غاية الجيولوجي وهي مزدوجة (١) ان يرتب هذه الطبقات من اسفلها الى اعلاها بحسب قدمها (٢) ان يجعلها طوائف طوائف تجمع بين كل طائفة منها مميزات عامة تميزها عن غيرها . اي عليه ان يجد اولاً تتابعها الزمني ثم يقسمها ازمناً وعصوراً

وواضح من رسوب المواد انه لو بقيت جميع الطبقات المنضدة مستوية لكان ترتيبها بحسب قدمها سهلاً ولكن اسفلها اقدمها واعلاها احدثها . على ان الطبقات في اكثر الاماكن اصابتها قوى الارض المختلفة فتجعدت وتكسرت وتشققت وتفتت وجرفت وتغطت هباً بالحراج وهناك بالترتبة على اختلافها واختلاف اعماقها . ومما زاد في الطين بلة انك لا تجد كل الطبقات في كل الامكنة . فقد تجد طبقة ظاهرة على سطح الارض في بقعة من البقاع يعود تاريخها الى اقدم العصور لان كل الطبقات التي رسبت فوقها قد حفرت وجرفت . وتجد الطبقة العليا في مكان آخر مجاور لهذا المكان حديثة التكوين . ولذلك ترى انه لا بد للجيولوجي من درس جميع الطبقات التي يستطيع درسها وموازنة احداها بالآخرى وترتيبها بحسب قدمها . وفي ذلك له طريقتان الاولى مقارنة الصخور التي تتألف منها والثانية مقارنة الآثار المتحجرة التي فيها . فبحسب الطريقة الاولى مثلاً نعرف ان الصخور الرملية تكونت كلها في زمن واحد ومثلها الصخور الرملية الجيرية والصخور الدلغانية ولكن هذه الطريقة تصح على ما يقع في بلدان متجاورة فالصخور الرملية في بقتين متجاورتين لا شك كونت في عصر واحد ولكن ذلك لا يثبت ان الصخور الرملية في جوار نيويورك مثلاً كونت في العصر الذي كونت فيه الصخور الرملية على شواطئ لبنان . فيلزم اذاً ضبط الطريقة الاولى باستعمال الطريقة الثانية وهي موازنة الآثار المتحجرة في الطبقات الصخرية

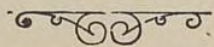
فاذا سار الجيولوجي على هذه المبادئ استطاع ان يضع ترتيباً عاماً للطبقات الصخرية ولا يتم هذا الترتيب الا عند ما تدرس الطبقات الصخرية وما تحتوي عليه من الآثار في كل انحاء الارض عامرها وغامرها



درجت في ممالك الطير ...



ما جناح خرافة حملوني بل جناح حقيقة من هبولى





وهي القصيدة النضواء التي نظمها فوري افندي المملوف نجل العلامة الاستاذ عيسى اسكندر المملوف وقد ترجمت الى البرتغالية . اتحفنا بها والد الشاعر في اثناء زيارتنا لبنان في الصيف الماضي

ملك في الهواء

في عباب الفضاء ، فوق غيومه بين نسر — ونجمته
حيث بث الهواء ، بغير نسيمه كل عطره — ورقته

خلق الشاعر العصامي — منذ البدء — لكن بروحه لا بجسمه
ضارباً في الفضاء مع ربة الشعر ومن حوله عرائس حلمه
ملك قبة السحاب له قصر ، وكل الأثير مسرح حكمه
ذو وشاح من الدجى ، فاح كافور دراريه ، فوق عنبر فمه
هالة البدر كللته بتاج صيغ من نثر فضة حسن نظمه
والسوافي عرش له تقض الليل على جانبيه رهبة رسمه
والثريا في كفه صولجان ذهب الصبح ضم لؤلؤ نجمه
شاعر طائر بغير جناحين بأمر الخيال يقضي وباسمه
ملكه ركنه الهواء ، ولكن إله الخلود قام بدعته
هجر الأرض طالباً راحة الروح بعيداً عن الوجود وظلمه
صد عنه طوعاً بلاء رضاء بعد أن جاءه مقوداً برغمه
هو منه وليس منه ، فما زال غريباً ما بين أبناء أمه !!

نفوس الشعراء

يا نفوساً في بردة الشعراء رفعتهم — على الهواء
ابتعثهم عن عالم الأحياء قربتهم — من السماء

لست من عالم التراب وان كنت تجسدت بالتراب عليه
أنت من عالم بعيد عن الارض يفيض الجمال عن جانبيه
عالم أنت فوقه سمات حملت نفحة الشعور اليه
هو ما زال طاهراً وتقياً لم يدنس إثم الورد بردته

وفى الشعر فيه يستزل الوحي بيانا ، يجثو الخلود لديه
مبقيا طي مصحف الأفق آثا رأ توشي بحسنها صفحته
ما شعاع الاصيل غير هيب شع من قلبه على مقلته
وقتام الغمام غير دخان صعدته الهوم من شفته !!
ما أنين الرياح غير زفير سرقة الرياح من رثته
ونواح الطيور غير أناشيد روتها الطيور عن أصغره !!
ما بريق النجوم غير شظايا كأس حب تحطمت في يديه
وندى الفجر غير در دموع شربتها الازهار من محجريه

عبد ومرة

بين روحي وبين جسمي الاسير كاث بعت — ذقت مره
انا في التراب وهي فوق الاثير انا عبد — وهي حرة

انا عبد الحياة والموت ، أمشي مكرها من مهودها لقبوره
عبد ما تحتوي الشرائع من جو ر يخط القوي كل سطوره
يراع دم الضعيف له حبر ونوح المظلوم وقع صغره
انا عبد القضاء ، عبد هناء وشقاء ، بشيره ونذيره
عبد عصر من التمدن نلهو ضلة عن لبابه بقشوره
عبد مالي ، اسعى اليه فاحظي بعد طول العنا بوطاة نيره
عبد إسمي ، أذيب نفسي وجسمي طمعا في خلوده وظهوره
عبد حي ، جعلت قلبي مأواه فأضمرت اضلعي بسعيره
ان جسمي عبد لعقلي ، وعقلي عبد قلبي ، والقلب عبد شعوره
وشعوري عبد لحسي ، وحسي هو عبد الجمال يحيا بنوره
كل ما بي تحت العبودية العمياء فوق الوجود بين شروره
غير روحي فانها حرة تمشي بروض الخلود ، بين زهوره

هللم يهضم

يا طيور السماء في الريح روحي بي جريا — على الجبل
وبجسمي طيري الى حيث روحي ثم يحيا — بلا جسد

هو حلم ما زال في فكرة الشا عر يطوي الزمان جيلا خيلا

حققته الايام فانظر تجدني قاطعاً في الاثير ميلاً فيلا
 ما جناح خرافة حملاني بل جناح حقيقة من هوى
 فوق (طيارة) على صهوات الريح قامت تذلل المستحيلا
 هي طير من الجماد ، كأن السجى في صدرها تحث خيولا
 فتظن الأزيز فيها عزيفاً وتخال الدوي فيها صيلا
 حين هبت وثباً الى الجوّ تخستال وتعلو فيه قليلاً قليلا
 ثم مدت الى النجوم جناحين وجرّت على السحاب ذيولا
 دفعت موجة الرياح بكفيتها فشقت الى السماء سبيلا
 خبيأ تارة ، وطوراً ويثدا ، صعداً مرة ، وأخرى نزولا
 درجت في ممالك الطير تلقي الذعر من حولها وتؤي الفضولا
 فترى في الطيور كراً وفرّاً وترى في النجوم قلاً وقيلاً !

بين الطيور

قال نسر لآخر: « أي طير هو هذا ومن رفاقه ؟
 ان يكن قادماً الينا لخير فلماذا — علا زعاقه ؟

ياله طائراً بصورة شيطان تبث اللظى مراجل صدره
 يتخطى حدودنا دون إذن فكأننا وملكننا طوع امره
 إنني خائف فلم تر عيني طائراً قط في ضخامة قطره
 فأجاب الثانى: « أعيدك منه فانا عارف دخيلة سره
 نحن لم نهجر البسيطة إلا هرباً منه ، واتقاء لشره
 ليس طيراً لكنه آدمي جاء يستمر الأثير بأسره
 ربما ضاق عن مطامعه السكون فحطت هنا مطاح فكره
 قم بنا لنجمع الطيور ، ونمشي للقاء فتقي بعض غدره
 واذا بالطيور حولي ، وكل صامد لي بمخيليه وظفره !!!
 — لا تخافي يا طير ، ما انا إلا شاعر تطرب الطيور لشعره
 جاء يقضي بعض الدقائق في مغناطيسناك ضيفاً على الهدوء وسحره
 هارباً مثلاً هربت من الانسان والارض ، من شقاها ومكره !

ساكباً في الفؤاد من رعشة النور بعينيكِ بلسماً لجراحه
وسواد الظلام في قلبي حبرٌ أوْشي به بياض صباحه
سأخ الله فيك قلباً نسيّاً هو في الكون مثل قلب ملاحه

اوراق منمارة

أتناسيت يوم كات ضلوعي من شجوني — تمزق
يوم كفكت واكفأ من دموعي في عيوني — يترقّق؟

فاذ كريني بين الكواكب وادعي لي ، عسى يهتدي اليّ السلام
أيّ حلم سبكته ذهبياً لم تذبّه بنارها الايام
ورجاء حبكته من خيوط النور لم ينسدل عليه ظلام؟
أيّ عود حملته للتغني لم تقطع اوتاره الآلام
وغناء نظمته للتسلي لم يبدله بالانين السقام؟
اي كأس قرّبتّه من شفاهي لم تحل حظلاً عليه المدام
وفؤادٍ قطرت فيه فؤادي لم يضع عنده لعهدى ذمام؟
اي طيف طوّقه في منامي لم يحلله بالدموع الغرام
وهناء زرعته في ضلوعي لم يكن منه للذبول طعام؟
ليت شمري والليل يعقبه الفجر متى يعقب البكاء ابتسام؟
ضاع عمري سعيّاً وراء رسوم خطّطتها في الشاطئ الاقدام
وبناء على الرمال . وهل ثبت ركن له الرمال دعام !

بين الارواح

وتمنى في عالم الارواح من قدومي — أي همس
اذ تنشق من حفيف جناحي في السديم — ريح أنس

فتألّن حول جسمي جماعاً ت ملأنّ الجوّ الفسيح دويّاً
واذا بي أعني هنالك أشيا ، ولما حدّقت لم أر شيئاً
فكأنّي في الحلم سكران صاحي تسوّالي روىّ الخيال عليّاً
حام شيّ هناك لم تره عيني ولكن وعاء حسّي جليّاً
طنّ حولي طنين اجنحة النحل ، وأهوى مرفرفاً في يديّاً
هو مثل الأنفاس لفتحاً ونفحاً ، وهو مثل الشعاع نشرّاً وطيّاً

ان فيه للمس برداً ، وللمسمع حفيفاً ، [وللتنشق ريّاً
لم يزل صوته الى اليوم في سمعي وقبلاته على شفياً
غير اني لما اردت له وصفاً غدا طييع البيان عصياً
هو حشد الأرواح فوق سماء قرّبتها عروس شعري إلينا
فتنهت من ذهولي وأصغيت لعلّي اجلو هناك خفياً
ففهمت الذي (توشوشه) الأرواح عني ، وما تفكر فياً

هفنة التراب

قال روح : « حذار يا اترابي واطردوه — عن السماء
هو في الأرض هفنة من تراب فأبوه — طين وماء

هو من نفخة كفت لتجليه وتكفي بذاتها لاحتجابه
وكما كان أصله من تراب السكون يغدو مصيره لترابه
ليته عاد للأديم كما جاء ، نقيّاً في نفسه وإهابه
جاء والطهر والرواء رفيقاه وثوب العفاف كل ثيابه
وتولى يقوده الأثم والدا ، الى القبر في غضون شبابه !
هو يحيا للشر فالشرُّ يحيا ابداً حيث حلَّ شؤم ركابه
وهو لا ينفع البسيطة ، إلا حين يثوي في القبر بين رحابه
حين يمتصُّ الأديم ، فيعطي منه بعض الغدا الى اعشابه
ليت شعري كل النبات الذي في السكون من زهره الى لبلابه
ليس إلا عصير اجسام من ما توا فزانوا الثرى بأجل ما به
مثل طلّ في حماة ، بحرته الشمس ، فاسترجعته عين سحابة
فترام في الجو — ثانية — طلا نقيّاً ، يحيا الثرى بانسكابه !!

ارتقاء ناقص

قال : ما قاله ، وفر لفوره يتوق — تقرّبي
فانبري آخر يقول بدوره : « قلت حقاً — بمذهبي

ما دعوه الانسان من أنسه لكن دعوه الانسان من نسيانه
نسي الخير ثم اوغل في الشر ، فداس الضمير في عصيانه
ملات قلبه أفاعي المعاصي فاسمعوها تفح في خفقانه
حسد ناهش بقية ما في نفسه ، من إبابه وحنانه

طمع يضرم السمع حواليه ، ويعمي عيونه بدخانه
وانانية محل له القتل ، لتحقيق غاية في كيانه
مُنح النطق والذكا ميزة تُفسرُقه في الوجود عن حيوانه
فاذا بالاذى وليد حجاجه واذا بالشورور بنت لسانه
عاث في ارضه فحالت ججياً فأنى الخلد عاثاً في جناحه
زجّ بالعلم في السماء طيوراً من جمادٍ يديرها بينانه
ما اعتلاها الا لقتل البرايا ولهدم البلاد في طيرانه
ليته لم يكن ذكياً ، وليت الكون لم يشهد ارتقا إنسانيه !!

كفارة الشاعر

وتدانت روح هنالك مني رمقتني — بلا غضب
خاتما اقبلت تدافع عني صح ظني — ولا عجب
هي روجي قامت تلخصني من غضب العالم الفخور بشمسية
طوقتي بمعصمها وقالت : « اخواتي رفقا به وببؤسه
هو من عالم التراب ولكن شأنه غير شأن ابناء جنسه
سكن الارض مرغماً وهو لو خيّر ، ما اختار غير ظلمة رمسه
ان بين السرير والنمش خطوا ت دعوها الوجود وهي بعكسه
شاعر ما حياته غير قطرا ت جرت من يراعه فوق طرسه
يتلاشى كالشمع — كي يعطي النور — على هيكل الخلود وقده
غده — مثل يومه — تلعب الاقدار فيه ، ويومه مثل امسه
غسلت عينه بما سكبته من ندي الدمع كل ادران نفسه
والتظى قلبه فطهر بالآلام ما دنسته شهوات حسه
جاء من ارضه يفتش عني يائساً فاحشعوا احتراماً ليأسه
ودعوه معي فني قبلاتي شهد عطف ينسيه علقم كاسه !

على بساط الربيع

ووقفنا ممأ بقلب السماء تملئ — من القبل
ما احب اللقاء بعد التناهي فهو احلى — من الامل
موقف لا يمثل الفكر ابهى منه ، في نومه وفي يقظاته

اذ جلسنا على بساطٍ من السحب ، يفوح الغرام من جنباته
تحت جوٍّ كأنه سنة النور ، ترفُّ الاحلام في طبقاته
والنسيم العليل فوق لظى انفسنا ، ساكب ندى نقاته
وعذارى الارواح تنشد من بعد بصوت الله ، في نبراته !
رافقه قيثارة الحب فانسِلْ آئين الاتار في نغماته
فاتقلنا الى فضاء من السبحان ، هاروت فيه بعض حماه
وملائنا من لفح قبلاتنا السجود ، فعادت بالنفح من قبلاته
ثم قمنا نحيل في الكون ، ابصاراً ارتبنا منه حقيقة ذاته
تنظر الناس من علٍ مثلما تنظر ملائمتي الى غزواته
وزرى الطود في السهول ، كما نبصر فوق التراب ظل حصاته
وزرى الموج في الخضم ، كما نلمح جواً ، والسحب في مرآته !!

على الارض

تلك بضع من الدقائق مرت في خضم — من الملود
هي مثل الاحلام زارت وفرت اي حلم — ترى يعود

واذا بي أهوي الى الارض وحدي بعد حريقٍ اكابد رقياً
تركنتي روحي ، وعادت لماواها تشق الشعاع في الجو شقاً
فرايت اليراع قربي يواسي—ني ، ويبكي لما لقيت وألقي
يا يراعي ما زلت خير صديق لي—منذ امتزجت بي—وستبقى
باسماً من سمادتي حين اهنا باكياً من تعاسي حين اشقى !
كم حبيب سلا وعهدك باقى فهو اوفى عن كل عهدٍ وابقى
أنت رغم الجحود خلّ وفي حوّل المستحيل غولاً وعنقا . .
ربّ دمعٍ كفكفته من عيوني سال حبراً في الطرس يخفق خفقاً
وعذاب نزعته من ضلوعي أجّ بين السطور يحرق حرقاً
وزفير حوّلته لصبري ملا الحافقين غرباً وشرقاً
يا يراعي رافقت كل حيائي فارو عني ما كان حقاً وصدقا
انا لم الق مثل صمتك صمتاً حوّلته عرائس الشعر نطقاً !!

فوزى المألوف



نظرات نقدية في ملحمة

« شاعر في طيارة »

بقلم الدكتور احمد زكي ابو شادي

أسعدني صديقي الأستاذ محرز (المقطف) حينما عهد اليّ بنقد هذه المنظومة البديعة للشاعر النابغة فوزي المعلوف ، لأنّ الأثر الجميل الباهر لا بدّ أن يُهيجَ كلَّ من يتعلّاه بنفسٍ صافيةٍ تفتش عن مظاهر الجمال أينما كان ، ويسرّي أن يشترك معي كثيرون من القراء في الاستمتاع بهذه التحفة الأدبية متابعين هذا النقد لا شكّ في أنّ فوزي المعلوف شاعرٌ رومانطيقيّ موضوعاً وأسلوباً ، وهو في هذه الملحمة — المؤلفة من اربعة عشر نشيداً ، جامعةً لستة وتسعين ومائة من الآيات — أبطالنا بأبهى خياله وبزبدته نظراته الى الحياة ، كما يقدم إلينا تحفةً فنيةً تبرهن لمن بعوزة البرهان أنّ اللغة العربية مؤاتية جدّاً المؤاناة للشعر العصريّ ، فما يرجع قصور هذا الشعر في جملة إليها وإنما يرجع الى الأذهان المقيدة الكليّة ، والى الاخيلة الضعيفة ، والى قصور ثقافتنا بوجه عام

فأمّا مذهبُ الشاعر في الحياة فأقرب ما يكون الى التشاؤم ، والى البثّ من حياة الأسر الجسدية ومن شرور الدنيا التي لا ترضى بها روحية الشاعر النقية ، مع ميلٍ الى الاعتقاد في التناسخ او في وحدة الحياة :

ليت شعري كلُّ النبات الذي في الـ — كونٍ مِنْ زَهْرِهِ الى لبلابه
ليس الا عصير أجسامٍ مِنْ ما — توا فزانوا الثرى بأجل ما به
مثل ظل في حاةٍ ، بَحْرَتُهُ الشَّمْسُ — س فاسترجعته عَيْنٌ سحابه
فترام في الجوِّ — ثانيةً — طلاءً — نقيّاً يُحْيِي الثرى بالنسكابه

وهذه روحٌ خياميةٌ لا جديد فيها ، ولكنّ الشاعر مُطالِبٌ أولاً بالتعبير عما يكنّه وجدانه ، فحسبه أن يعلن عن شعوره وعواطفه في نسقٍ قنيّ ، وهذا ما وفق اليه فوزي المعلوف في أسلوب مبتكرٍ على جناح طيارته ، فكان بذلك مجدداً وإن تناول آراء مألوفة . وهو أقدر ما يكون على تصوير ذلك في نشيده الثاني عشر الموسوم « كفارة الشاعر » إذ يقول :

وتدانت روحُ هنالك مِنِّي رَمَقْتَنِي — بلا غَضَبُ
 خَلَتْهَا أَقْبَلْتُ تَدَافَعُ عَنِّي صَحَّ ظَنِّي — ولا عَجَبُ
 هي رَوْحِي قَامَتْ تَخْلُصُنِي مِنْ غَضَبِ الْعَالَمِ الْفُخُورِ بِشَمْسِهِ
 طَوَّقْتَنِي بِمَعْصِمِهَا وَقَالَتْ : « أَخَوَاتِي ، رَفَقًا بِهِ وَيَوْسَهُ
 هُوَ مِنْ عَالَمِ التَّرَابِ وَلَكِنْ شَأْنُهُ غَيْرُ شَأْنِ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ
 سَكَنَ الْأَرْضَ مُرْغَمًا ، وَهُوَ لَوْ خَبِثَ بِرَمَا اخْتَارَ غَيْرَ ظَلَمَةٍ رَمْسَهُ ! »
 وهذا احتقار متناهٍ للحياة . وهو يرى أن ارتقاء الإنسان ارتقاء ناقصٌ أو معكوسٌ
 (النشيد الحادي عشر) :

فَإِذَا بِالْأَذَى وَلِيدُ حِجَاةٍ وَإِذَا بِالْشُّرُورِ بِنْتُ لِسَانَةٍ
 وَكَلَّهُ سَخَطٌ عَلَى الْإِنْسَانِيَةِ الْعَمِيَاءِ وَازْدِرَاءٌ لِنَزَعَاتِهَا ، يَقُولُ عَلَى لِسَانِ أَحْدَا الْارَوَاحِ
 عَنْ أَخِيهِ الْإِنْسَانِ (النشيد العاشر) :

هُوَ يَحْيَا لِلشَّرِّ فَالْشَّرُّ يَحْيَا أَوَّلًا حَيْثُ حَلَّ شَوْمُ رَكَابِهِ
 وَهُوَ لَا يَنْفَعُ الْبَسِيطَةَ إِلَّا حَيْثُ يَشْوِي فِي الْقَبْرِ بَيْنَ رَحَابِهِ
 حَيْثُ يَتَمَصَّصُهُ الْأَدِيمُ ، فَيُعْطِي مِنْهُ بَعْضَ الْغِذَاءِ إِلَى أَعْشَابِهِ

وعندي أن نظرات الشاعر الفلسفية الاجتماعية ليست خاليةً في مغزاها من الجديد
 فحسب بل هي ضاربةٌ أيضاً ، فلا سلوى ولا فائدة منها للإنسانية ، واحسب أنها نزعَةٌ تقليدية
 متغلغلةٌ بين معظم أدبائنا ، أو كما هي شروحٌ متتابعةٌ للبيت القديم :
 عَوَى الذئبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذئْبِ إِذْ عَوَى وَصَوَّتَ الْإِنْسَانُ فَكَدْتُ أَطِيرُ !
 ولا أدري لماذا ننسى حقيقةً أخرى : وهي أن الإنسانية في مجاتها تسير إلى الأمام
 في الجمال الروحي والفكري بل والجسدي أيضاً ؟ لماذا تنظر نظرةً قصيرةً هي أقرب ما
 تكون إلى الانانية فنسخط على العالم لآلامنا وتضحياتنا الذاتية ، وتسناسي إلى جانب
 ذلك نظام الحياة الاسمي الذي يجعل الفرد للجماعة وإن جعل كذلك الجماعة للفرد ، لصالح
 هذه الجماعة في النهاية ؟ كذلك لا أدري لماذا لا نفرّ بأن لنا في المدنية الإنسانية برغم عيوبها
 سلواناً وعزاءً :

وَالْحَسَنُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى صَوَرٍ لَكِنَّا يَجْذِبُ الْإِنْسَانَ الْإِنْسَانُ
 وَلَئِنْ كَانَ فِي سَخَطِ الشَّاعِرِ وَفِي تَقْرِيعِهِ لِأَبْنَاءِ جَنْسِهِ أَوْ نَوْعِهِ تَهْذِيباً وَتَرْبِيَةً ، فَأَجَلُ
 مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَحْمِلَ أَمَامَهُمْ مِصْبَاحَ الْأَمَلِ وَحُبَّ الْجَمَالِ الَّذِي هُوَ نِعْمَةُ الْحَيَاةِ بِلِذَاتِ الْحَيَاةِ كَمَا

فعل الدكتور روبرت برджер في ملحمته (عهد الجمال — *The Testament of Beauty*) ، وهذا ما خلست منه هذه المنظومة الموصوفة بأنها « فلسفية اجتماعية » ، واكتفى الشاعر بعد صخبه وشكاته بالالتجاء الى دموعه وأحلامه الفائضة على براعته . فرسالة الشاعر في هذه الملحمة ليست رسالة أمل قوية بانية ، ولكنها رسالة بثٍ وشكوى ويأسٍ مع شيء من التصوف

وأما خيال الشاعر فهو الخيال الجاحج الثواب المعهود في جميع الشعراء اللبنانيين تقريباً ، وهذا من صميم روح الشعر . وخير أناسيد « شاعر في طيارة » هي الحلقة مع هذا الخيال البديع كما تلاحظ في نشيد الاستهلال وفي تضاعيف معظم الاناسيد الأخرى ، لا سيما في النشيد الثاني والرابع والسابع والثالث عشر — وهي التي وصف فيه شجوره وهو طائر:

موقف لا يُثبِّل الفكر أبهى منه ، في نومٍ وفي بقظاته .
إذ جاسن على بساط من السحج بر يفوح الغرام من جنباته
تحت جوٍّ كأنه سِنَّة النُّوم ، ترفُّ الأحلام في طبقاته !

وأما عن أداء هذه الأخيلة والمعاني فقد جاء جميلاً حقاً ، وقد أحسن الشاعر بتقسيم ملحمته الى عدة أناسيد متنوعة القوافي ، متدرجاً فيها من حلمه بمثلك الهواء ، الى تحليل نفسية الشاعر ، الى تحقيق حلمه ، الى وصف تجواله الهوائي ، الى خواطره أثناء طيرانه وأجملها مفاجأة الأرواح له ، وأخيراً عودته الى أمه الأرض . وأحسن كذلك بأن أسهل كل نشيد بيتين رشيقين ضمنهما صفوة النشيد ، فكان مشوقاً بهما الى مطالعته ومساعداً على تنويع النغات ومريحاً لنفس القاريء

وأما عن النسق النظمي فهو في جملة رقيق جيد ، وإن جاء ضعيفاً في مواقف مع اباحات لفظية لا يقرها الشعراء المدرسيون ولا سيما المصريون منهم: كالاكثر من قصر المدود ، وكاستعمال ألفاظ في غير موضعها إلا على سبيل التجوز — وهو مالا موجب له مثل قوله « طوقتي بمعصمها » والأصوب أن يقول « طوقتي بساعديها » . ولكن هذه هينات لا يؤبه لها في تقدير هذا الشاعر النابغة الذي يستحق الثناء الجم والتهنئة ، وما كنت لأشير إليها إلا حباً في انصافه كما أنصف هو بنظمه الشعر العربي ، والبيئة المتحضرة الراقية التي غدنته بحب التسامي ، وكما أنصف وطنه الاصيل الذي أنجب غير واحد من نوابغ شعراء العربية المجددين ، وقد وسمتهم ربيع الأرض الحرة بحرية الخيال والفكر والتعبير ، فكان معظمهم صلة قوية بين محاسن الاديين الشرقي والغربي



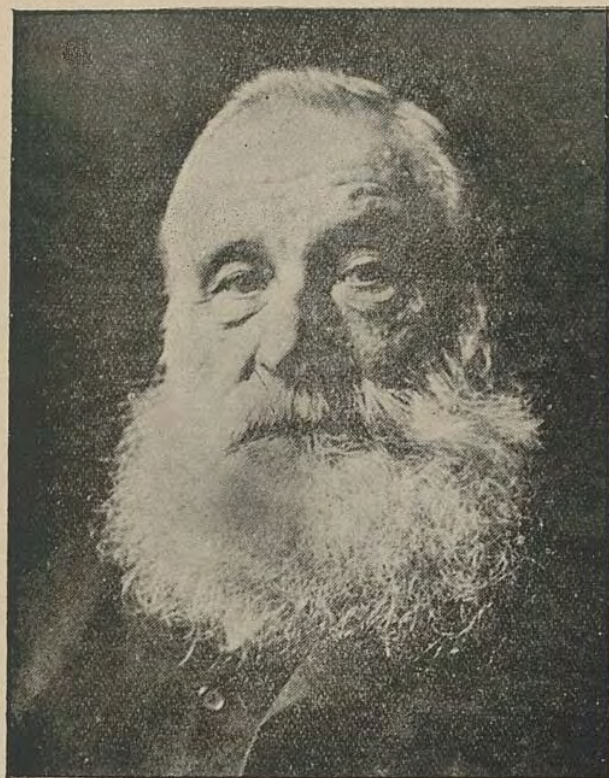
رَجَاءُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ

اسرة بركن الكيماوية

تبدو سنة ١٨٥٦ في تاريخ الصناعة العلمية علماً بين السنين . ففيها استتبسط بسمر اسلوبه المعروف باسمه لصنع الفولاذ متين البناء رخيص الثمن وفيها كذلك كشف وليم بركن وهو فقي الثامنة عشرة عن اول صبغ من الاصباغ الصناعية المستخرجة من قطران الفحم الحجري كان بركن حينئذ تلميذاً للاستاذ هو فان الكيماوي في كلية العلم الملكية في لندن فاقترح الاستاذ على تلميذه ان يبحث عن طريقة تمكنه من استقطار الكينا — وهو من اثنى العقاقير الطبية — من قطران الفحم الحجري . فأخذ التلميذ باقراح معلمه وهو لا يدري ان بين يديه مشكلة من اعقد المشاكل الكيماوية لم تحل حتى يومنا هذا . على ان البحث عن « المستحيل » كثيراً ما ادى في تاريخ العلم الى مكتشفات في الطبقة الاولى غرابة وفائدة

ففي ذات ليلة كان بركن واقفاً في معمله عابساً مقطب الحين لانه كان قد قضى يوماً آخر من غير ان يقترب الى ضالته المنشودة . وكان يقلب بين يديه كاساً في قعرها كتلة قدرة من زيت الانيلين وغيره من المواد الكيماوية التي تتخلف من قطران الفحم فخطر له اولاً ان يرمي بالكتلة حقناً . وكان يد القدر ثلثه عن عزمه فتوقف قليلاً ثم مد يده الى زجاجة تحوي الكحولاً سكب منها في الكأس حتى دهاقها فلمع امام عينيه لون من ازهى الالوان وابدعها هو اللون البنفسجي اول الاصباغ الصناعية ورائد صناعة عظيمة ارتفع مقامها وتعددت فروعها حتى اصبحت ولها شأن اي شأن في اعمال الحرب والسلم . وقف بركن هناك وهو لا يدري انه قد فتح الطريق الى ميدان فسيح من الاكتشاف الكيماوي وان من هذا القطران الاسود الكريه الرائحة الذي تتلخص فيه عصور طويلة من الافعال الجيولوجية في الغابات ستخرج ازهى الالوان وازكى العطور واقتك المتفجرات وانجم العقاقير وان على هذا النفاية

نفاية القارات والعصور ستبنى صناعة واسعة النطاق بل صناعات كثيرة واسعة النطاق كان والد بركن بناء وكان ينوي ان يعلم ابنه هندسة البناء ليقفني اثره . والواقع ان بركن الصغير صار بناءً فيما بعد ولكنه لم يبن دوراً صغيرة او قصوراً ناطحات السحاب بل بنى



السر وليم پرکن في شيخوخته
(١٨٣٨ — ١٩٠٦)

في ميدان الكيمياء العضوية ما يحسده عليه البناء اذ على اساس مكتشفاته بنيت مئات العامل في المانيا وفرنسا وانكلترا واميركا بل ان بلدة البرفرد الالمانية باسرها شيدت ليأوي اليها ويعمل فيها المشتغلون بتطبيق مكتشفاته المتعددة

كان الفتى ركن في الرابعة عشرة من عمره حين شاهد اتفاقاً تجارب كيمائية يجربها صديق له فأخذها وعزم في الحال ان يصير كيمائياً. وانتظم في سلك «مدرسة مدينة لندن» حيث تلمذ على الاستاذ توماس هول الذي درسه مبادي العلوم فكان للاستاذ اكبر اثر في حياته لانه كان من اولئك المعلمين الذين يحبون الدرس الى التلميذ. ولا ننس ان «العلم» في ذلك الزمن لم يكن له المقام الاول بين الدروس فعينت فترة الظهور لدرس الكيمياء في برنامج المدرسة اليومي. فكان الفتى ركن لشدة إعجابه بمعلمه وشغفه بالكيمياء ينسى طعام الغداء لكي لا يفوته شيئاً مما يفوه به الاستاذ. وعلاوة على ذلك كان يعاون معلمه في اعداد المعدات للتجارب الكيمائية المختلفة

واقترح عليه الاستاذ هول ذات يوم ان يكتب الى فراداي وهو اعظم علماء الانجليز حينئذ ومدير المعهد الملكي طالباً منه تذكرة تمكنه من سماع المحاضرات التي يلقيها. فعطف فراداي على العالم الناشئ وارسل اليه التذكرة المطلوبة. وهكذا تم لركن مع فراداي ما تم لفراداي مع السر همفري دايفي من قبل وكان غم العلم والصناعة من ذلك لا يقدر بمال وما زال ركن يستعطف اياه ويناقشه ويتوسل اليه حتى اقنعه بصواب رأيه في اتخاذ العمل العلمي دستوراً له في الحياة. فانتظم في سلك كلية العلم الملكية بلندن لتلميذاً في فرع الكيمياء. فكانت الصداقة التي احكت اواصرها بين الاستاذ هو فنان وتلميذه ركن جلية العود على العلم والاستنباط. ذلك ان الاستاذ هو فنان كان كيمائياً عظيماً واستاذاً بارعاً ومحاضراً يستهوي القلوب ففتن به الطالب الفتى فطلب اليه ان يسمح له بسماع المحاضرات الكيمائية التي يلقيها مرة ثانياً. ولم تنقضي عليه سنتان في كلية العلم حتى ملك ناصية الكيمياء العامة ودرس قواعد التحليل النوعي وكان من آثار نبوغه وتفوقه ان عهد اليه الاستاذ وهو لا يزال في السابعة عشرة من العمر ان يكون مساعداً له. فحالت اعماله كمساعد لاستاذ دون البحث العلمي البكر وهو ما وطن النفس عليه منذ البدء ولكن ذلك لم يضعف عزيمته فاقام في داره معمل كيمائياً صغيراً وجعل يقضي فيه ليلاته وايام عطلة المدرسية. في هذا المعمل الصغير، في اثناء عطلة عيد الفصح كشف الفتى ركن — وهو في مطلع الثامنة عشرة من عمره — عن اول الاصباغ الصناعية الذي مر ذكره في صدر هذا المقال

سحر بجمال اللون وزهوه وللحال صرف نظره عن مسألة « الكينا » وعزم ان يستفرد
مادة هذا اللون من الكتلة التي امامه ويكشف عن طريقة صنعه . ففاز بضالته بعد ايام متعاقبة
من الحنية والقنوط . ومن الغريب ان اللون البنفسجي لو كان نقياً حين كشف عنه بركن لما تمكن
من العثور عليه اتفاقاً ولكن وجود مادة معه تدعي « تولويدن » جملة حاسبه بالكحول سهلاً
ولما استفرد بركن صبغه بعث به الى اصحاب محل يار الصباغين لتجربته فجاء الرد بعد ايام
وفيه ما ياتي : اذا كان اكتشافك لا يجعل البضاعة المصبوغة به اعلی ثمناً فهو من اثنان الاشياء
التي كشف عنها من زمن طويل . فكانت خطوته الاولى ان يطلب تسجيل اكتشافه فاعترضه
القول بانه لا يزال دون السن القانوني وهذا يحول بينه وبين الفوز بامتية فاجأ الى المتضلعين
من رجال القانون فافتوا بجواز ذلك لان « البتنة » اي تسجيل المكتشفات والمستنبطات انما
هي منحة من الملك لا بناء رعيتيه ولا فرق عنده بينهم في السن

فلما سجل استبطاه عزم ان يخوض ميدان الصناعة ورغماً عن ارادة استاذة هو فان ومشورته
تخلّى عن مباحثه الكيماوية في كلية العلم الملكية وجعل يفتش عن المال اللازم للقيام بمشروعه الصناعي .
ولكن الممولين الذين فاتحهم في الموضوع كانوا مرتابين في صحة العمل وامكان نجاحه . وقد كان
هذا شأنهم في كل المكتشفات والمستنبطات في كل عصور التاريخ . على ان رجلين كانا يثقان ثمة
عمياء بنبوغ الفتى بركن فاعطياه كل ما وفراه من مال — وهما ابوه واخوه الاكبر . فتأسس
معمل « بركن وابنائيه » بمال الوالد والولد الاكبر سنة ١٨٥٧ وجعل موضوع الترجمة مديراً
فنياً له وهو في مطلع التاسعة عشرة من العمر

تم بناء المعمل في يونيو ١٨٥٧ ولكن اين الآلات التي تقوم بالعمل ؟ ولما كان العمل
جديداً في ميدان الصناعة لم يكن في الامكان شراء الآلات التي تقوم به . فوجب على بركن
ان يرسم تصميم الآلات التي يحتاج اليها ويعهد الى مصانع الآلات في صنعها حسب تعليماته .
حينئذٍ ادرك ان عمله معرض لمصاعب ادهى من مصاعب الاكتشاف نفسه . فلم يكن امامه
مثال يحتذيه بل كان يجب عليه ان يبدع كل صغيرة وكبيرة في المعمل . وما ابدعه هذا الفتى
اصبح بعد قليل مثلاً يحتذى في كل انحاء العالم

ولما تم تجهيز المعمل بالآلات الكافية بحث عن المادة اللازمة لتحضير الصبغ منها فلم
يجدها . ذلك ان القطران الفحمي الحاصل من تقطير الفحم في تحضير الغاز كان يرمى
لانه في رأي اصحاب الصناعة حينئذٍ كان نهاية لافائدة منها وكانت مادة الايلين التي
يستخرج منها من النواذر . والايلين هذا هو مصدر الالوان الزاهية التي كشف بركن

عن اولها. فبحث هو واخوه عن البنزين الذي يحضّر الانيلين منه ليستعملاه في تحضير الانيلين ثم في تحضير الصبغ البنفسجي فعثرا بعد شق النفس على مقدار طفيف منه في غلا سجو فابتاعا ربع الجالون منه بريال . وكان بنزينا قذراً فاضطرا ان يعيدا تقطيره على ان العقبات كانت لاتزال واقفة له بالمرصاد . لان اخراج الفكرة العلمية من حيز القوة والنظر الى ميدان الصناعة والتجارة هو ما كان يطلب منه . وفي كل ذلك وجب عليه ان يكون الرائد في استنباط كل ما يلزم له من المواد والالات . ذلك انه بعدما استجمع كل المعدات كانت خطوته الاولى معالجة البنزين بالحامض النتريك . ولكن اين الحامض النتريك ؟ الغاية واضحة والطريق ممهدة وينقصنا الحامض النتريك فلنصنعه من نترات الصودا الشيلية والحامض الكبريتيك . هذا ما قاله الاخوان واخذ صاحب الترجمة في الحال يتدع المعدات لصنعه فكان الفوز في النهاية حليف نبوغ يحالفه جد وجراة واكباب

ولكن المصائب لاتأتي فرادى . فالصبغ امام الجمهور ومزيته على الاصباغ النباتية ظاهرة واضحة ولكن الصباغين لا يستعملونه . فلنعلمهم ولنعودهم استعماله . وكان هذا الصبغ يوخ متى صبغت به الانسجة القطنية فاكب بركن على البحث والتجربة حتى كشف عن المواد التي تثبته ولم تقضي ستة اشهر حتى كان صبغه مستعملاً في اشهر مصانع انكلترا . ومنها اتصل ببلدان اوربا فبنيت المصانع لصنعه في فرنسا والمانيا وزاد المطلوب منه من معمل بركن وابنائيه حتى اضطروا ان يوسعوا معملهم مراراً في ثلاث سنوات . وكان اكتشاف الصبغ البنفسجي كان عود ثقاب في الهشيم فحمل جمهوراً من الباحثين على البحث الكيماوي في فطران الفحم الحجري واكتشاف المكتشفات فيه . وذاع اسم بركن حتى اصبح معروفاً في اوربا كاعظم ثقة في موضوع « الاصباغ » وفي سنة ١٨٦١ اذ كان في الثالثة والعشرين من عمره دعي لالقاء محاضرة في الجمعية الكيماوية في موضوع « اصباغ الفطران » ولشد ما كانت دهشته وفرحه لما شاهد في جمهور الحاضرين العالم الانكليزي الممتاز فرادي الذي تقدم اليه بعد الخطبة واعرب له عن تهنته له . وسنة ١٨٦٦ انتخب رفيقاً في الجمعية الملكية

وفي سنة ١٨٦٨ اكتشف جرايب وليبرمن ان الاليزارين (الصبغ الاحمر) منحدر من منحدرات الاثراسين وهذا من منتجات الفطران كالبينزين . ولكن طريقة تحضيرها له في العمل الكيماوي كانت كثيرة النفقة لا تصلح للاعمال التجارية فاكب بركن على العمل لاستنباط طريقة تجارية ففاز بذلك في اقل من سنة وسجله في يونيو سنة ١٨٦٩ فكان هذا الاكتشاف آخر مسبار ضرب في النعش المعد لصناعة الصبغ الاحمر الطبيعي

المستخرج من جذر الفوة . ولم يذع النبأ بان بركن صنع هذا الصبغ الطبيعي بطريقة صناعية حتى انماالت عليه الطلبات فلم يستطع تلبيةها كلها . ومع ذلك لم يكتفِ بالبحث في موضوع الاصباغ الصناعية والتفوق فيه بل حوّل نظره الى استقطار العطور الصناعية الزكية الرائحة من قطران الفحم ففاز بذلك وكان اول من استقطر مادة «الكومارين» وهي احدى المواد الاساسية المستعملة الآن في تركيب العطور الصناعية

هذا النجاح التجاري العظيم وهذه الثروة التي كانت تدر عليه ميازيها من معامل لم تغرم بالبقاء في ميدان الصناعة فباع معمله سنة ١٨٧٤ وانقطع للبحث العلمي المجرد فأصبح من رواد العلماء في ميدان الكيمياء العضوية وكشف فيها عن مبادئ وأصول خطيرة لا محلّ للتبسط فيها الآن . وسنة ١٨٧٩ منح المدايلة الملكية من الجمعية الملكية سنة ١٨٨٩ منح مدايلة دايشي سنة ١٩٠٦ احتفل بانقضاء خمسين سنة على اكتشافه للصبغ البنفسجي بلندن ومنح وسام فارس ولقب سير . وكرّمته اشهر الجمعيات الكيماوية في أنحاء العالم فضربت في نيويورك مدايلة خاصة تعرف بمدالية بركن ومنحت له أولاً وهي تمنح كل سنة للكيماوي الاميريكي الذي يؤدي اكبر خدمة لعلم الكيمياء . وتوفي في السنة التالية شيخاً قد شبع من الأيام والمجد بعد ما خدم العمران خدمات لا تقوم بمال

ولعلّ اعظم عمل قام به هو تنشئة اولاده الثلاثة الذي اصبحوا كلهم من اعلام البحث الكيماوي . وقد توفي احدهم في الشهر الفائت — بعد ما شغل كرسي استاذ الكيمياء في جامعات ادنبرج ومنشستر واكسفرد خمساً وثلاثين سنة متوالية فقال الاستاذ ارمسترنج الكيماوي فيه ما خلاصته : —

« ان وفاة وليم هنري بركن الصغير (نجل السر وليم بركن مكتشف اول اصباغ الانيلين) فاجعة فجع بها رجال العلم وكارثة اصاب بها علم الكيمياء . ان الخسارة لا تعوّض . لأن انجاب رجال من طبقته متعذر اليوم . ذهب ولم يمت عمله بعد فهو لم يزل في غفوان قوته العقلية وابداعه العلمي . ان سيرته العلمية خالية من الحوادث التي تلفت الانظار ومباحثه ومكتشفاته ليست مما تظنن به الصحف اعلاناً عن صاحبها . وُلِدَ في ١٧ يونيو سنة ١٨٦٠ فتعلم في مدرسة مدينة لندن اولاً ثم انتقل منها الى كلية العلم الملكية وهو في السابعة عشرة من عمره . وبعد ما لبث فيها سنتين ذهب الى المانيا فدرس في جامعة ولسلينيوس في فرتزبرج ثم بمعهد باير في مونيخ وبعد ما قضى خمس سنوات ينهل من مناهل العلم الالماني عاد الى وطنه فقضى سنة في كلية اون بنشستر ثم عين استاذاً للكيمياء

في جامعة ادنبرج فظل في منصبه هذا عشر سنين انتقل منه الى جامعة منشستر وفي سنة ١٩١٢ وقع عليه الاختيار ليشغل منصب استاذ الكيمياء في اكسفر فبعث الحياة في دراسة الكيمياء فيها ببرايعته في الاكتشاف والاستنباط . كانت الكيمياء في اكسفر قبله ميتة فبعثها حياة وهي تكاد تتفجر الآن من قوة الحياة تجري في عروقها

« انك لا تستطيع ان تفهم الولد الا اذا فهمت الوالد (السر وليم) فبركن الصغير اخذ بعلم الكيمياء كما يأخذ البط في العوم . لقد كانت الكيمياء في دمه بل في عظامه . فأصبح الأستاذ وليم في شبابه رجولته وكهولته من ابرع العلماء واخصبهم اتجاهاً . حقا ان اسرة بركن اسرة غريبة . فالوالد ونجله الاكبران ثالوث كيمائي منقطع النظير في تاريخ العلم . لقد اقتفيا آثار ابيهما فشغفا بالبحث العلمي حباً به كان الشعلة التي حملت اباهما على الانصراف من الصناعة الى العلم قد انتقلت اليهما . اما اخوها الثالث وهو من زوجة السر وليم الثانية فمهندس كيمائي وله مقام كبير كعالم وكاتب ومبدع »

ومن اهم مستنبطات الاستاذ بركن التي تم الجمهور استنباطه لطريقة تمكنه من معالجة الفطن حتى لا يقبل الاحتراق وطريقة لصنع اللستك الصناعي . فاذا تمكن العلماء من استعمال طريقته الاخيرة والتوسع فيها حتى يخرج اللستك الصناعي رخيصاً كاللستك الطبيعي كان عمل الاستاذ بركن في المقام الاول بين مستنبطات العصر

قال الاستاذ ارمسترانغ : « ومع ان مكانة الولد في ميدان الكيمياء والبحث الكيمائي تفوق مكانة الوالد نراه قد نجح حقاً في وطنه وخارجته . ان القاب الشرف التي حازها ليست كثيرة . ومن قبيل الاعتراف بعلمه كان يجب ان ينال جائزة نوبل لاني ارى ان قللاً من الكيمائيين الذين فازوا بها يضاهونه في انتاجه العلمي براءة واثراً . ولكن عمله لم يكن من الاعمال التي تلفت الانظار ودعته كانت تمنعه عن الاعلان عن نفسه . والظاهر ان اللجنة الاسوجية التي توزع هذه الجوائز لا ترى كيمائياً انكليزياً جديراً بها . فلا السر وليم كروكس نالها ولا الاستاذ ديور . لقد قيل لي ان هؤلاء لم ينالوها لان مواطنهم لم يقترحوا اسماءهم على اللجنة الاسوجية . فاذا كان هذا الشرط اساساً في منح جائزة نوبل وجب الاسراع الى الغائبة . لان العلماء كسائر البشر يتحاسدون ومنح جائزة علمية في هذا المقام يجب ان يتم بروح علمية مجردة عن الهوى . اما الامر الذي يؤسف له فهو ان الاستاذ بركن واخاه من غير عقب . كان هناك عاملاً خفياً يحدث العقم بين العلماء . هذه مسألة يجب ان نعيدها شأنها من العناية والانتباه لان اسرة كاسرة بركن اعطتنا ثلاثة كيمائيين ممتازين في حيايين متعاقبين يجب ان لا يبديد نسلها من الارض »



تَارِيخُ الْغِنَاءِ الْعَرَبِيِّ

(٦) طويس

كانت الحلقة الخامسة من سلسلة « تاريخ الغناء العربي » خاتمة العصر الأموي وقبل البدء في تاريخ الغناء في العصر العباسي رأيت أن أترجم لأشهر المغنين الذين نبغوا قنبهوا في عهد الأمويين ورأسهم طويس لعدة منا سلفت وعزيمة صحت فصدقت

﴿مولده ونشأته﴾ ولد طويس يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول في السنة العاشرة الهجرية الموافقة سنة ٦٣٢ ميلادية . حدث طويس عن نفسه قال : إن أمي كانت تمشي بين نساء الأنصار بالهائم ثم ولدني في الليلة التي مات فيها رسول الله وفطمتني في اليوم الذي مات فيه أبو بكر وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان وولدت لي في اليوم الذي قتل فيه علي فمن مثلي ؟ !! ولذلك ضربت العرب المثل به في الشؤم فقالت أشأم من طويس والطاوس طائر معروف حسن المنظر وجماله في ريشه البهيج ذي الألوان الكثيرة البديعة وهو يختال بذنابه الطويل الحسن رواؤه . ويضرب بالطاوس المثل في الخلاء وطويس مصغر طاوس بعد حذف الزيادات تصغير ترخيم وكان المغني قد لقب طاوساً بعد ولادته ولبث لقبه كذلك حتى كان يافعاً فلما تحنث لقب طويساً تيمناً واسمه عيسى بن عبد الله الذائب مولى بني مخزوم القرشيين وكان يكنى أبا عبد النعيم وهو أول من غنى في الإسلام بالمدينة ونقر بالدف المربع . وكان قد أخذ طرائق الغناء عن سبي فارس وذلك أن عمر رضى الله عنه كان صير لهم في كل شهر يومين يستريحون فيهما من المهن فكان طويس يغشاهم حتى فهم طرائقهم . وكان خليعاً يضحك كل ثكلى فمن مجاته أنه كان يقول يأهل المدينة ما دمت بين أظهركم فتوقعوا خروج الدجال والدابة وإن مت فاتم آمنون . وكان يظهر للناس ما فيه من الآفة غير محتشم منها ويتحدث بها . ولا غرو إذا ضربت العرب به المثل في ذلك فقالت أخت من طويس . وكان طويلاً أحول مضطرب الخلق !! ولما خصى مع سائر الخنثين في المدينة المنورة قال ما هذا إلا ختان أعيد علينا وكان ذلك في عهد سليمان بن عبد الملك وكان والي المدينة من قبله ابن حزم وهو الذي أطاع أمره فخصاهم لما أفسدوا النساء على الرجال !! والرجال على النساء . روى أن جارية

لسليمان بن عبد الملك تدعى الذلفاء حضرته ذات ليلة بدريّة في معسكره وعليها حلّى ومعصفر
فسمع في الليل سميّره ونديمه ومغنيّه سنانا يقول

وغادة سمعت صوتي فأرقها من آخر الليل لما ملّها السحر^(١)
تدنى على نخذيها من معصفرة والحلى دان على لبّاتها خضر
لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق قدمها بأعلى الخد ينحدر
في ليلة البدر ما يدرى معانيها أوجهها عنده أبهى أم القمر
لو خليت لمشت نحوى على قدم تكاد من رقة للمشى تنفطر

فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت إلى وسط الفسطاط (الخيمة) تستمع فجلت لا تسمع
شيئاً من خلق ولطافة قدّ إلا الذي وافق المعنى ومن نعت الليل واستماع الصوت الا رأيت
ذلك كله في نفسها فحرك ذلك ساكنة في قلبها فهمت عيناها وعلا نشيجها فانتبه سليمان من نومه
فلم يجد معها فخرج إلى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحال فقال لها ما هذا يا ذلفاء فقالت:
ألا ربّ صوت رائع من مشوّه قبيح الحيّا واضع الأبّ والجدّ
يروعك منه صوته ولعلّه إلى أمة يعزى معاً وإلى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك ما خامر. يا غلام عليّ بسنان فلما أتى به قال
باسنان ألم أنهلك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حماني المثل وأنا عبد أمير المؤمنين وغذى نعمته
فإن رأى أمير المؤمنين ألاّ يضيع خطه من عبده فليفعل. فدعا حجاباً ما ليخصيه فدخل إليه عمر
ابن عبد العزيز وكلمه في أمره فقال اسكت ثم خصاه خشية الفتنة ودعا كاتبه فأمر أن يكتب من
ساعته إلى عامله ابن حزم بالمدينة لما علم أن الغناء قد فشا فيها بالسنة الخنثين « أن احص
الخنثين المغنين » فتشظى قلم السكائب فوقت نقطة على ذروة الحاء فكان ما كان مما تقدم ذكره.
وكان سايان يريد من احصائهم خصيمهم كما فعل بسنان سميّره. وقد وهم المبداني إذ نسب الأبيات الفاتئة
إلى رجل يدعى سميرا وفي الروايات اضطراب وقد أتينا على الخلاصة مع التحري وتمام النسق
(منزله في الغناء) طويس أول من غنى في الإسلام الغناء الفنى الرقيق نقلاً عن
الفرس — وأول من صنع الرمل والهزج في الإسلام وأجاد فيه حتى ضرب به المثل فقليل
أهزج من طويس. وأول صوت غنى به (وكان في عهد عثمان بن عفان)

قد برأى الشوق حتى كدت من شوقي أذوب

وقد تخرّج عليه في الغناء كثير من تلاميذه المغنين أشهرهم ابن سُرَيْج والدلال

(١) رواية الشعر للمبداني وقد رواه ابن عبد ربه والجاحظ بتغيير قليل في كلماته مع اطلالة في القصة
فإن شئت فارجع الى العقد الفريد والحاسن والاضداد وقوله خضر أى بارد وهذه حالة مستمالة عند العرب
على الاصل خضر بالضاد وهو تحريف من النسخ او الطبع فتأمل

ونؤومة الضحى فأخذوا طرائق تلحينهم عن طويس ثم أبدعوا فيها أيما إبداع
واجود صوت غناه ولحنه من خفيف الرمك قول ابن قيس الرقيات

يا لقوى قد أرقنى الهموم ففوادى مما يجن سقيم
أندب الحب في فوادى ففيه لوتراءى للناظرين كلوم^(١)

وقد كانت لطويس منزلة عالية لدى الأمراء من الأمويين والهاشمين لحذقه الغناء
وإتقانه الصنعة ولحسن صوته وإجادة تلحينه ولسموه في اختيار الشعر الذى يتغنى به. يدلك
على ذلك أنه لما ولى أبان بن عثمان بن عفان المدينة المنورة من قبل معاوية بن أبى سفيان
قعد فى بهو له عظيم واصطف له الناس فجاء طويس المغنى وقد خضب يديه غمساً!! واشتمل
على دفي له وعليه ملاءة مصقولة!! فسلم ثم قال بأبى وأمى يا أبان الحمد لله الذى أرايك
أميراً على المدينة إني نذرت لله فيك نذراً إن رأيتك أن أخضب يدي غمساً!! واشتمل
على دفي وآتى مجلس إمارتك وأغنيك صوتاً فقال يا طويس ليس هذا موضع ذاك قال بأبى
أنت وأمى يا بن الطيب أبجنى قال هات يا طويس فخر عن ذراعيه وألقى عن رداءه
ومشى بين السباطين وغنى: بقول الملك ذى جند الحميرى

ما بال أهلك يا رباب خزرا كأنهم غضاب

فصفق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبل بين عينيه

وحدث المدائنى قال كان (الأمير الهاشمي) عبد الله بن جعفر معه إخوان له فى عشية
من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جون فأسال كل شىء فقال عبدالله هل لكم فى
العقيق وهو منزله أهل المدينة فى أيام الربيع والمطر فركبوا دوابهم ثم انتهوا إليه فوقفوا
على شاطئه وهو يرمى بالزبد مثل مد الفرات فإنهم ينظرون إذ حاجت السماء فقال عبدالله
لا صحابه ليس معنا جنة نستجئ بها وهذه سماء خليفة أن تبل ثيابنا فهل لكم فى منزل
طويس فإنه قريب منا فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكنا وطويس فى النظارة يسمع كلام
عبدالله بن جعفر فقال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت جعلت فداك وما تريد من طويس
عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه فقال له عبدالله لا تقل ذلك فإنه مليح خفيف لنا فيه
أنس فلما استوفى طويس كلامهم تعجل إلى منزله فقال لامرأته ويحك قد جاءنا عبدالله بن
جعفر سيد الناس فما عندك فقالت تذبج هذا العناق^(٢) واحتبز خبز أرقا فبادر فذبجها وعجنت هي
ثم خرج فتلقاها مقبلاً إليه فقال له طويس بأبى أنت وأمى هذا المطر فهل لك فى المنزل
فستمكن فيه إلى أن تكف السماء قال اياك أريد قال فامض يا سيدى على بركة الله وجاء

(١) أندب ابقى فيه ندباً وهو أثر الجرح. والكوم الجروح (٢) الاننى من ولد المعز - نهادون سنة

بمشى بين يديه حتى نزلوا ولما غسلوا أيديهم من طعامه قال بأبي أنت وأمي أتمشى معك
وأغنيك قال افعل يا طويس فأخذ ماحضة فآثر بها وأرخصي لها ذنبتين ثم أخذ الدف المربع
فتمشى وألشأ يغني يا خليلي نابي سهدى لم تم عيني ولم تك
كيف تلحوني على رجل مؤنس تلتذه كبدى
مثل ضوء البدر طاعته ليس بالزميلة النكد
من بني آل المغيرة لا حامل نكس ولا جحد
نظرت عيني فلا نظرت بعده عيني الى أحد

فطرب القوم وقالوا أحسنت يا طويس ثم قال يا سيدي أتدرى لمن هذا الشعر قال لا والله
ما أدري لمن هو إلا أني سمعت شعراً حسناً قال هو لفارعة (وقيل لحولة) بنت ثابت أخت
حسان بن ثابت وهي تمعشق عمار بن الوليد بن المغيرة ^(١) وتقول الشعر فيه فكس القوم
رؤوسهم وضرب عبد الرحمن بن ثابت برأسه فلو شقت الأرض له لدخل فيها خالداً
وكان طويس مولعاً بالغناء بالشعر الذي قالته العرب من الأوس والخزرج سكان
المدينة في حروبهم متضادين يريد بذلك إثارة العداوة والبغضاء بين القبيلتين في
الاسلام كما كانتا في الجاهلية فقلّ مجلس اجتمع فيه هذان الحيان فغنى فيه طويس الا وقع
فيه شر فنهى عن ذلك فقال والله لا تركت الغناء بشعر الأ نصار حتى يوسدوني الزاب ^(٢)
وغنى طويس بحضرة جميلة المغنية الشهيرة في رهط من المغنين فاستحسنته قال :

قد طال ليلى وعاد لي طربي من حبّ خود كريمة الحسب
غراء مثل الهلال آسنة أو مثل تمثال صورة الذهب
صادت فؤادي بحيد مغزلة ترعى رياضاً ملتفة العشب

وغنى طويس بأبيات عائكة بنت زيد التي رثت بها الفاروق وكان زوجها ومات عنها— قالت
منع الرقاد فعاد عيني عود مما تضمن قلبي المعمود
يا ليلة حسبت على نجومها فسهرتها والشامتون هجود
قد كان يسهرني حذارك مرة فاليوم حق لعيني التسهيد
أبكي أمير المؤمنين ودونه للزائرين صفائح وصعيد

﴿موته﴾ مات طويس في خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حوالي سنة مائة
هجرية على أصح الروايات وعمره زهاء تسعين سنة ودفن في المدينة المنورة رحمة الله عليه
عبد الرحيم محمود مدرس في السعيدية الثانوية



حلقة جديدة بين مصر وسوريا

المكتشفات الأثرية الجديدة في شمال سورية

للمسيو ميشال بونيفاس

(نقلا عن مجلة اخبار لندن المصورة)

كنت في سراي اللاذقية عاصمة دولة العلويين بشمال سورية فسمعت قصة هي اقرب القصص الى الحرافات. ذلك ان قبطاناً انكليزياً كان راسياً بسفينة في مرفأ اللاذقية فدعا وكيل شركته فيها الى مرافقته في مركب الى الاسكندرونة. ولما صارا على عشرة اميال من اللاذقية نبه القبطان رفيقه الى فرضة تحيط بها صخور بيضاء الى يمنهم. وعلى مقربة من هذه الفرضة التي تصح ان تكون مرفأً طبيعياً مع انها مهجورة الآن، شاهدها اكلاماً صغيرة فقال القبطان ان جدّه الذي كان بحاراً مثله اشار عليه بالنقب فيها متى تسنى له ذلك. ثم قال: « لا بد ان نجد هناك اشياء ثمينة مطمورة في هذه الاكام ! »

ولما كنت ابتاع بعض ما احتاج اليه في اسواق اللاذقية كان قد سرى بين جمهور الاهالي ان اثيراً فرنسياً ينوي ان ينقب في « المينا البيضاء »^(١) فقال لي بعضهم وهم لا يدرون حقيقة حالي ان بعض الوطنيين القاطنين في جوار الفرضة المذكورة وجدوا قطعاً ذهبية قديمة وحدث ما يؤيد هذه الاقوال في مارس سنة ١٩٢٨ ذلك ان علويّاً كان يحفر في حفله على مقربة من الفرضة المذكورة فعثر على لوح حجري رفيعاً فأنكشف امامه سرداب يؤدي الى غرفة مربعة مستطيلة مسقوفة سقفاً منقوشاً ومزخرفاً فلما افرغ الغرفة عثر فيما عثر عليه على بعض آثار ذهبية ولكنه اخفاها عن الناس ولعله باعها بعدئذ فيما يباع من الآثار القديمة واتصل بنا هذا الاكتشاف بالمسيو شوفلر حاكم دولة العلويين الحالي فذهب الى البقعة التي كشف فيها عن السرداب والغرفة المذكورتين وكتب في الحال الى المسيو فيرلو مدير الآثار ببيروت. فبعثت ادارة الآثار السورية بعض رجالها فعانوا المكاف وبخثوا فيه فلم يجدوا الا بعض آنية خزفية لعل صاحبنا الفلاح لم يعرف قيمتها فتركها في مكانها. ولكن المسيو ديسسو من علماء المعهد الفرنسي يرى ان تاريخ هذه الآثار يرجع الى القرن الثالث

(١) (المقطف) الميناء مهد في المعجم مرسي السفن مذكر. وقد ابقينا على اللفظ المقصور مع صفة التأنيث لان هذا هو الاسم السائر على السنة العامة هناك



أبدع قطعة من العاج الميسيني القديم كشف عنها حتى الآن في مدافن «المنيا البيضاء»
 منقوشة نقشاً بارزاً تمثل الإلهة «الخصب» وهي عارية الصدر ولكنها لابسة على
 رأسها تاجاً ومرتدية رداءً يغطيها من وسطها إلى أسفل قدميها وعلى جانبيها تيسان
 واقفان على أرجلها الخلفية يأكلان من سنبال القمح في يديها

عشر قبل المسيح وانها قبرصية او ميسينية في اصاها . على ان هندسة هذا المدفن وعمارتها ذكرتا الباحثين بهندسة المدافن الملكية في كنوسس بكريت التي كشف عنها السير ارثر اوانس

لم يعثر الباحثون الاثريون الى اوائل السنة الماضية على آثار من هذا القبيل على الشواطئ السورية. اما الميسو ديسو فلا تخامرهُ خليجة ريب في ان «الميناء البيضاء» كان مرفأً قديماً تقيم فيه جالية قبرصية كريتيه كانت تتجرب بالبضائع المستوردة من كريت وقبرص ومصر مع بلدان ما بين النهرين والواقع ان هذا الميناء في مركزه على الشاطئ السوري يواجهُ طرف قبرص الشمالي الأقصى وهو مركز تتفرع منه الطرق والمسالك الى داخلية البلاد. والمرجح ان النحاس من مناجم قبرص الذي كان يستعمل حينئذ في صنع الأسلحة الحربية بدلاً من الحديد كان من اهم مواد التجارة في ذلك العصر. وتلبية لاقتراح الميسو ديسو بعث المعهد الافرنسي بعثاً الى هذه البقعة غرضه البحث عن البلدة القديمة التي كانت قائمة هناك ومرفأها ومدافنها وعهد الى كاتب هذه السطور بادارتها والاشراف على اعماله. فاخترت لمعاونتي الميسو شنه الاركيولوجي الأرجوني وصلنا «الميناء البيضاء» في آخر مارس سنة ١٩٢٩ ومعا قافلة مؤلفة من سبعة جمال وبضعة حمير وخيل حاملة امتعتنا. وشرعنا في النقب بعد نصب مضاربنا وتدير امور معيشتنا. على اننا قضينا الاسبوع الاول نسبر الأرض ونحفر فيها قليلاً هنا وهناك ثم بدأنا النقب فيها حسبنا مركز مدافن المدينة فأسفر حفرة عن العثور على كنز حافل بالآثار القديمة. ففي بقعة لا تزيد مساحتها على ٣٠٠٠ متر مربع تبعد نحو ١٥٠ متراً عن البحر عثرنا اولاً على ثمانين كسرة من الآثار التي كانت تدفن مع الأموات بينها آنية خزفية من صنع اهل البلد نفسها وآنية اخرى قبرصية وميسينية وبعض حجارة صغيرة منها ما كان وزنه ووزن المينا المصرية تماماً اي ٤٣٧ غراماً وبعض غرام. وفي اما كن اخرى عثرنا على الواح حجرية كبيرة واحجار مستديرة مثقوبة في وسطها كانها حجارة الرحي واخرى مكعبة واخرى مثل عضو الذكر للتناسل^(١). اما العظام التي عثر عليها فكانت كلها عظام حيوانات، ولم يوجد بينها عظام بشر على الاطلاق

وفي وسط هذه البقعة وعند اسفل جدار لا يزيد علوه على نصف متر عثرنا على طائفة من التماثيل الصغيرة والجواهر كلها ذات قيمة فنية وتاريخية عظيمة. وأول أثر عثرنا عليه ومهد لنا سبيل العثور على الآثار الأخرى كان ممثلاً صغيراً من البرونز لباشق

(١) كانت هذه الانصاب تعبد في الامم القديمة من قبيل الاحترام لقوة اخلاف النسل وحفظه

جأتم وعلى رأسه تاج مصر العليا والسفلى كأنه الإله هورس . وكان هذا التمثال ملقى بين بقايا وعاء خشبي محطم وكسر كأس قبرصية جميلة . وعلى مقربة من هذا الباشق وجدنا تمثالا آخر مصفح بالذهب هو درة من درر الصناعات القديمة . والظاهر ان روح الأسلوب الفني فيهما مصرية ولكن صانعه مع تأثره بالروح المصرية جرى على طريقة خاصة به في التمثيل والنقش . لأنك لا تعثر في الآثار المصرية على تمثال باشق قابض بمخيليه على الأفعى (الكوبرا الافريقية) كما هي الحال في باشق « المينا البيضاء »

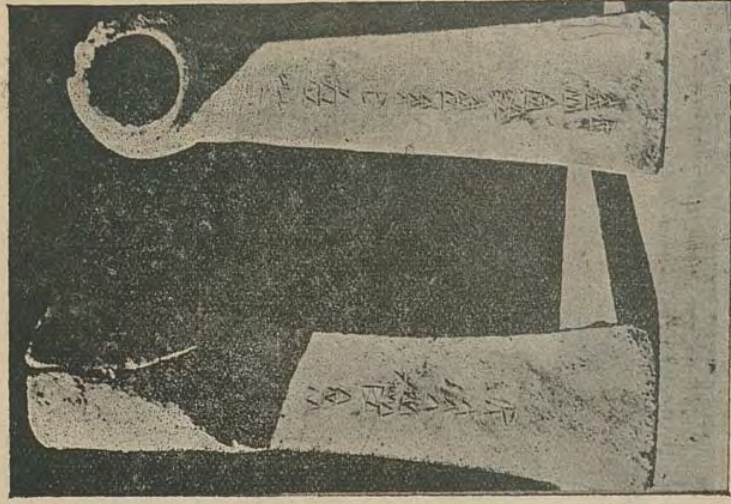
وعلى بعد نصف متر وجدنا تمثالا صغيرا لاله جالس . اذا نظرت الى رأسه من الجانب حسبته مصرية وكانت العينان منزلتين في الميناء والفضة . وقربه وجدنا تمثالا صغيرا لاله واقف علوه ٢٢ سنتمترأ كأنه يتحفز للمشي . وكان على رأسه غطاء مصفح بالذهب يماثل بعض ما كان يلبسه الفراعنة وملوك الحثيين . وعلى وجهه خوذة من ذهب خالص . اما جسم التمثال فمصفح بالفضة وعلى ساعده الايمن سوار ذهبي . وهذا التمثال هو ولا شك ابداع مثال للاله الفينيقي رشف . وقربه وجدت حلقة ذهبية نقش عليها نقشا بارزا تمثال الالهة عشتاروت الجميلة واقفة وماسكة زهرة لوتس بكل من يديها . وفي التراب حوالي هذه التماثيل ، وجدت خرزات عقد تمثل حب الزيتون في حجر العقيق واسطوانات من حجر الكوارتز وردية اللون وثمار الاجاص في حجج عين الهر

وعلى عشرين مترا الى جنوب هذا الكنز كشفنا عن غرفة تحت الارض يرجح انها كانت مدفنا ولكن بناءها لم يكن قد تم فوجدناها فارغة . وتحت الحجارة التي امام المدخل الى هذا المدفن وجدنا مقبرة جديدة كاملة فيها ممر يفضي الى المدفن نفسه وهو مسقوف بسقف منقوش ومزخرف . وعثرنا في الممر على آنية مزخرفة ومدھونة وعلى مصابيح وفتائل تركت مضيئة لان دخانها سود الجدار ورائها وفوقها . ووجدنا كذلك وعاء سليما له مقبضان من الالابستر المصري . وامام المدفن كانت جمجمة فتى ولعله خادم قتل امام مدفن سيده

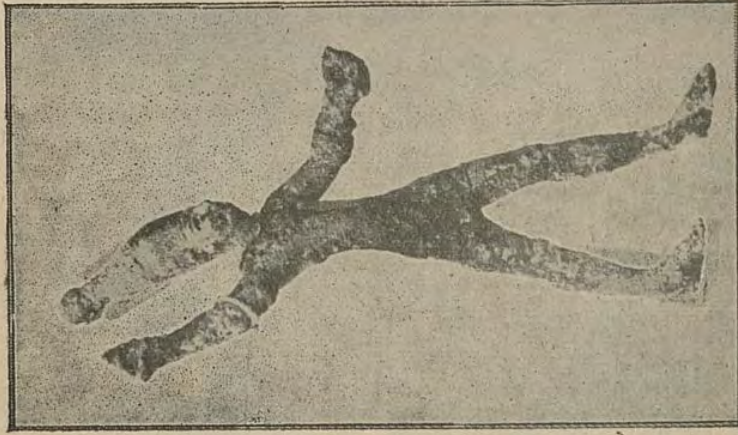
ولما دخلنا المدفن نفسه ظهر لنا انه نبش وسرق من زمن بعيد . والظاهر ان السارقين كانوا عارفين بطريقة بنائه فزحزحوا احدى حجارة القفل في سقفه ودخلوا من الثغرة التي احدثوها . فجدوا الهياكل من حليها ورموا بالعظام في زوايا الحجرة . والمرجح ان اربعة جثث كانت مدفونة هناك ولكن لم نعثر على ناووس ما . اما الادوات والمفروشات التي دفنت مع الجثث فكانت آية في الثروة والبهاء كما يستدل مما بقي منها — خرزات ذهبية واحجار كريمة وآنية من الخزف عليها تصاوير قبرصية وميسينية وكؤوس زجاجية واوعية مصرية من الالابستر ووجدنا كذلك خاتما ذهبيا واسطوانة من حجر الصخر (الحماهان)

السلحة برونزية عليها الكتابة
المسارية الموصوفة في القالة

مخطوط ديسبر ١٩٢٩

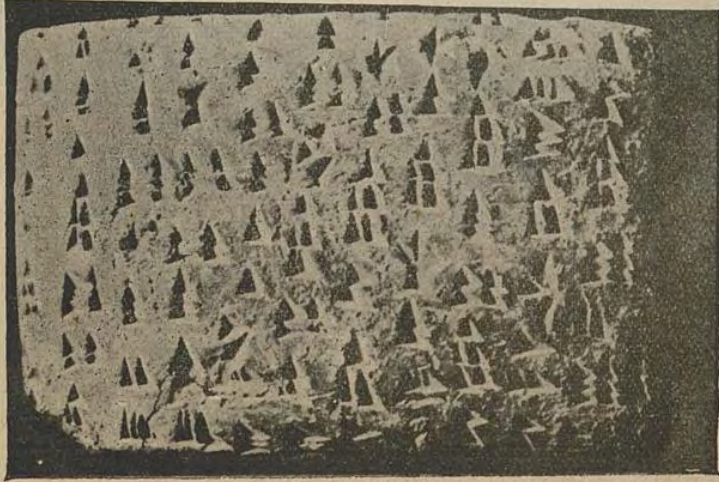


ابديع تمثال من عليه للالهة التميمي رشف
وهو متحفن للمشي وعلى ذراعه سوار



لوح من الالواح الخزفية الكثيرة
المقوشة بالكتابة المسارية الاجيدية

١٠٠٧ ايام السجلة





(١) الباشق البرونزي وعلى رأسه تاج مزدوج كما وجد (٢) الباشق نفسه بعد
تنظيفه في متحف اللوفر (٣) باشق مصفح بالذهب مصنوع على الاسلوب المصري
ولكنه يختلف بقبضه على رأس الكويرا (٤) الباشق نفسه من وراء

واهم من كل هذا علبة من العاج غطاؤها سليم وقد نقش عليه صورة الالهة مكشوفة الصدر لابسة رداءً يغطي جسمها من وسطها الى اسفل قدميها جالسة بين تيسين واقفين على ارجلها الخلفية وهذا النقش يمثل رتبة راقية من الفن بجماله وحسن اتساقه . اما الالهة فمشبهة بالاهات الخصب الميسينية والكريتية في تيرنس وكنوسس في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . واما العاج فمن اعلى اصناف العاج التي انحدرت اليها من الازمنة القديمة . وقد حلت هذه التحفة في مكان الشرف بين الآثار الشرقية بمتحف اللوفر .

ان مدافن « المينا البيضاء » بما وجد فيها من الآثار النفيسة فنًا وتاريخًا تشبه المدافن الملكية التي عثر عليها في ايزوباتا وزافريابورا بجزيرة كريت . وبما لا ريب فيه ان مدافن « المينا البيضاء » كانت تخنوي على جثث اسرة من الامراء لم تعرف قبل الان في شمال سورية . لذلك اتجهت انظارنا بعد وجود ما وجدنا الى البحث عن القصر والمدافن الملكية هناك

على الف متر من الشاطئ تقوم كمة علوها ٢٠ مترًا وطولها الف متر وسعتها ٥٠٠ مترًا تدعى « رأس الشمر » فانتقلنا بمعدتنا اليها واخترت ذروة الكمة المتجهة الى البحر للشروع في الحفر حسباً ان آثار القصر الملكي يجب ان تكون هناك . فلما ازلنا التربة عثرنا على أسس محكمة البناء وجدنا فيها خنجراً برونزياً وبقايا تمثل من الجرانيت لاحد الفراغة وانصاباً مصرية عليها كتابة هيروغليفية من الكتابة الخاصة بعصر الامبراطورية الجديدة . واحدها مقدم الى الاله ست . فمكننا هذه المكتشفات من تعيين تاريخ القصر في الالف الثانية قبل المسيح واستدلنا على ان الملوك القاطنين فيه كانوا اصدقاءً للمصريين او حلفاءهم . وقد لا يمضي زمن طويل قبلما تتمكن من معرفة دقائق العلاقات السياسية بين البلادين في ذلك العصر لاننا عثرنا على طائفة كبيرة من الواح الخزف عليها كتابة مسمارية . وبين هذه اللوح رسائل شديدة الشبه برسائل تل الامارنة التي تحتوي على وصف العلاقات السياسية بين ملوك سورية وفراعنة الدولة الثامنة عشرة

ومما يجعل هذا الاكتشاف ذا شأن تاريخي خطير ان الكتابة المسمارية تختلف عن كتابة ما بين النهرين والظاهر ان لها ابجدية لاننا لم نعثر الا على ٢٦ اشارة مستعملة على هذه اللوح وقد اخذ المسيو فيرلو مدير الآثار ببيروت يدرس هذه اللوح محاولاً قراءتها ووجدنا قرب هذه اللوح مجموعة مدهشة تحتوي على ٧٤ قطعة برنزية من الاسلحة والادوات محفوظة حفظاً تاماً بينها سيوف وخناجر ورماح وفؤوس ورفوش ومقصات ومناجل وسهام . وبعض هذه الادوات منقوشة بالكتابة المسمارية المشار اليها



تجسس في سيارة

— ١٢ —

من بروكسل الى ميادين الحرب الكبرى

اتينا عاصمة الباجيك من باريز في قطار يسمونه القطار الأزرق وكانت قد مرت بنا ايام وأسابيع وليس لنا من مطية الا سيارتنا ميمونة الطالع فانسنا القطار بعد طول وحشة وغفرنا له دخانه الكثيف ذا الرائحة الكريهة لقاء المقاعد الوثيرة يمد احدنا رجليه عليها — في غير ايطاليا — ويتمطى ساعة ويقف اخرى غير مقيد بمجاسيه كما في السيارة وطراً على خاطر صاحبنا المصري فكر ثاقب قال : لماذا لا يجعلون دخان القطار يتسرب الى الهواء من آخر عربة من العربات بدلاً من ان يتطاير من القاطرة في الامام فيعمي الركاب ويسد عليهم المنافس ويلقي على اثوابهم وامتعهم طبقة من الاقذار . وليس يبعد على همة المهندسين ان يبنوا انايب تتصل بالعربات حتى الاخرة منها فينطلق بها الى الفضاء . فاذا احد الرفاق يقرؤه بالعبرية وهزأ منه الباقون

وصلنا بروكسل في الطفل وسحاب سماءها قد غال ضوء نهارها وأخذ يصب على المدينة مطراً كأنه ماء القرب فهرونا مسرعين الى فندق رحب نفخ كأنه قصر رجل اغتنته حوادث الدهر بعد امعانها في افقار اجداده فأصبح كاملاً تاماً مستوعباً كل ما يطلقون عليه احدث اساليب الراحة العصرية

وما راع صديقنا الانكليزي الا هؤلاء الناس الواقفين على خدمتنا فاذا تحرك ليركب الرافعة بادره الخادم بقوله (اذا شئت) او نزل منها اعادها عليه (اذا شئت) او قدم له الندل الطعام كروها (اذا شئت) او تناول الطعام او ابى وهكذا حتى ضاق صدره وصرخ ما لهذا اللطف الزائد ؟ ايقلقون راحتنا بهذا التأدب المصطنع ؟ ان خيراً منه السكوت ! ثم فهمنا بعد ان اقمنا اياماً في بروكسل انها عادة متبعة

ولما كان صباح اليوم التالي خرجنا نتمتع انظارنا ببروكسل — والبلد لا بأس بجماله فقد كان عاهلهم المتوفي والد الملك الحالي قد آلى على نفسه ليحسن فيه عساه ان يجعل

منه باريزاً صغيرة تغنيه عن رحلاته المتابعة الى باريز الاصلية. وقد وفق ايما توفيق في المظاهر الخارجية . فطرق العاصمة مستقيمة واسعة وفيها آيات للفن ومتاحف لا بأس بها اما في ما سوى ذلك فخانه الحظ فانك لا ترى في بروكسل نساء جميلات خفيفات الروح ولا ترى في اهلها ذلك الذوق الذي ينسبك ما يحكيه حولك القوم في باريز لا صطياد نقودك وربما كان البناء الذي اقاموه قوساً للنصر احتفالاً بانقضاء خمسين عاماً على استقلالهم من خير ما في بروكسل . اما قصر ملكهم فعادي لا يستوقف النظر . انما احتصوا دار العدل عندهم بأحسن المواقع وبأنفم الأبنية

محاكمهم ومحاكلنا

فترى محكماتهم قد اشرفت من قصر عظيم على كل البلد وأمامها ساحة واسعة لا يدركها الطرف فانكش صديقنا المصري ودخلت اعضاء جسمه بعضها في البعض الآخر . ذلك انه عاد بذكرته الى دور المحاكم في بلاده فأخذ يقابل هذه بتلك فالحاكم المصرية دون حاكم العالم ذات دخل يفوق النفقة فلماذا لا تنفق الحكومة مما يزيد في ميزانية هذه المحاكم على تحسين دورها ؟ ان مظاهر العظمة لمن اكبر البواعث على انهاض النفس واحلال العزة القومية محل الاستكانة وعدم الاكتراث

وانك لتدور حول العالم فترى محاكم الناس قصوراً زينها الفن وتكسوها النظافة ثوباً فشيئاً . اما في مصر فعند ما خطر للقوم ان يشيدوا بناءً للمحكمة العليا زجّوه في اضيق الاسواق واقدرها بحجة تقريها من العامة ولكن الحقيقة ان الاجنبي الذي امر ببنائها لم يكن يدرك ما للمباني الفخمة من الاثر الباقي في تكوين العزة القومية

على انه ان كان الذنب ذنبه وهو غريب عن البلد فما عذر الحكومات الوطنية في الاحجام عن اصلاح ما افسد الاجنبي . وما بال هذه المحاكم الجزئية مبعثرة في انحاء البلد ضيقة قدرة لا تتسع للمحاميين ولا للقضاة ناهيك بالمتقاضين حتى ليخيل الى الاجنبي الذي يأتي العاصمة متفرجاً فيقوده القدر الى المرور بواحدة منها انه ازاء جمع احتشد للتسول امام سوق قديمة تباع فيها الاشياء القديمة

والغريب في امر الحكومات الوطنية انها انفقت عن سعة على بناء محكمة مختلطة وهي تترك الحاكم الاهلية على ما تقدم من الوصف على حين تطمع في مد اختصاصها الى جميع سكان مصر

جالت هذه الخواطر في فكر صاحبنا المصري وبدا التألم على وجهه . ذلك لانه كتم الامر

في سره فهو ان باح فضح بلده ونفسه وكان اشد المله من تغاضي اولي الشأن في بلاده عن هذه الامور السهلة الواضحة

فولى وجهه شطر الناحية من المرتفع الذي يشرف على اسفل المدينة حتى اذا انتهى الصحب من الدوران حول قصر العدل البلجيكي عادوا ادراجهم فزاروا كاتدرائية البلد ثم متحفها العسكري وهو متحف متواضع يدل على حداثة عهد البلجيكي في الامور العسكرية ترى في صدر ردهة من ردهاته صورة جميلة متقنة الصنع تمثل نابوليون على جواده فتقول ان القوم لا يزالون يذكرون اياماً كانوا فيها جزءاً من الامبراطورية الافرنسية ثم تلتفت الى اليمين فاذا صورة مثلها لولنجتون فتدرك انك في بلد محايد

وهذا الحياد الذي اصطبغت به البلجيكي حتى صلح فرسايل البسها ثوباً لا يكاد يعرف له لون تراه ظاهراً في اخلاقهم وفي فنونهم وفي تجاراتهم

على انك لو اردت ان تختار صفة في البلجيكي تمتاز بها عما سواها لكنت «العمل» فحب العمل ظاهرة بلجيكية لاشك في الامر. حتى انهم اقاموا لاحمل تماثيل نصبت في الميادين العامة وهذا امر لم يشاهده صاحبنا المصري في بلد آخر على ما يذكر وحب العمل ممسك برقابهم يمنعهم من اللهو والترف ويقذف بهم وباموالهم الى ما بعد وقرُب من بلاد الله حتى اصبحت هذه الامة النشيطة من اغنى امم العالم على قلة عدد اهائها

وعدنا الى السيرة . ذلك ان الغرض من القدوم الى البلجيكي لم يكن لمشاهدة الطبيعة فان الصناعة لم تترك في البلاد مشهداً طبيعياً يستأهل الرؤيا ولم يكن لمشاهدة المدن البلجيكية فكلها اذا استنيت غاند وبروج خالية من آيات الفن القديم الا في بروكسل فقد اختلط حديثها التجاري ببعض آثارها القديمة كقصر الدوقات فزحمه وكاد يذهب بمعامله

انما كان الغرض زيارة مواقع الحرب ومعينة تلك الآثار التي ابقوا عليها حتى يتركوا للزائر صورة صحيحة من سنوات ١٩١٤ الى ١٩١٨ فخرجنا من بروكسل في الصباح مبكرين فوصلنا اوستند حوالي الظهر . واوستند جميلة الجمال كله . جلست الى البحر واوسعت له صدرها فعانقها وكادت يدها تمتدان فتهصران خصرها

وهذا المنزلة المقام على الشاطئ لا تجد له مثيلاً في العالم فلما ثم الرمال ثم الصخور ثم الطرق المعبدة لا تبح يد الانسان تحسنها وفوق ذلك قصور هي فنادق اوستند جمعت ما شاء الترف وما شاء حب الاستمتاع ان تجمع . وزيتها هذا الكازينو القائم في الوسط كأنه سلطان تحيط به الجنود الامناء

وكان اول اثر شاهدناه من آثار الحرب فندقاً كبيراً ذا ادوار عديدة اصابتة قنبلة من قنابل الاسطول الانكليزي خرقته من وسطه من الاعلى الى الاسفل وابتقت كل ما عدا ذلك كـهو فابقاه القوم ذكرى وشاهداً للفن الاعمى مخططه القنابل الخرساء
اما ما عدا ذلك في داخل اوستند فقد اعيد سيرته الاولى ابنية جديدة ذات رواء وروعة حسن. اما تخريب اوستند — والجزء الداخلي منها — فكان كله من فعل الاسطول الانكليزي حتى يدفع الجيش الالماني عن الوصول الى الشاطئ

ميادين الحرب

وبعد ان تغدينا في اوستند هممنا بالسيارة نزور مواقع الحرب في طريقنا راجعين الى بروكسل واستأجرنا دليلاً يرطن باللغات كلها ولا يحسن واحدة منها على ان يكون مترجماً يترجم لنا ما تقع عليه اعيننا فررنا بديسكومود وانفرس والاير وما الى ذلك من المواضع التي اشتهرت اسمائها في الحرب

اما صاحبنا المصري فما راعه الا رؤيا الخنادق الحربية والقلاع التي كان يرد ذكرها في التلغرافات الحربية ولم يكن يدرك لها صورة حقيقية من الواقع . قلعة لا تشغل اكثر من ٣٠ او ٤٠ متراً من الارض قليلة الارتفاع قد امتزج الحجر بالحديد في جدرانها وامتدت الى كل نواحيها اسلاك بعضها للتلفون وبعضها للاشارة وبعضها لتفجير القنابل وفي ارضها حجرات لا تكاد تتسع الواحدة منها لرجل جالس لها مخارج ومداخل يتيه فيها من لم يالفها سفكوا دماء الوف الألوف من المتحاربين في سبيل الاستيلاء عليها !

وهي الا نسا كنة صامته تحيط بها الحقول المزرعة وكل انواع الحياة الدابة . فكان الطبيعة نسبت ما فعل الانسان او لم تكثر لما فعل وكأنه هو يأبى الا ان يبقى على هذه الآثار دليلاً على قساوته وتوغله في الهمجية

وهذا خندق تنزل الى جوفه المرصوف فندهش كيف كان ابن آدم يأوى اليه في الليل والنهار وفي البرد وفي الحر اياماً وشهوراً . وتعجب لهذا الذي يدعي انه سيد الخلوقات يتجرد عن هذه القشرة الرقيقة التي يسمونها حضارة ويلتحف العراء ويفترش التراب جائعاً عطشان يتقي القنابل فوق رأسه كالخلد يدخل في وكرة ، ويتقي الغازات الحارقة بغطاء على وجهه هو شر منها ، وكل ذلك في سبيل تقميل اخيه الانسان . وتسير السيارة حتى اير فتشاهد نصباً قائماً فيها بشكل جسر هائل يضيع العقل في ارتفاعه وفي ضخامته وقد حفرت عليه من اوله الى آخره اسماء الذين قتلوا في الدفاع عن اير فاذا بهم اكثر من خمسين ألفاً

من الانكليز . كل واحد منهم نام على هذه الارض واحتبأ في مثل هذا الخندق وحمل قبلة في يده يرميها الى خنادق الاعداء وكلهم جاع وبرد وتمذب . ولكل منهم اب وام وحبيب أمثل هذا خلق الانسان ؟

وعلى طول الطريق وفي وسط هذه الحقول مدافن لا تعد قبورها . هذه انكليزية — وما اكثرها — وهذه بلجيكية وهذه المانية وكلها مكسوة بالازهار وهي غاية ما يستطيع الحي ان يفعله لأجل الميت . ولبتنا على هذه الحال ساعات والدليل يذكر هذه المعركة ويشير الى هذه المقبرة ونحن كأن على رؤوسنا . الطير من هول الذكري

وكان علينا ان نخلع قبعاتنا دائماً كلما مررنا بمقبرة من هذه المقابر وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب واخذ برد الشمال يلطم وجوهنا ورؤوسنا . اما الرفاق فقد اعتادوا الامر واما صاحبنا المصري فأصيب بركام شديد لم ينسه حتى الساعة فكان اذا عرف رجلاً أصيب في الحرب بعاهة او مرض تذكر انه أصيب هو ايضاً بهذا الزكام من جراء الحرب العظمى واشتد بنا الجوع واعيانا التعب فجلسنا الى خان صغير في قرية من هذه القرى الجديدة التي اعاد القوم بناءها بأموال التعويضات الالمانية

ومررنا بنا بائع يبيع كلاباً صغيرة فما كان من السيدة الانكليزية الا ان ابتاعت واحداً منها فجلس معنا في السيارة وله نباح وعواء يفلق الصخور

فكان صاحبنا المصري كمن أصيب بجنون . فوق الاصابة بالزكام . فانه كان على مذهب هؤلاء العقلاء الذين لا يفهمون للعطف على الحيوان معنى . فان المقام في هذه الدنيا لا يكاد يتسع لمعاشرة الانسان واحتمال اذاه او عطفه فكيف يتسع فوق هذا لدلال الكلاب وما اليها من الحيوان والحشرات . ولكنه اسرّها في نفسه مخافة ان يتهم بالتوحش بين قوم يقتلون بعضهم بعضاً ويشفقون على الحيوان

فما صدق ان عادت به السيارة الى بروكسل وكان قد انتصف الليل يقول ها نحن مع الدليل والسائق سبعة وثامتنا كلنا وهرع الى غرفته ووقع على سريره لا يعلم ان كان يصبح عليه الصباح

سامي الجريديني





فعل العضلات مفتاح سر الحياة

فلسفة التعب والبحث العلمي

تبدو حركة الجسم واعضائه لاول وهلة فعلاً فيسيولوجياً بسيطاً نستطيع ان نحله ونقيسه قياساً علمياً . فالعمل الذي تعمله عضلة حين تنقبض وتمدد يمكن قياسه كما يقاس العمل الذي تعمله آلة بخارية او محرك كهربائي . اما السر الذي يدفع الياف العضلات الى القيام بأعمالها فقد اغرى الباحثين من اقدم العصور وخصوصاً الذين جاءوا منهم في هذا العصر وغايتهم ان يدرسوا مظاهر الحياة وافعالها درساً علمياً دقيقاً . ومما حداهم الى هذا الميدان من ميادين البحث املهم ان يكون ما يكشفون عنه في العضلات منطبقاً كل الانطباق على سائر الانسجة الحية بوجه عام وبذلك يجدون ما يملئون به الهوة الشاغرة بين علمي الطبيعيات والاحياء وتاريخ هذا البحث حافل بأسماء العلماء والعظماء من هلمتز الى فك الى بلكنس الى فاسكل ومينز اللذين كشفوا عن اهم الحقائق المرتبطة بعضلات القلب وفعلها الى فلتشر الذي سبق الباحثين الى معرفة اثر الاكسجين في التعب والراحة . الى هبكنز الذي اشترك مع فلتشر في الكشف عن ان الحامض اللاكتيك (اللبنيك) هو مفتاح السر الذي يبحث عنه العلماء الى الاستاذ هيل الذي جمع بين هذا المباحث كلها ودقق في قياس مقدماتها وتنبأها وخلص الى حقيقة قال فيها الاستاذ دنن أستاذ الكيمياء في كلية لندن الجامعة مايتي:—

هنا على الباب الفاصل بين الحياة والموت ارى ان الاستاذ هل الفسيولوجي اصبح في مباحثه على عتبة كشف خطير . فقد ثبت من تجاربه ومباحثه في الاعصاب التي ازيلت اغشيتها وفي العضلات ان بناء الخلايا هو بناء كيمائي دينامي ولا بد له من الاكسجين والاحتراق للمحافظة عليه . فنظام البناء في دقائق الخلايا يعمل دائماً الى التهدم والانحلال ويحتاج دائماً الى الاكسجين ليحفظ بناء الخلايا الحية على ما هو . فالآلة الحية اذاً تختلف اختلافاً كبيراً عن آلاتنا المتحركة . لان بناءها ليس بناء ساكناً انما هو بناء حيوي (دينامي) وعندي ان الخلية الحية اشبه شيء ببطارية كهربائية تفرغ وتعدم النفع اذا لم تملأ بالكهربائية . والفعل الذي يملأ الخلية الحية بالحياة انما هو الاحتراق

نعود الآن الى العضلات وفعلها وفلسفة التعب في نظر العلم الحديث فنقول انه قد ثبت للباحثين انه اذا انقبضت العضلة أفرزت مقداراً من الحامض اللبنيك يتوافق مع قوة الانقباض ومداه . ومتى ارتخت أو تمددت عدل هذا الحامض بتحويله الى مادة تدعى غليكوجن . ولكن هذا التحويل لا يتم الا بوجود الاكسجين

بدأ الدكتور هل تجاربه في عضلات الضفادع بعد فصلها عن اجسامها . فهذه العضلات اذا عني بفصلها عناية تامة ظلت حية الى حين تنقبض اذا نكرت ولكنها تتعب بعد توالي الانقباض والارتخاء . واذا وضعت في جو خال من الاكسجين ماتت . فسهل عليه اولاً مراقبة هذه العضلات ولكن تعذر عليه تعليمها قبلما ثبت له أن تعيها وموتها مرتبطان بازدياد مقدار الحامض اللبنيك فيها . ثم لاحظ ان راحتها بعد اجهادها يصحبها نقص في مقدار هذا الحامض

ما مصدر هذا الحامض ؟ من اين يجيء والى اين يعود ؟ ان في النسجة الجسم مادة تدعى غليكوجن مركبة من كربون وهيدروجين واكسجين كالنشا الذي في الكبد . هذه المادة يتحول جانب منها الى حامض لبنيك متى انقبضت العضلة فتعب العضلة بعيد انقباضها يبدأ حين يأخذ الحامض اللبنيك يتجمع في خلاياها ويزداد التعب بازدياد مقداره الى ان يبلغ حداً لا يتحملة الجسم فترتخي العضلة رغماعها . فاذا تمددت العضلة جرى الحامض في الدم حيث يتصل بالاكسجين فيتأكسد جانب منه باتحاده به ويتحول الباقي الى غليكوجن وهذا هو سبب التنفس الشديد حين الرياضة لان تجمع الحامض اللبنيك في العضلات وجريه رويداً رويداً في مجرى الدم يقتضي وجود مقدار كبير من الاكسجين لا كسديته فيشتد التنفس حتى يجهز الدم بالمقدار الكافي منه ان قياس هذه التغيرات مستطاع على وجه دقيق جداً . واحدى الوسائل لقياسها قياس ارتفاع الحرارة في العضلة حين انقباضها بمقياس يدون جزءاً من الف جزءاً من الدرجة ولقد وجد ان توليد غرام من الحامض اللبنيك في اثناء العدو يرافقه انفاق ٣٧٠ وحدة حرارية (كالوري) وان كل رجفة انقباض في عضلة الضفدع ترفع حرارة العضلة ثلاثة اجزاء من الف جزءاً من الدرجة بميزان سنغراد

وحينما تركزت العضلة لتستريح عكس هذا الفعل أي تحوّل غرام من الحامض اللبنيك في جسم العدائين الى غليكوجن ووافق تحوّل هذا امتصاص ٣٧٠ وحدة حرارية (سغري) . على ان علوم الحياة لا تختلف عن العلوم الطبيعية في الجري على المبدل القائل بأنك لا تستطيع أن توجد شيئاً من لا شيء . ومصدر القوة التي ينفقها العداء حين عدوم وفي اثناء تحول الحامض اللبنيك الى غليكوجن هو اكسجين الهواء . فقد وجد ان جانباً من الحامض اللبنيك يتراوح بين الخمس والسادس يتحد بالاكسجين حين تحوّل الى غليكوجن واتحاده هذا يجهز العداء بالقوة التي ينفقها حين العدو . وهذا يعمل موت العضلة اذا ضعت في هواء خال من الاكسجين وتوالى انقباضها وتمدها فيه



صُورِبَدِيدَةُ مِنَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

فِي مَجْلَسِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ

بَيْنَ الْمُتَنَبِّيِّ وَأَبِي فَرَّاسٍ

(٢)

لَكَ أَنْ تَسْمِيَهَا مَنَظَرَةً وَلَكَ أَنْ تَسْمِيَهَا مَهَابَةً ، بَلْ سَمَّيْتُ — إِنَّ شِئْتَ — مَنَافِرَةً ،
أَمَّا نَحْنُ فَلَا نَرَاهَا إِلَّا مَوَافِرَةً
نَعَمْ فَهِيَ مَوَافِرَةٌ مُحْكَمَةٌ دَبَّرَهَا أَعْدَاءُ الْمُتَنَبِّيِّ وَلَمْ يَأْلُوا فِي تَدْيِيرِهَا جُهْدًا ، رَغْبَةً فِي هَدْمِهِ
وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَدْبُرُوا هَذِهِ الْمَوَافِرَةَ الْمَجْرَمَةَ لَهْدَمِ شَهْرَتِهِ الْأَذْيَةِ وَحْدَهَا كَمَا رَأَيْنَا فِي
مَنَظَرَةِ « الْهَمْدَانِيِّ وَالْخَوَارِزْمِيِّ » ^(١) وَفِي « مَنَظَرَةِ الْكَسَائِيِّ وَسَيْبَوِيهِ » ^(٢) بَلْ كَانُوا
يَرْمُونَ إِلَى أَعْدَمٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَدْ قَصَدُوا بِهَا إِلَى غَرَضَيْنِ ، أَوَّلُهُمَا أَنْ يَهْزِمُوهُ فِي مَجْلَسِ سَيْفِ
الدَّوْلَةِ — وَثَانِيهِمَا أَنْ يَقْتُلُوهُ غِيلَةً — بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ عِنْدِهِ ، بَلْ لَقَدْ هَمَّ جَمَاعَةٌ بِقَتْلِهِ فِي
حَضْرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ نَفْسَهُ

وَقَدْ رَأَى الْقُرَاءُ — فِي مَقَالِنَا السَّابِقِ كَيْفَ أَعْرَضَ عَنْهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بَعْدَ إِقْبَالِ
وَكَيْفَ أَفْلَحَتْ دَسَائِسُ خُصُومِ الْمُتَنَبِّيِّ — وَعَلَى رَأْسِهِمْ « أَبُو فَرَّاسٍ » وَ « ابْنُ خَالَوَيْهِ » — فِي
تَغْيِيرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مِنْهُ ، فَقَابَلَهُ مَتَجَهِّمًا وَحَاطَلَ الْمُتَنَبِّيَّ عَبَثًا أَنْ يَرْضَاهُ بِقَصِيدَتِهِ الرَّائِعَةِ ^(٣)
فَلَمْ يَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ كَاسِفُ الْبَالِ حَزُونًا ، وَكَانَ هَذَا الْإِعْرَاضُ أَكْبَرَ
أَرْظَاهِرِ لِنَجَاحِ خُصُومِ الْمُتَنَبِّيِّ وَأَعْدَائِهِ وَأَوَّلِ ظَفَرِ بَاهِرِ لِفُوزِ السَّعَايَاتِ وَالدَّسَائِسِ عِنْدَ
سَيْفِ الدَّوْلَةِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَصِيخَ مِنْ قَبْلِ الْإِقُولِ الْوَشَاةِ أَوْ يَتَأَثَّرَ بِدَسَائِسِهِمْ ، أَوِ الَّذِي

(١) ارجع الى عدد يوليو من المقتطف (ص ١٥٥)

(٢) ارجع الى عدد أكتوبر من المقتطف (ص ٣١٦)

(٣) انظر مقتطف نوفمبر السابق (ص ٤٣٧)

كان — على الأصح — لا يكاد يصغي إلى قول واش حتى ينصرف عنه متى سمع قصيدة جديدة من مدائح المتنبي الخالدة

أما الآن فقد تغير عليه قلبه وأصبح لا يقبل عليه إلا ريثما يضاعف سخطه ويمعن في النكايه به. قالوا : وكان من عادة سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه وأحضر من لا خير فيه وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب وأكثر عليه مرة فكان ذلك سبباً في نظم « ميمته الفذة » التي نحن بصدد ها في هذا المقال. ولقد تجلى في هذه المرة اعراض سيف الدولة وتحيزه لخصوم المتنبي ، أكثر مما تجلى في إعراضه الاول

(٢) اعراضه الثاني

وقد عرف المتنبي سر هذا الاعراض فأعد عدته ونظم ميمته الرائعة فأودعها كل ما أوتي من قوة ومقدرة في الدفاع عن نفسه ، ولم يدع وسيلة من الوسائل التي يهاجم بها حساده وخصومه وينال منهم إلا سلكها جريئاً قادراً ، ودافع عن نفسه دفاع الياأس المستميت ، ولم يتورع عن مهاجمة الأمير « أبي فراس » الذي طالما أظهر له التهيب وزعم أنه لم يجرؤ على مدحه « لإجلالاً » « لا إغفالاً » ماذا ؟

بل ذهب إلى أبعد من ذلك فهاجم سيف الدولة نفسه ولم يتهيب وقرعه أشد تقريع ألا ترى إليه يعاتبه فيقول له مقررأ :

« كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والتقصان عن شرفي أنا الثريا ، وذان الشيب والهرم »

ثم يتهده بالرحيل فيقول :

« أرى النوى تقتضي كل مرحلة لا تستقل بها الوخادة الرسم
لئن تركت (ضميراً) ^(١) عن ميامنا ليحدثن لمن ودعتهم ندم
إذا ترحلت عن قوم — وقد قدروا أن لا تفارقهم — فالراحلون هم
ويقول : « شر البلاد بلاد لا صديق بها وشر ما يكسب الانسان ما يصم »
ويعرض بأبي فراس في قوله — :
« أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم »

ويقرع منافسيه بقوله :

(١) « ضمير » اسم جبل على يمين طاب مصر من الشام ، وهو قريب من دمشق

«بأي لفظ تقول الشعر زعنفة تجوز عندك لا عرب ولا عجم»
 ويفخر على جميع الحاضرين فيقول:
 «سيعلم الجمع — ممن ضم مجلسنا — بأنني خير من تسعى له قدم!»
 إلى آخر ما قال

الحق أن المتنبي لم يكن في هذه المرة شاعراً فحسب، بل كان شاعراً فارساً يتأهب لحوض غمار موقعة حرية حامية الوطيس مستهيناً بكل ما يلقاه فيها من أذى موطناً نفسه على كسبها أو الاستشهاد فيها

ولقد خاطر المتنبي نفسه في هذه المرة وغرر بها — وهو الذي الحازم الحصيف —
 وركب مركباً وعراً، وكأنيما كان يضع نصب عينيه قوله:

«إذا لم يكن إلا الأسته مركباً فما حيلة المضطر إلا ركوبها»
 وقوله: «غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا
 وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جباناً»
 ولقد صدق فيه قوله:

«لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم»

على أن المتنبي — رغم جرأته — قد أظهر في هذا الموقف براعة فائقة وحقاً ممتازاً عجيباً
 فكان كالربان الماهر يغالب العاصفة الهوجاء بكل ما أوتي من يقظة ودربة وحزم
 لقد كان يعرف أن سيف الدولة مغيط منه مخنق عليه وأن خصومه متأهبون لنضاله
 والكيد له، وأنهم لم يصلوا إلى إيغار سيف الدولة عليه إلا بما أدخلوا في روعه من تعالیه
 عليه وعجرفته وسوء أدبه ومدحه نفسه إلى جانب مدحه إياه^(١)

كان المتنبي يعرف ذلك، ولكنه أبن إلا أن يُرَبِّي على الغاية في مناوأة خصومه فكل
 المدح لنفسه ولسيف الدولة بأوفى مكيال ورفع نفسه إلى منزلة لم يكد يزعمها لنفسه في كل
 مدائح السابقة رغم ما يعرفه من حرج الموقف ودقته

ولعل أول ما يستدعي انتباهنا في هذا المجلس الحاشد أمران

(١) قوة المتنبي ويقظته.

(٢) وبديهة أبي فراس وفطنته.

(١) قالوا: «وكان المتنبي يتعالى على سيف الدولة وكان سيف الدولة يقتناظ من تعاليمه ويجفو عليه
 إذا كلمه والمتنبي يحجبه في أكثر الاوقات ويتقاضى في بعضها»

فقصيدة المتنبي هذه اذا أخذت برأي القائلين بأنه ارتجل أكثر أياتها — تدل على قوة خارقة . واذا اخذت برأي القائلين إنه أعدها من قبل ، تدل على يقظة مدهشة وعلى تنبؤ عجيب بما توقع حدوثه من خصومه ، كما تدل على انه كان :

« الألمي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا »

ولعل الجمع بين الروايتين هو الأقرب للعقل ، فقد نظم المتنبي قصيدته وتوقع أشباه هذه المفاجئات فأعد لها عدته ، وساعدته نفسه الثائرة على ارتجال أبيات قليلة دفعه الى ارتجالها ذلك الظرف الحرج الدقيق^(١)

ولقد كاد يفتك بالمتنبي خصومه في حضرة سيف الدولة — كما أسلفنا — وهم جماعة بقتله في مجلس سيف الدولة — لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة — فلما وصل في انشاده الى قوله :

« يا أعدل الناس الا في معاملتي كيف الخصام وأنت الخصم والحكم؟ »

تصدى له أبو فراس فقال له : مسخت قول دعبل وادعيته ، وهو :

« ولست أرجو اتصافاً منك ما ذرفت عيني دموعاً وأنت الخصم والحكم »

وليت شعري كيف يكون الابداع والتجميل اذا عد هذا مسخاً وتشويهاً ، ولكنه

(١) ولستنا بذلك ننكر على المتنبي قدرته على الارتجال وسرعة البديهة ، فقد شهد له النقاد بذلك وأثبتت الحوادث قدرته العجيبة على الارتجال ، فن ذلك ما يروونه عنه قوله — وكان قد أنشد بعض أبيات ولم يظهر معنى البيت الأول لقوم كانوا في مجلس سيف الدولة :

أتيت بمنطق العرب الاصيل وكانت بقدر ما عاينت قليل

فعارضه كلام كان منه بمنزلة النساء من البعول

وهذا الدر مأمون التشظي وأنت السيف مأمون الفلول

وليس يصح في الازدهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

ومن ذلك ما يروونه من أن بعض أصدقائه طلب اليه أن يصف له حادثة وقعت له فحكمه المتنبي في الوزن والقافية فقال صاحبه : « لا ، بل الامر فيها اليك »

فأخذ أبو الطيب درجا واخذ صاحبه درجا آخر يكتب فيه كتاباً ، فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وأنشد ارجوزته المشهورة التي اولها : « ومنزل ليس لنا بمنزل » وأحب أن يرجع اليها القاري في ديوانه وقد قال ابن رشيق في ذلك — وكان أبو الطيب كثير البديهة والارتجال الا ان شعره فيها نازل عن طبقته جدا ، وهو لعمري في سعة من العذر إذ كانت البديهة كما يقول ابن الرومي :

« نار الروية نارجد منضجة وللبديهة نار ذات تلويح »

وقد يفضلها قوم لسرعتها لكنها سرعة تمضي مع الريح

الهموى والغرض والتحامل . ورأى المتنبي أن أبلغ ما يرد به على انتقاده هو أن يصارحه برأيه فيه الذي طالما كتمه وأخفاه عنه ، فأشدد سيف الدولة :

« أعينها نظرات منك صادقة أن محسب الشعم فيمن شحمه ورم »
قالوا : فعلم أبو فراس أنه يعنيه فقال :

« ومن أنت يا دعي كندة حتى تأخذ اعراض اهل الامير في مجلسه »

ولكن المتنبي لم يعبا به ولم يلتفت اليه بل استمر في انشاده الى أن قال :

سيعلم الجمع — بمن ضم مجلسنا — بأنني خير من تسعى به قدم
أنا الذي نظر الأعمى^(١) الى أدبي وأسمعت كلماني من به صمم

قالوا : فزاد ذلك غيظاً في أبي فراس وقال : « سرقت هذا من عمرو بن عروة ابن العبد في قوله :

« أوضحت من طرق الآداب ما اشتكت دهرأ وأظهرت اغراباً وابداعاً
حتى فتحت بإعجاز خصصت به للعمى والصم أبصاراً وأسماعاً
ولما وصل الى قوله :

« والحيل والليل واليداء تعرفني والحرب والضرب والقرطاس والقلم »
لم يستطع منافسه أبو فراس أن يخفي موجدته عليه وأبى إلا أن يصارحه بالكيد ويدس له علناً عند سيف الدولة فقال له : —

وما أبقيت للأمر إذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسباحة ؟
تمدح نفسك بما سرقة من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟
أما سرقت هذا من الهيثم بن الأسود النخعي :

« أعاذلتي كم مهمه قطعته أليف وحوش ساكنا غير هائب
أنا ابن الفلا والطنع والضرب والسرى وجود المذاكي والقنا والقواضب
حليم وقور في البلاد ، وهيتي لها في قلوب الناس بطش الكتائب »

(١) قالوا ان ابا العلاء حين قرأ هذا البيت قال : « كأنما عناني المتنبي بهذا البيت »
ولقد كان اعجاب ابي العلاء بالمتنبي عظيماً جداً ، واستدل بعضهم بهذا الاعجاب على تفوق المتنبي عليه ، وهو استدلال بعيد . فقد كان اعجاب المعري بأبي الطيب من قبيل اعجاب العظيم بالعظيم والاند بالندي اعجاب التلميذ بالاستاذ . وان تأثر به في صباه . وعندنا ان المتنبي — على عظمته وعلى اجلالنا له — اذا قورن بالمعري شالت كفته ورجعت كفة ابي العلاء وفضله في كثير من المنزاي الباهرة التي اختص بها المعري — او كاد — من بين شعراء العربي قاطبة ، وليس هذا مقام التفصيل وانما هو رأي اثبتناه عرضاً

ولعلك تلمح في قول أبي فراس « وتأخذ جوائز الأمير » سرّاً من أسرار حقه
على المتنبي . وأنشد المتنبي قوله :

« وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم ؟ »
فقال أبو فراس : وسرقت هذا من قول معقل العجلي :

« إذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني ، فالعينان زور وباطل ؟ »
ولحمد بن أحمد بن أبي مرة المكي مثله :

« إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء ؟ »

قالوا : وغضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها ،
وضربه بالدواة التي بين يديه . ولو كان المتنبي — كغيره من الناس — لانهزم مرغماً بعد أن
رأى روح الخصومة واللدد مهيمنة على هذا المجلس ، ولكن المتنبي ممن لا يزيدهم الخصومة
إلا قوة على قوته ، ومن الناس من تشجذ الخطوب خاطرهم وتضاعف من يقظتهم وتقوي
من حجبتهم . والمتنبي من هذا الفريق . قالوا : فقال المتنبي في الحال :

« إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح — إذا أرضاكم — ألم »

فلم يكده يسمعه سيف الدولة حتى انطلقت أساريه وبدأ البشر على وجهه
وأراد أبو فراس أن يسير على هذه الوتيرة فقال له : أخذت هذا من قول بشار
« إذا رضيت بأن نجفى ، وسرکم قول الوشاة ، فلا شكوى ولا ضجر »
ومثله لابن الرومي : —

« إذا ما الفجائع أكسبنني رضاك فما الدهر بالفاجع »

فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قال أبو فراس وأعجبه بيت المتنبي
قالوا :

ورضى عنه في الحال وأدناه إليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفه بألف
أخرى فقال المتنبي :

جاءت دنائرك محتومة عاجلة ألفاً على ألف
أشبهها فعلك في فيلق قلبته صفاً على صف

كامل كيلاني

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترقباً في المعارف وانهاضاً لهمم وتشجيعاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فتحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف وبراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فنأطرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الایجاز تستخار على المطولة

كيف نترجم شكسبير ؟

فلقينا طائفة من الرسائل الأدبية النقدية تقديراً لتعاون المقتطف على نشر ترجمة «العاصفة» ترجمة دقيقة آمنة . فاكتفينا الآن بنشر ما لين منها لانهما يتضمنان رأيي مفكرين معروفين وأديبين مشهورين في مسألة الترجمة الحرفية والمعنوية

١ - رأى الاستاذ الشايب

الترجمة المعنوية خير سبيل
لامتزاج الآداب وتناجها

ليس قراء اللغة العربية في حاجة لتحدث اليهم عن شكسبير وآرائه الأدبية الخالدة فان جمهور الأدباء والمتعلمين على علم كثير بتلك الآثار سواء في ذلك من قرأه في اللغة الانجليزية ومن اطلع عليه مترجماً الى العربية اذ ان هذا الشاعر العالمي الكبير صار الآن بحكم الترجمات العدة ملكاً شائعاً للعالم اكثر ما هو ملك لأمة او للعالم الاوروبي وصار ادبه جزءاً متمماً لكل الآداب الانسانية لانه صورة انسانية قوية مهما تختلف بها الأزمنة والأماكن

نقول هذا بمناسبة تلك الرواية الممتعة التي ستدرس هذا العام الدراسي الجديد لطلبة السنة الخامسة الثانوية وهي « العاصفة » التي عني « المقتطف » بنشر ترجمتها لا اتحدث عن موضوع الرواية وتحليلها فذلك كله وغيره موكل الى « المقتطف » او بعبارة اخرى الى الشاعر العصري الدكتور ابي شادي الذي يقوم بالترجمة والشرح والتعليق والتحليل . وانما اتحدث الآن فقط عن تلك الملاحظات التي بدت لي اثر الامام بالفصل الأول الذي اذاعه المقتطف ماحقاً بعدد اكتوبر من هذه السنة

اما مجهود المقتطف في العناية بهذه التحفة القيمة فليس اول مجهود ادبي او علمي او فلسفي يحفزنا الى الثناء عليه او تقرظه والناس جميعاً يعرفون ما هذه المجلة من المنزلة في تثقيف الشرق العربي اكثر من نصف قرن . كذلك نعرف للدكتور ابي شادي قيمته العلمية والأدبية طيباً و كاتباً وشاعراً وقديراً على الترجمة من الانجليزية واليهما كاحسن ما يترجم رجل دقيق الحس ، يقظ الفؤاد ، أمين فيما ينقل ، ولكن كيف كان موقفه في ترجمة هذه الرواية خاصة ؟

يظهر لي ان المترجم تحرى صالح الطلبة كثيراً وحرص على ذلك حتى جعل الترجمة صورة مطابقة للأصل الانجليزي من حيث المفردات والأساليب الى درجة اوشكت ان تصير بها ترجمة حرفية لهذه الرواية ، ومن يقرأها فكا أنه يقرأ الأصل الذي كتبه شكسبير نفسه نعم ان هذا يفيد جداً أولئك الطلبة في حجرة الدراسة لانهم مضطرون الى تفهم المفردات والأساليب والوقوف على مراميها في لغة المؤلف وهم لاشك يظفرون بذلك كله في ترجمة الدكتور حتى اذا ارادوا أو اراد غيرهم الانتفاع بتلك الترجمة في نقل روح شكسبير الى تعابيره الخاصة استطاع ان يخلص مما يسقط فيه عجز المترجمين الذين يعثون بالمعاني العربية ويشوهونها في خلال ما يصطنعون من الالفاظ والأساليب شعوذة ومدارة للجهالة وخيانة في النقل نقول ان هذه الامانة في الترجمة وتتبع أسلوب المؤلف أفاد الطلبة فائدة حقة ومكسبهم من تلك القطرة التي تصل بهم من لغة شكسبير الى اللغة العربية القوية ، ولذلك اضطر المترجم ان يستعين على افهام الطلبة المعاني واخضة قوية بتلك الهوامش التي علقها عليها في ذيل كل صحيفة حتى ليستطيع القارئ تبين المعاني الجزئية والكلية بدون معلم او مرشد وهذه خدمة سيعرفها الجمهور للمقتطف وللدكتور ابي شادي . مثال ذلك في المنظر الاول من الفصل الاول ، قول ملاحظ السفينة للملاحين « هاي يا قلوبي » فيفسرها بقوله أي يا خالصائي أو يارجالى وكقول الملاحظ للعاصفة : « هي الى ان تتفجر ربحك » فيشرحها بقوله أي الى أن تستطيعي أكثر من غايتك ، وكرجته « بي راحة عظيمة من هذا الرجل » فيوضحها هكذا : أي إني مطمئن اليه . . . وهكذا تجد أمثلة كثيرة لهذا النوع من الشرح ومسألة اخرى ظفر بها الدكتور وهي اختياره كثيراً من الالفاظ العربية الدقيقة التي تلائم نظيراتها الانجليزية دون حاجة الى جمل بدل تلك المفردات واضطرا الى الدوران حول المعنى الاصلي . وهذه لاشك تحتاج الى بحث واستقصاء وذوق دقيق مثال ذلك « قرايا الاشرعة = Yards مفردا قرية » والقرية بتشديد الياء عود الشراع الذي يجعل في عرضه من اعلاه وميرة ثالثة وفق اليها وهي مسألة الصور الملحقه بالترجمة لشرح مناظر الرواية ، ولا اظن

احداً من مترجمي الروايات المدرسية قد سبق المقتطف ومترجمه الى هذه العناية البالغة بالاعتناء بالناس جميعاً يعرفون ما لهذه الصور من القيمة في نقل روح الرواية وملاساتها الى عقول القراء وبعد فان القراء سيأولون ايها أجدى واقوم الترجمة الحرفية ام الترجمة المعنوية ؟ وربما لا يفرق بعضهم بين مناسبات كل نوع ومواضعه غير اني ارى ان الترجمة التي تشارف الاصل وتقترب اليه ازم في ادوار التعليم ما دمنا نقصد بها الامام بالمفردات ومعانيها والاساليب ومضامينها والتدرج بالطالب من ذلك الى نقل روح المؤلف وشعوره اثناء ما كتب او شعر . ولا شك بعد هذا ان الترجمة المعنوية التي ترمي تواءماً الى نقل الرواية من لغتها الى لغة اخرى خير سبيل الى الافادة وامتزاج الآداب وتناجها متى استطاع المترجم الى هذا « النقل » الصادق القوي الدقيق ، .. ولسنا كذلك في شك من ان صاحبنا الدكتور قد وفق بين الخطتين فدلنا على جهده ونبوغ عظيمين

يعدنا المقتطف مشتركاً مع المترجم بعد اتمام نشر هذه الترجمة تبعاً بطبعها مستقلة مع كثير من الشروح الاخرى والتعليقات التي لاغنى عنها والتي لا يتسع لها صدر المجلة ونحن من ناحيتنا نشكرها معاً هذا الجهد ونرحب بسائرهم وننتظره وينتظره الطلبة والمتأدبون

الاسكندرية
احمد الشايب

٢ - رأى اسماعيل مظهر بك

طريقة ابو شادي في ترجمة الباصفة
هي الطريقة المثلى ولا طريقة غيرها

اذا قابلت تاريخ الآداب بعضه بعض وقعت على ظاهرة غريبة . وقعت على شاعرين انكليزيين يقابلهما شاعران اوريان . بحيث يتحد كل شاعر من الشاعرين الانكليزيين بشاعر من الشاعرين الاوريين في المراحم والمقاصد والمشايع . بل وفي النسق على وجه التقريب . فلتون يقابله داني وشكسبير يقابله جوت . وعندي ان التفرغ لهذا البحث والتوفر عليه يمكن ان يخرج مجموعة من النقد قل ان نعتز عليها في لغة من لغات الارض . واعتقد فوق هذا ان المقابلة بين « الفردوس المفقود » لمتون وبين « المهزلة الالهية » لداني ، اسهل متناً من المقابلة بين روايات شكسبير وبين « فوست » ذلك لان الفردوس والمهزلة تناولان شيئاً من وضع الخيال الانساني ، يسهل على خيال خصب ان يمتد الى اغوارها ويستخلص منها اغراض معانيهما . في حين ان اعمال شكسبير وفوست تناولان طبيعة العنصر الانساني الذي لا يحتاج الى خيال فقط ، بل يحتاج الى كثير من قوة الملاحظة والحكم وعمق الفكر وسلامة الاستنتاج والقدرة الاستقرائية الفائقة

اذا عرفنا هذا استطعنا ان نقدر الى اي حد تذهب الحاجة في ترجمة شكسبير الى الاناة

والصبر وتعويد الفهم الى استخلاص اعظم معنى من اظهر جملة ومن ابسط سياق . فكلمة « لا » او كلمة « نعم » في سياق مناقشة لشكسيير قد يكون لها معنى يستخلص من طبيعة المحاوره فيتناول ابعاد غور من اغوار الطبيعة البشرية . او كلمات يكون ظاهرها السخرية والتدليل ، ولا يقصد بها شكسيير الا التعبير عن اغمض ناحية من نواحي النفس الانسانية . مثالك على ذلك قول كليوباترة لاحدى وصيفاتها « اذهبي فاذا رأيت انطونيوس في مجلس شرايه فعرفيه بانى ابكي واذا رأيته يبكي فعرفيه بانى ارقص » فان هذه الكلمات التي ليس في مظهرها الخارجى شيء سوى السخرية وعنف الانتقام ، تعبر عن حقيقة نفسية بعيدة الغور في الطبيعة الانسانية ولا يسهل عليك ان تعبر عنها في الادب بكلمات هي ابلغ من سياق شكسيير الساذج البسيط . وعندي ان نشاط شكسيير وتبسطه في بعض الاحيان من اغمض الاشياء في شكسيير

هذا لندلك على ان ترجمة شكسيير الى اللغة العربية مجازفة أقدم عليها البعض من الكتاب فأوسعوا شكسيير مسخاً وهضاً حتى لقد كتبوا في خيالهم روايات نسبوها الى شكسيير واطهروا على المسارح شخصيات بينها وبين شكسيير من البعد بقدر ما بين الارض السفلى والسماء العليا وعلى هذه الصورة الممسوخة عرفنا شكسيير صفاراً وكدنا تتأثر به رجالاً . بل لا نبالغ اذا قلنا ان اكثر ادبائنا قد تأثروا فملاً بهذه الصورة . فخيّل اليهم ان شكسيير كاتب رواي كبقية الكتاب . لاميّزة له الا اليجاز الشديد في بعض المواضع والغموض الفاضح في التعابير واستعمال لغة كان يعرفها الانجليز من اربعة قرون ! وهذا دليل على أنهم لم يدركوا من حقيقة شكسيير الا المسخ الظاهر الذي مسخه بعض الكتاب ولم يستعمقوا الى الجوهر الكامن في فلسفته العليا التي تناولت كل نواحي التجارب الانسانية . ان لم يكن في هذا القول مبالغة بوجه من الوجوه وقد اختلف الادباء ، وان شئت فقل المتأدين او طالبي الادب على الطريقة التي يجب ان يترجم بها شكسيير . فقال البعض بضرورة التصرف في المعنى مع التصرف في اللفظ . ويتبع هذا بالضرورة التصرف في الامثال المضروبة وفي التعبيرات التي لم يضعها شكسيير في مواضعها تلك الا عن ضرورة اما معنوية واما لغوية . وقال البعض بضرورة النقل الامين للمعاني التي رمى اليها شكسيير مع التصرف في الالفاظ وقال ابوشادي بضرورة النقل الامين مع المحافظة بقدر المستطاع على الالفاظ بما يقابلها في العربية

ولا ضرورة لان نين وجه الخطاء في الطريقتين الاولين . فقد جرى بعض المترجمين على اتحال امثال عربية عزها لشكسيير ولغيره من الكتاب فقالوا مثلاً « لاناقة لي فيها ولا حمل » « وفي الصيف ضيعت اللبن » « ولابن في الصيف تامر » الى غير ذلك . مع ان

شكسبير وغيره من الكتاب مثل جوته ودانتي وملتون لم يعرفوا الناقة ولا الجمل ولا كيف تضع
في الصيف اللبن ولا ما هو اللابن ولا التامر » لان هذه الامثال منحوتة من تجارب محلية
احتضت بها طبيعة البلاد التي قيلت فيها ، فكيف تعبر بالله عليك عما قام في رأس شكسبير ؟
وظنوا مع هذا ان شكسبير لن ينقل الى العربية الا اذا استعملوا الامثال العربية المضروبة
مند عشرين قرناً من الزمان وكانت لها مناسبات قل ان وقعت امثالها لشكسبير ، وحالات قل
ان قامت في انجلترا مثلاً . ومع هذا يقولون انهم نقلوا شكسبير للغة العربية وهم لى الواقع لم
ينقلوا الا صورة من الادب العربي كما تقوم في اذهانهم مسوقة من وقائع متحلة من روايات شكسبير
اما الطريقة التي اتبعها الاستاذ الدكتور ابو شادي في « ترجمة العاصفة » فعندي انها
الطريقة المثلى ولا طريقة غيرها يمكن ان تؤدي معنى « الامانة » في نقل شكسبير الى
العربية هذا اذا اردنا ان ندرك في روايات شكسبير حقائقها . اما صورها الظاهرة فيقال
يتسع لكل كاتب ان يكتب فيه . ذلك لان ادراك الصورة في الادب شيء مخالف تماماً
لادراك الحقيقة . فقد استطيع مثلاً ان اتناول « فوست » واقول انه رجل وهب نفسه
للشيطان وجري وراءه اشواطاً ففسق عن الآداب وجرى وراء اللذات اشواطاً ثم مات
حزيناً . هذه صورة لم تقم يوماً في عقلية جوته ولا رمى اليها بل ولم يعرفها . ولكنها صورة
ظاهرة يمكن استخلاصها من ذلك الكتاب الخالد . أما ادراك الحقيقة من « فوست » فذلك
ما لا يدعي كاتب من الكتاب انه ادركها اذراك تاماً

هذا ونقول بأن التعميم في الأدب كالتعميم في اللغة كلاهما خطر على العقول وعلى
الآداب نفسها . ذلك لأن الأدب الذي ينتجه اديب يجب ان يعتبر وحدة كاملة تستخلص
من عصاره نفسه وذهنه . فاذا اعتبرت شكسبير وحدة كاملة لا تتجزأ كما اعتبره ابو شادي
في ترجمته السليمة التي يترجم بها الماصفة للمقتطف ، بلغت اقرب نقطة يمكن ان ترقب منها
شكسبير عن كذب وان ترى فيه من الأسرار ما لا يراه غيرك كراصد سيار يحاول ان يكون
السيار في اقرب نقط مداره من الأرض ليكشف منه بمنظاره ما لا يستطيع وهو في أقصى بعدم
ولقد قام الأستاذ ابو شادي بأكبر خدمة للأدب العربية بأن اظهر شكسبير كما هو
بمعانيه وتعبيراته . وهي تعبيرات قد نراها لأول وهلة غير متسقة مع السياق والسليقة
العربية الفجة ولكنها على اية تعبيرات شكسبير في العربية كما هي في الانجليزية وهكذا
يجب ان ينقل شكسبير . ولا يسعنا بجانب هذا الا ان نغبط المقتطف على جهودها الثمرة
والتضحيات التي تضحي بها في سبيل الادب العصري

بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِقْتِصَا

التعاون في مصر

تاريخه — كانت ازمة سنة ١٩٠٧ السبب المباشر لتنبية المهتمين بشؤون القطر الاقتصادية على التفكير في تطبيق نظام التعاون على مصر . ويعود الفضل في تأسيس الحركة الى رجلين البرنس حسين كامل باشا والاستاذ عمر لطفي بك . ففي سنة ١٩٠٨ كان نوبار باشا يقدم تقريراً للبرنس عن درسه للحركة في اوربا حين اخذ الاستاذ يلقي المحاضرات عما شاهده في ايطاليا وعن انظمة غيرها من الممالك

وما اتت سنة ١٩٠٩ حتى الفت الجمعية الزراعية، التي كان يرأسها البرنس حسين، لجنة لدرس الموضوع ، في حين زاد نشاط عمر لطفي واخذ يبشر بالفكرة في انحاء القطر . اخيراً قدمت اللجنة مشروع قانون مكون من ١٥ مادة الى الحكومة فجاهد البرنس لاستصداره حين غرس عمر لطفي بذرة التعاون المنزلي بتكوينه شركة التعاون المالي التجارية بالقاهرة قاصداً ان تقوم ايضا للجمعيات التعاونية بعمل الاتحاد من توريد وتسليف . وقد صدر الامر العالي بانشاء هذه الشركة في اواخر يناير سنة ١٩١٠ وفي هذه السنة (١٩١٠) اسس عمر لطفي نقابة شبرا الخيمة فكانت اول هيئة تعاونية زراعية في مصر . وفكر السيرالدون غورست المعتمد البريطاني في حل معضلة التسليف المصرفي عن طريق التعاون ولكن قبل ان تنقضي سنة ١٩١١ مات عمر لطفي في جهاده فاحتل مكانه خليفته واخوه الاستاذ احمد لطفي بك فاخذ يعمل في انشاء النقابة العامة وبالفعل تم له تكوينها في اوائل ١٩١٢ وفي السنة نفسها استقدمت الجمعية الزراعية المفتش العام لوزارة الزراعة بفرنسا وعلى اساس ارشاداته عدل مشروع القانون السابق فاصبح مكوناً من ٢١ ماده

والفت لجنة حكومية لبحث الموضوع سنة ١٩١٣ فوضعت مشروعاً ثالثاً مكوناً من ١٥ ماده حوّل على الجمعية التشريعية فاحالته الى لجنة لبحثه من وجهتي معاونة الحكومة المالية وعلاقة البنك الزراعي بالحركة ثم اقر المشروع الاخير بعد تحويل وتبديل كثيرين فقام على اثر هذا القرار حضرة صاحب المعالي اسماعيل صدقي باشا وزير الزراعة اذ ذاك لنشر الدعوة

بنفسه وبالفعل حررت عقود تأسيس لبعض الجمعيات ولكن اعلان الحرب شلَّ الحركة في مهدى حلت بعد ذلك فترة تمَّ فيها نشر الدعوة عن طريق الكتابة فألفت بعض كتب منها كتاب لصاحب العزة (السعادة الآن) صادق حنين بك والآخر للاستاذ عبدالرحمن الراجحي وافلح صادق حنين ، الذي كان مديراً للديوان والاقتصاد بوزارة الزراعة، في درج موضوع التعاون ضمن برنامج التعليم في مدرسة الزراعة بالجيزة وعهد اليه في امر تدريسه فيها ولما عقدت الهدنة وصالحات الاحوال كلف المجلس الاقتصادي لجنته الزراعية درس الموضوع فعرضت مشروعا على المجلس وبالفعل صدر في ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٣ القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ ونشرت الوقائع المصرية قراراً وزارياً بانشاء قسم تسجيل وتفتيش شركات التعاون الزراعية « ولكن اظهر الاختبار وجوب تنقيح هذا القانون » فكلف مجلس النواب لجنة التعاون والشئون الاجتماعية درس الموضوع مرة اخرى ثم صدر القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ في ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٧ وهو الاخير. ويجدر بي هنا ذكر تطوع وزيرين من وزراء الزراعة لقيادة حركة نشر الدعوة بنفسيهما وهما حضرتنا صاحب السعادة توفيق دوس باشا وفتح الله بركات باشا

النظام الاخير — تؤسس الجمعية التعاونية من عشرة افراد بالاقل لاجل تحسين حالتهم المادية في مسائل الانتاج والشراء والبيع والاقتراض والتأمين واستغلال الاراضي واعمال الري والصرف وبناء المساكن وما شاكل ذلك . وللجمعية ان تقتصر على عمل واحد او عدة اعمال مما سبق بيانه ولكن لا يجوز لها معاملة غير اعضائها الا في الاحوال الاستثنائية ولا يجوز لها مطلقاً ان تقرض غير اعضائها ولا يجوز ان تكون اكثر من جمعية واحدة لغرض معين في مدينة او قرية الا بتصريح خاص من قسم التعاون (وتستثنى المحافظات وعواصم المديرية من ذلك) وتكون الجمعية ذات مسئولية محدوده (بقدر قيمة اسهمها او بقيم اكبر منها تعيّن في العقد) او مسئولية غير محدودة فيضمن الاعضاء كافة الالتزامات وفي هذه الحالة يجب ان تذكر الجمعية ضمن اسمها ما يفيد ان مسئوليتها غير محدوده وللنوع الاخير من الجمعيات ان تكون بلا رأسمال

وللجمعيات التعاونية مجلس اعلى يرأسه وزير الزراعة يعيّن بعض اعضائه وينتخب بعضهم الاخر وثمان السهم الواحد في الجمعية التعاونية يجب ان لا ينقص عن ٥٠٠ مليم ولا يزيد عن جنبيين ويجب دفع ٥٠٠ مليم من ثمن السهم وقت الاكتتاب على ان يسدد الباقي — ان وجد — فيما بعد دفعة واحدة او على اقساط اما الامتيازات التي تتمتع بها الجمعيات التعاونية فهي :
(١) الاعفاء من الرسوم النعمية على العقود عند التسجيل وما يتبعها

- (٢) الاعفاء من رسوم تسجيل ممتلكاتها
 (٣) » » تقديم التأمين المؤقت عند دخول المناقصات الحكومية بشرط ان تورد ماهو داخل في دائرة اعمالها
 (٤) الاعفاء من الرسوم الجمركية على العدد التي تستوردها لتأسيسها في بدء عملها وذلك في السنتين الاوليين من تأسيسها
 (٥) خصم ٢٥٪ من اجور نقل هذه الآلات على سكك حديد الحكومة
 (٦) تخفيض ١٠٪ من رسوم التحليل في المعامل الكيماوية
 (٧) » ٥٪ على الاقل من اثمان البذور والاسمدة التي تشتريها من وزارة الزراعة لمنفعة اعضائها

ويشترط في العضو ان يكون مصرياً مقيماً في الجهة التي تراول الجمعية عملها فيها او تكون هناك مصالحه او اشغاله وان لا يكون محكوماً عليه بالافلاس او بجنحة مخلة بالامانة والشرف وان يقبل كتابة نظام الجمعية ويقوم بالتعهدات المطلوبة منه — ولكن لا يجوز اجبار العضو على الاكستاب في اكثر من سهم واحد — ولا يجوز للعضو الالتحاق بجمعية تعاونية تشغل بالعمل نفسه في الناحية نفسها ولا يلحق بجمعية اقراض تعاونية غير جمعية الاقراض التي ينتمي اليها

الاسهم اسمية غير قابله للتجزئة ولا يجوز الحجز عليها الا لسبب ديون الجمعية ولا يجوز للعضو ان يمتلك اكثر من خمس مجموع رأس المال

يدير الجمعية مجلس ادارة مكون من ثلاثة اعضاء على الاقل وتنتخب كل جمعية ثلاثة اعضاء آخرين على الاقل لتكوين لجنة المراقبة ولا يجوز الجمع بين عضوية الهيئتين

يقوم الآن قسم التعاون بعملية انشاء وتسجيل الجمعيات التعاونية ومراجعة حساباتها والتفتيش عليها كما وانه يقوم بطريقة غير مباشرة باقراضها وتقديم ما تحتاج اليه من زور واسمدة واغلب هذه الاعمال من اختصاص الاتحادات فالى ان يحين الوقت الذي تؤسس فيه اتحادات مركزية واتحادات عامة سيظل قسم التعاون قائماً مقامها

احصاءات — انشئت في مصر سنة ١٩١٤ اثنتا عشرة نقابة زراعية وفي سنة ١٩١٧ نقابتان وفي سنة ١٩١٩ نقابتان وفي سنة ١٩٢٢ نقابة واحدة وانشئت عشر نقابات في اوقات غير معلومة وجملة ذلك ٢٧ نقابة يصح ان يقال بانها نواة الحركة التعاونية في مصر التي غرسها المرحوم عمر واخوه احمد لطفي

اما عدد الشركات التي انشئت وفقاً للقانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ (الاول) فقد بلغ

١٥٢ شركة في حين ان عدد الجمعيات المؤسسة وفقاً للقانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ (الثاني والآخر) قد بلغ حتى نهاية ١٩٢٨ — ١٦٢ جمعية منها واحدة منزلية وقد زاد عدد الجمعيات وقت كتابة هذه السطور عن ٢٠٠ جمعية وعدد هذه الجمعيات قليل جداً ولكن يحاول قسم التعاون ان يسير بتؤدة وعلى نظام ثابت حتى تكون الجمعيات الحالية نماذج ييسر النسخ على منوالها

اما القروض الحكومية التي عقدتها الجمعيات فبلغت ٣٤٣٩ جنيهاً و ٤٤٠ ملياً سنة ١٩٢٦ و ٦٣٧٤ جنيهاً و ٥٤٣ ملياً سنة ١٩٢٧ و ٢٨٤٨٠ جنيهاً و ٨٠٠ مليم سنة ١٩٢٨ وقد قرر البرلمان مبلغ ٢٠٠٠٠٠٠ جنيهاً لتسليف الجمعيات التعاونية وبالفعل منحصر من هذا المبلغ ٢٥٠٠٠٠ جنيهاً على اساس تكوين ٢٥٠ جمعية وقد تسلم بنك مصر من وزارة المالية حتى الآن من هذا المبلغ الأخير ١٦٥٠٠٠ جنيهاً اقترضها كلها (او معظمها) للجمعيات خلال سنة ١٩٢٩

وتودع الحكومة الرصيد في بنك مصر بفائدة قدرها ٢٪ / ليقترضها الى الجمعيات باربة في المائة ويأخذ البنك الفرق نظير النفقات وليس للجمعيات الحق في تسليف اعضائها بأكثر من ٧٪ / باي حال ويوزع قسم التعاون التابع لوزارة الزراعة نشرات على الجمهور مجاناً عند الطلب ويعطي موظفوه الارشادات اللازمة لمن يطلبها

ويتبع قسم التعاون اربعة تفتيش يدير كل منها مفتش يشرف على عدة مناطق يعمل في كل منطقة منها موظف هو المنظم الذي يعنى عناية تامة بجمعيات المنطقة التي يتفاوت عددها في الوقت الحاضر بين عشر جمعيات وخمس عشر جمعية وذلك تبعاً لاتساع المساحة التي تحوي جمعياته ولكل تفتيش مراجع للحسابات مسئول عن ضبط حسابات جمعيات التفتيش واخذ الاهتمام بالتعاون يجذب تفكير المزارعين اليه اما الصحافة فقد نشطت الى النشر عن الحركة لتشجيعها بصرف النظر عن اختلاف الوجهات السياسية وزاد اهتمام الشبان الثوريين بالتخصص في التعاون وكتابة المؤلفات عنه فللدكتور ابراهيم رشاد مراقب قسم التعاون كتاب « مصري في ارنلدا » جمع في اختبارات النظرية والعملية عن التعاون بين جلديته ويجدر بي ذكر كتاب الدكتور حامد المرعشلي هنا لانه حاول فيه التطبيق اكثر من سرد المشاهدات

وقد اصدر قسم التعاون اخيراً « صحيفة التعاون » فكانت خطوة طيبة وواسطة للتفاهم بين اعضاء مختلف الجمعيات المصرية ومن مميزاتها احتوائها لآخبار الحركة في الخارج لايقاف التعاونين المصريين على احدث النظريات التعاونية

حزب الفلاح المصري

وزع الاستاذ اسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور ومحررها نشرة تحوي «مشروعاً لتأسيس حزب الفلاح المصري» وقد قدم مشروعه الى حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري

بدأت النشرة بمذكرة تهديدية استهائها واضعها ببسط نظرية ملتوس واردف استهلاله بكلام عن الانتخاب الطبيعي ثم الحق مذكرته الاولى باخرى «بيان» ذكر فيها ان الاحزاب تحتفظ باسمائها في حين ان الواحد منها يكون قد انحل واعيد تكوينه مراراً عديدة تلائم مقتضيات الاحوال ثم تكلم عن الاحزاب الانكليزية واشاد بذكر الحضارة الانجلوسكسونية ووضع بعد ذلك ٢٥ مادة كمبادئ للحزب الذي يدعو الى تشكيله وهذه المواد مختلفة المرامي مقتبسة من المبادئ الاشتراكية تارة ومن فكرة الدولية تارة اخرى وبعضها يدخل ضمن برنامج للاصلاح الاجتماعي والبعض الآخر لاصلة له بالفلاح ولا بالفلاحة

فالتسوية بين الناس في فرص الحياة (١) ونشر التعليم العام وتهيئة فرصة التعليم العالي لا كبر مجموع من الامة (٢) وتحديد ملكية الارض الزراعية وزيادة نسبة صغار الملاك (٣) والزام اصحاب الاطيان ببناء مساكن تتوافر فيها الشروط الصحية (١١) والتوسط بين اصحاب الاطيان والفلاحين في ابان اشتداد الازمات المالية او حدوث الظروف القاهرة لحفظ التوازن بين مصالح الطرفين (١٢) هي المبادئ الاشتراكية المراد تطبيقها على الزراعة والغاء الحروب والحض على كراهيتها (٥) وغرس روح الاخاء الشعبي بين الامم (٦) ووضع الجيش المصري تحت تصرف عصبة الامم ليكون بمثابة جزء من البوليس الدولي (٨) واقناع الدول بمبدأ جعل قواتها تحت سيطرة عصبة الامم (٩) هي مبادئ الدولية بمنها وانشاء المصانع برؤوس اموال مصرية بمحنة (٤) ومحاربة مبادئ البلشفية (٧) والعمل على رفع اسعار المحاصيل الزراعية (١٣) وحماية الاصناف العليا من القطن (١٤) وحماية ماء النيل (١٧) هي مبادئ لحزب الملاك الى حد بعيد

اما تحسين الحالة الصحية بين الفلاحين والعمال (١٠) والعمل على زيادة الثروة الاهلية بزيادة مصادرها الزراعية كزراعة الفواكه (١٩) وتعليم الفلاح طرق تربية الدواجن (٢٠) وادخال الطرق الفنية العلمية في الزراعة (٢١) وتحريم بيع الاراضي لغير المصريين الا لاجل محدود (٢٢) فاسس متينة للاصلاح الاجتماعي في بلد زراعي مثل مصر اما تهيئة المهاجر الزراعية للفلاحين وعلى الاخص السودان (١٥) والمطالبة بحق

مصر في السودان كاملاً فبدأت سياسة تتفق عليها الأحزاب
أما زيادة الانتاج في المناجم (١٨) وتلقين الفلاح المصري معنى الاستقلال (٢٥)
وضم النقابات الزراعية لسياسة الحزب (٢٤) والاحتفاظ بنصف اسهم الشركات الانتاجية
للمصريين (٢٣) فهي متفرقات
وقد اهتم أيضاً بكتابة رؤوس اقلام عن اللائحة الداخلية ترك للجنة التأسيسية النظر
في امرها وأهم النقط وهي عشرة

(١) الرئاسة تكون دائماً لرئيس الوفد

(٢) السكرتارية تكون دائماً لصاحب الاقتراح

أما نحن فنفهم من الحزب وجود جماعة منظمة للدفاع عن وجهة نظر تدافع
عن ضدها جماعة أخرى. فمثلاً الحزبان الطبيعيان لمصر يدافع احدهما عن وجوب التعاون
مع بريطانيا في حين يدفع الآخر عن فكرة عدم التفاهم. كذلك الحال في بريطانيا فحزب
المحافظين دافع عن رفع المكس في حين دافع حزب الأحرار عن حرية التجارة. وفي
ألمانيا حزبان رئيسيان — بكمية الدول الزراعية الصناعية — احدهما يطالب بحرية التجارة
لأنه حزب اصحاب المصانع. فلما أصبحت إنجلترا اقليةً صناعيةً صرفاً بدأ حزب الأحرار
في الاندثار وحل محله حزب العمال لأن المسألة أصبحت بين الرأسمال المثمر وبين
الصانع المغبون

أما مصر فليست بالبلد الصناعي حتى يؤلف الزراع لأنفسهم حزباً للجري وراء
نفعهم بل بالعكس ففيها ملاك وفيها فلاحون فقط وأغلب الملاك هم من الأجانب لأنهم
يملكون الجزء الأعظم من المساحة أما مباشرة او عن طريق الرهن فهل يريد الأستاذ
تكوين حزب الفلاح من صغار الملاك المرهقين بالديون ممرداً على دائنيهم ام يريد
ان يكونه من عديمي الملك ضد المالكين

ان اغلب النقط التي عرضها الأستاذ مظهر معقولة وكنت اود لو طالب الوفد المصري
بإدماجها ضمن برنامجها الداخلي. أما تكوين حزب من صغار الملاك او من الأجيرين ووضع
تحت سيطرة حزب سياسي له برنامج سياسي معروف فأمر لم يسمع بمثله

حقيقة ان احزابنا المصرية فقيرة جداً في برامجها الداخلية وعسى ان تكون صيحة
الأستاذ دافعة لها على الالتفات الى اصلاح الاجتماع الذي هو في نظرنا اساس كل

حركة سياسية

بَابُ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ وَتَدِيرِ الْمَنْزِلِ

قد فتحن هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته
من تربية الاولاد وتدير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة
وسير شهور النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطفل الناقه والعناية به

خطورة العناية بالناقة



النوم افضل مجدد لقوة الطفل الناقه

قال ويدار دوپان
الطبيب الفرنسي سنة
١٨٤٤ ما يأتي : « الى
الطبيب يجب ان يعهد في
العناية بالناقة كما يهده اليه
في العناية بالمريض ». وقوله
هذا لم تبلى الايام جدته.
فهو في هذا العصر صحيح
كما كان من خمس وثمانين

سنة. ففي اثناء نقه الطفل لا مندوحة عن
الاستعانة بمشورة الطبيب او ارشاده. فاذا
لم تدرك الأم خطورة هذا القول او لم تحفل به
نجح عن عملها نتائج تكون في بعض الأحيان مميتة
لتعتبر الأم حالة الطفل بعد اجتيازه
منطقة الخطر في مرضه وقد اخذت امائر
الصحة تبدو عليه. يرى الطبيب حينئذ ان
يقلل زيارته الطبية ولدى ادنى اشارة من

الوالدين ينقطع عنها بتاتا
فتنتقل العناية الدقيقة
بالطفل الناقه من ايدي
الطبيب الى ايدي والديه
فيهملان في الغالب التدقيق
في كل ما يحتاج اليه جسمه
الضعيف الناحل وما يجب
ان يمنع عنه حتى لا يصاب
بنكسة. وهما يحسبان في
الغالب ان الشفاء التام صار امراً محققاً. فتقل
عنايتهما بالاشراف على الشؤون الصحية اللازمة
ولما كان الطفل ممنوعاً في اثناء مرضه من استقبال
الزائرين في غرفته وعن اللعب بلبه او التمتع
بما يتمتع به الأطفال الأصحاء لأنها امور لا
يتحملها جسمه المريض فان والديه الا ن يرون
دخوله في دور النقه ايذاناً باستقبال الزوار
والتحدث اليهم وسرد ما يعرفه من النكات

وتلاوة ما تعلمه من الأ شعار واللعب بلعبه المختلفة ويسمحون له بتناول ما تعود تناوله من صنوف الطعام وينتظرون منه أن يأكل ما تعود أكله في حالته الصحية . وبكلام موجز ينتظرون منه ومن جسمه المدكوك بسموم المرض أن يرجع كما كان . جاهلين أو متجاهلين أن الجسم الضعيف لا يتحمل كل هذا

وأهم من الأمور المتقدمة نوع العلاقة التي توطد بين الطفل وأسرته في دور النقه — فالطفل في حالته الصحية يعمل اعمالاً يتعذر تفسيرها على من لم يعرف طبائع الأطفال وطرق تعليمهم وتهذيبهم .

أما وهو خارج من مرض وجسمه ضعيف فالمرجع أن يكون عصياً يبي لا قل سبب أو يطلب أشياء لا يسمح له عادة بتناولها مراعاة لصحته ولكن الأم الحنون لا تنظر الى ذلك فهي لشدة فرحها

بنجاة ابنها لا تمنع عنه شيئاً مما يطلب . وهذا خطأ كبير . لأن الطفل حينئذ يدرك أن طلباً له لا يرد . فتكثر مطالبه . ولما كان الطبيب قد انصرف عن عيادته والأم وسائر افراد الأسرة ميالون الى اجابته الى جميع رغباته فحالة الطفل في هذا الدور ابلغ مثل على سوء الادارة . فيُسبَدُ طريق الشفاء التام بسد مبني على الجهل الذي يقصد منه النفع .

بهذا نستطيع ان نعلل إصابة الطفل بمرض تلو الآخر او بالتكاسه . ذلك انه لم يمنح الوقت الكافي ليشفي شفاء تاماً من المرض السابق فينكس او يصاب بمرض لاحق مرتبط بالمرض الأول . اما ما نقوله الاهات عادة : « منذ ما مرض ابني مرضه الأول لم ير يوماً مثل الناس » فتفسيره

ان الطفل في دور النقه من مرضه الأول لم ينل العناية الكافية النيرة

ولما كان الطفل لا يدري مدى قواه الجسدية فانه يكون ميالاً في الغالب الى انفاقها من غير حساب

طرق لتسليه الطفل في اثناء النقه . لأنه لا يدري ان دور

النقه هو دور احتزان القوة والحياة لا انفاقهما الامراض التي تنجم عن اهل العناية

فالاعياء التام الذي يتبع الانفلونزا والنزلة الصدرية وغيرها من الامراض المعدية تحتاج الى كل خيرة الطبيب وبراعته . لان العناية الصحيحة تخفف بل وتمنع الاختلاطات التي تحصل عادة في اصابات الحصبة او الدفتيريا او الحمى القرزية او السعال الديكي . واكثر



الناس لا يدرون ان مرض القلب كثيراً ما ينشأ في الطفل بعد انقضاء سنة كاملة على شفائه من الزفن (الخوريا : وهو نوع من التشنج العصبي يصيب الاطفال والبنات منهم اكثر من الصبيان ويصحبه دقة الاحساس والضعف العام وانحطاط القوى العقلية) او الحمى الروماتيزمية. وانت لو قلت لاحد هم ان ابنك مصاب بمرض القلب لدعش وقال « مرض القلب وهو طفل ! من اين اتاه ! »

واهمال العناية اللازمة بالطفل الناقه قد يفضي الى ايقاظ مرض مزمن او عدوى كامنة في الجسم فتظهر اعراض لاعلاقة له في الظاهر مطلقاً بالمرض الذي شفي منه المصاب كظهور السل او الاصابة في الكليتين او غير ذلك من الاصابات التي يظن انها كانت قد شفيت كل الشفاء قبلاً . فعرفة هذه الفروع العديدة لموضوع النقة يحمل الطبيب على التشديد بوجوب العناية بالطفل الناقه اتم عناية وأوقافها. لأنه يعرف مدى الخطر الذي يتعرض له الطفل الذي بين يديه

مهما يكن المرض طفيفاً فهو يؤثر في الاعضاء والانسجة المختلفة تأثيراً يختلف مداه باختلاف الانسجة والاعضاء . وقد يبقى هذا الفعل في بعض الانسجة والاعضاء حتى بعد الشفاء فتقف بعض الانسجة مثلاً عن تجديد قواها وحيويتها . وقد سمعنا كثيراً من والدين دعوا الطبيب بعد شفاء طفلهم ليفحصه لأنه لا يستطيع ان يمشي مشياً طبيعياً . ولو ان الطفل بقي اسبوعاً آخر في السرير حتى يستطيع جسمه ان يخزن قوة كافية لرجليه وعضلاتهما التي ضعفت فجزت عن حمل جسمه لكان في ذلك البرء التام

قواعد العناية

فما هي قواعد العناية التامة بالاطفال الناقهين ؟ العناية بالناقهين تختلف باختلاف الامراض لا بل تختلف في المرض الواحد بين طفل وآخر . ولذلك يلزم ان يشرف عليها الطبيب . فالحصبة مثلاً تسير سيراً قانونياً في كل الذين يصابون بها كعلو الحرارة وظهور الطفح وهبوط الحرارة وغير ذلك من الاعراض . ولكن النقة من الحصبة يختلف باختلاف الافراد والعناية بالفاقة تختلف كذلك . ففي دور النقة يجب ان نغني بمعالجة المريض لا المرض

﴿ الراحة ﴾ الراحة من الاصول التي يجب ان تقوم عليها كل عناية بناقه طفل . لانها تمهد السبيل للانسجة لتنفض عنها آثار المرض فتجدد ما تلف من خلاياها وتستعيد النشاط والقوة سيرتها الاولى . والراحة كذلك — سواء كانت جسدية او عقلية — لا تستدعي اتفاقاً للقوة التي يحتاج اليها الناقه كل الحاجة لتجديد قواه . فان هو لم يصب من الراحة نصيباً كافياً حمل عبئاً مزدوجاً هو اتفاق ما عنده من قوة ونشاط، ومنع الانسجة من تجديد

قوتها ونشاطها. وتتقص ساعات الراحة رويداً رويداً بحسب مقتضى الحال. ومن الوسائل الحسنة لقضاء ساعات الراحة في السرير من غير انفاق قسط كبير من القوة اعطاء الولد من الادوات ما يستطيع ان يصوّر بها صوراً بالالوان او تعليمه صنع السلال الصغيرة من عيدان الخيزران الدقيقة او وضع آلة كاتبة امامه صغيرة الحجم وحمله على التسلي بها بالنقر عليها. وفترات الراحة يجب ان لا تكون في السرير دائماً فقد تكون في كرسي مريح حيث يستطيع الناقه ان يرتخي فتستريح العضلات بانبساطها

وبعد ذلك يأخذ في ممارسة ضروب الرياضة الخفيفة كاللشي قليلاً او العناية بغرس نبتة في الحديقة او الرقص مدة قصيرة رقصاً غير عنيف. والمرغوب فيه من ضروب الرياضة ما يكون في عيني الطفل تسلية ولعباً وان يتدرج في ممارسته رويداً رويداً

﴿الغذاء﴾ اما مسألة الغذاء فمن اهم المسائل في العناية بالطفل الناقه. والطبيب هو اصلح الناس لوضع بيان كامل للغذاء. فعامّة الناس مثلاً تعتقد ان الاطعمة الدهنية من اهم ما يحتاج اليه الناقه في مطلع دور النقه. والحقيقة غير ذلك. فالغذاء يجب ان يشمل اولاً على الاطعمة النشوية لان جهاز الهضم يستسهل هضمها

ويلي الراحة والرياضة والغذاء العناية بتدليك الجسم تدلياً معتدلاً فتشطبه العضلات ويلي ذلك الاستحمام بالماء الفاتر يتبعه رش من الماء البارد لتنبية الجسم

اما الهواء النقي ونور الشمس فننصران من اهم عناصر الصحة والقوة ومهما نقل في فائدتهما اذا احكم التعرض لهما لا نكون مبالغين

ويجب ان تنال مسألة الملابس عناية خاصة في دور النقه وفي غالب الاحيان يجب ان تكون الملابس من صوف ناعم خفيفة الوزن ويجب ان تكون واسعة تطلق حرية الحركة للاعضاء. لان الضغط على الصدر والعضلات يحمل الجسم على انفاق القوة جزافاً في اثناء التنفس او الحركة. والالوان الزاهية تكون عادة مصدر سرور وبشاشة يمكنان الطفل من استعادة قوته بسرعة. وهذا الجو المعقم بالسرور والبشاشة مقو طبيعي للجهاز العصبي والجسم بوجه عام

الصبر فضيلة. وقال العرب «الصبر مفتاح الفرج». وهو خصوصاً كذلك في دور النقه لانه اذا طال امد المرض والنقه ضجر المريض وضجر اهل بيته. ففي هذه الحال نجد ان بشاشة طبيب بارع والاعتصام بجهد الصبر اقوى العوامل في العودة من اغوار المرض الى احجاد الصحة والنشاط

مكتبة المقتطف

تاريخ ادب اللغة العربية

للمدارس السنوية

تأليف الأستاذ احمد الشايب — طبع بمطبعة الاسكندرية بأرشارع العطارين — صفحاته ٩٢ قطع وسط
لقد جمع الأستاذ الشايب في هذا الكتاب اطراف البحث في تاريخ الادب العربي
من العصر العباسي الى العصر الحديث وهو المقرر للسنة الخامسة في المدارس الثانوية .
فعالج الحالة الاجتماعية والسياسية في العصر العباسي الى آخر عهد المتوكل وأثرها في اللغة
والادب الى فنون الشعر في ذلك العصر الى أشهر الشعراء وأساليب الكتابة وأبرع
الكتاب وأثرهم في التأليف بالترجمة . ثم ألم بأحوال الادب العربية من عهد المتوكل
الى سقوط بغداد وكيف صارت مصر مركزاً للنهضة الأدبية في عهد الفاطميين وتدرج
في ذلك الى مطلع العصر الحديث وأسباب النهضة الحديثة وتناجها وأعظم اعلامها في النثر
والشعر والصحافة . ولما كان الكتاب مدرسياً فقد عني الأستاذ بجعل مباحثه واضحة
المعاني حسنة التبويب والترتيب وساعده في ذلك رشاقة أسلوبه العصري السليم فجاء كتابه
خير رفيق للطلاب في المنهج الأدبي المقرر

يوييل لسان الحال

لسان الحال جريدة يومية سياسية تصدر في بيروت انشأها فيها المرحوم خليل سركيس
والد صاحبها الحالي الأستاذ رامن سركيس سنة ١٨٧٧ واحتفي بيوييها الذهبي في ١٧
دسمبر سنة ١٩٢٧ فنبأرى الكتاب والشعراء والصحافيون في الثناء على لسان الحال
والحطة الزهية التي جرى عليها منشؤه والخدمة الجليلة التي اداها منشئه للطباعة العربية
والصحافة العربية . وقد جمعت اقوالهم في كتاب يضم ٣٤٦ صفحة من قطع المقتطف
جاءت كل صفحة منها شاهداً بأن الفضل يعرفه ذووه وما قاله الأستاذ وديع عقل
اجرى البيان على اللسان فما جرى الا بذائب عسجد ولا لي
يرمي بجحته فتصدع شرة البا غي وتصفع وجنة الخطال
متحافياً عكّر المناهل شارعاً شرعاته في المورد العسال
متصلاً للحق غير مصانع متعصباً للصدق غير مبال
فهنئ لسان وصاحبه ومنشئي وزجو لهم اطراد النجاح في عملهم

مذكرات لورد غراي

وتبعة الحرب العالمية

المذكرات للورد غراي وزير خارجية بريطانيا ووكيلها البرلماني من سنة ١٨٩٢ الى ١٩١٦ نقلها الى العربية الاستاذ علي احمد شكري محرر السياسة الخارجية في جريدة الاتحاد — صفحاته ٣١٦ — مزدان بصور كثيرة — له مقدمة في ١٧٦ صفحة وضعها المترجم في مقدمات الحرب الكبرى

طغت بعد الحرب الكبرى كتب المذكرات فكل سياسي وكل قائد وكل صحافي وكل متصل باحد هؤلاء وضع كتاباً قال انه يشتمل على مذكراته عن الحرب الكبرى. وبعض هذه المذكرات لاقية له من الوجهة التاريخية على الاطلاق. اما المذكرات التي كتبها رجال كانوا بانفسهم يدبرون شؤون الامم ويوجهون الحوادث — كتشرشل وپوانكاري وهوس وغيرهم — فلا مندوحة عنها لكتاب التاريخ في المستقبل. لانها مع الوثائق الرسمية التي نشرتها الحكومات او حفظتها مطوية في خزائنها هي اعظم المصادر التي يرجع اليها المؤرخون لاستقاء الحقائق فيعارضون بعضها ببعض ويوازنون بينها ويخلصون من ذلك الى ترجيح رأي على رأي وحكم على آخر. وفي المقام الاول بين الذين كتبوا عن الحرب الكبرى ومقدماتها يجب ان نضع لورد غراي اوف فالودن. فقد قضى في وزارة الخارجية البريطانية خمساً وعشرين سنة ويده على النبض السياسي الاوربي يدسه دس خبير بالامور مطلع على اصولها وخفاياها. لذلك جاءت مذكراته كما ينتظر من امته الكتب التي كتبت في هذه الناحية من الموضوع. وفاقت غيرها بازان الحكم وضبط العاطفة والامانة في تأدية الحقائق

فالنقاد السياسيون مثلاً يحسبون الكتب التي وضعها المستر تشرشل في طبقة ما كتبه ما كولي اذا اعتبرنا براعة الاسلوب وحسن البيان ولكنهم ينعون عليه انه غير مدقق في سرد الحقائق وان غرضه من كتبه تسوينج الخطة التي جرى عليها لما كان متقدماً وزارة البحرية في انكلترا في مطلع الحرب. لذلك كان يسرد الحقائق التي تؤيده في كثير من الاحيان متعامياً عن غيرها. اما لورد غراي فاكزامة في وصف الحال واشد دقة في سرد الحقائق واكثر ضبطاً للعاطفة حين معالجة رأي يختلف مع رأيه او نقد خصم من خصومه السياسيين

لذلك نرى ان الاستاذ علي احمد شكري قد احسن صنعاً بنقله مذكرات لورد غراي وعسى ان لا يتأخر في اصدار الاجزاء التي تلي هذا الجزء وان يتبعه بغيره من امهات المذكرات السياسية الحديثة لان في الخزنة العربية نقصاً معيماً في هذا النوع من التاريخ السياسي

اصول النفس واسرار العقل الباطن

يحتوي على طائفة من المباحث هي من احدث ما كتب في هذا العلم موجزة السياق سهلة العبارة ومن فصوله الغريزة والنوم والتعب والاحلام والعادة وتأثير العقل في الجسم والجسم في العقل والارادة والذاكرة والتخيل والايحاء للنفس (اي الاستهواء) نقلها ولخصها عما كتبه كبار المشتغلين بهذه المباحث الفلسفية السيكولوجية يوسف افندي اسكندر جريس والكتاب يقع في ١٦٤ صفحة من القطع الصغير وثمنه ١٥ غرشاً

فوست

يحسب غوته بحق آخر العقول العالمية التي استطاعت ان تتخذ كل افعال البشر وفروع معرفتهم ميداناً لها فتبرز فيه . لان حياته وموته كانا على عتبة عصر اتسع فيه نطاق المعرفة اتساعاً جعل الاحاطة بفروعها امراً متعذراً على عقل بشري . اما مقام غوته كشاعر فقد تقلبت عليه الاحوال من اهمال عند ابناء المدرسة « الالمانية الحديثة » الى احياء العناية العظيمة به والاعجاب الشديد بنبوغه في آخر القرن التاسع عشر . اما انه كان ولا يزال اعظم شاعر احدث المانيا فلا يختلف فيه اثنان . فترجمة « فوست » وهي آية آياته في الشعر والادب الى اللغة العربية حادث عظيم يجب ان يهنأ به المترجم الاستاذ محمد عوض محمد الاستاذ المساعد بكلية الاداب في الجامعة المصرية

« وفوست » رواية تمثيلية اشخاصها ليسوا من البشر بل من عالم خيالي . بطلمها فوست عالم مفكر شديد التعطش الى ادراك ما لا يدرك يحاول بالعلم ان يطلع على اسرار الوجود فيرتد خائباً شديد التشاؤم ويشتد ذلك به حتى يصبح فريسة الشك والجحود ويرمز الى هذه الروح بالشیطان مفستوفيلس وكاد ينتحر ولكن الروح تترأى له فتقول ما لك وللعلم والفلسفة كل ذلك باطل لاخير فيه تعال اتبعني فاخوض معك غمرات الحياة تبلو مررها وحلواها فيقبل فيتخبط في عالم الشهوات اولاً ثم يخوض الحياة السياسية لتأدية خدمة عامة ثم ينقلب داعية للفن اليوناني ولكن مفستوفيلس لا يزال قرينه يدفعه على التحول والتقل حتى يبلغ المائة فلا يرى امامه الا القبر فيقف امامه ولسان حاله يقول « لا يستحق الحياة او الحرية الا من يسعى ابدآ في الحصول عليها » . وقد كانت حياة غوته ابلغ مثل على هذا القول . حتى لقد قالت الانسكلوبيديا البريطانية . « ان آيته الخالدة هي حياته »

اما لغة الترجمة في الرواية فتجمع بين سهولة التعبير وبلاغته وقد قابلنا بعض عباراتها على ما يوازيها في « الترجمة » الانكليزية فوجدنا الترجمة دقيقة فاذا كانت كلها كذلك كان ترجمة فوست الى العربية من اهم الآثار الادبية التي ظهرت هذه السنة

الاعلام

لؤفه خير الدين الزركلي — الجزء الثالث صفحاته ٣٨٠ صفحة قطع المقتطف — طبع بالمطبعة العربية بالمواسي
اشرنا الى هذا المؤلف النفيس الذي لا يستغني عنه كاتب عربي ولا مشغل بالصحافة
العربية حين صدور جزئيه الاولين ووصفنا الباعث الذي حمل مؤلفه البارع على تكبد
صنوف المشاق في جمع مواد من مختلف المظان العربية جمع محقق وأبنا الطريقة التي
جرى عليها في الجمع والتأليف والاسناد . واقتبسنا منه قطعة لبيان ذلك . وقد اتم مؤلفه
هذا بنشر الجزء الثالث منه . ويليه المستدرك الذي يشتمل على تراجم فاته ذكرها
قلنا ان الكاتب العربي سواء كان صحافياً او اديباً لا يستغني عن هذا المؤلف لانه
قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر
الحالي . وكل ترجمة على ايجازها تشتمل على اهم الحقائق التي ترام معرفتها عن المترجم مع تاريخ
ميلاده ووفاته بالسنين المسيحية والمهجريه وذلك نقلاً عن اوثق المصادر العربية . فهنيئاً
المؤلف « بقاموسه » الذي يسد فراغاً كبيراً في الخزانة العربية لا يدركه الا من يعاينه
حين التفتيش في وفيات الاعيان او طبقات السبكي او تذكرة الحفاظ او طبقات الاطباء
او تحفة الاعيان او غيرها من المطبوعات المطبوعة او المخطوطة

قيارة الشباب

مجموعة قصائد ومقالات — عربية وانكليزية — بقلم الأديب بدري سليم فركوح
طبع بالمطبعة السورية التجارية بنيويورك لصاحبها سلوم مكرزل طبعاً متقناً

قال الشاعر في وصف « قيارته » : « قيارة الشباب هي نجمات الروح وهنمة
النفس . هي رؤى وأحلام هي خواطر ومعتقدات . هي مزيج من عواطف القوة
واحساسات نشأت في ذلك الدور الجميل » . وكذلك هي فالأخيلة في القصائد العربية
والافرنجية أخيلة شاب يتدفق دم الحياة في عروقه . ولكن اسلوبه العربي لا يزال في
حاجة كبيرة الى الاستقرار والصلق حتى يتسق مع المعروف عن مقاييس الاسلوب العربي
المدرسي (Classic) لا تنا من الذين يقولون ان الشعر العربي لا يقوم الا باثنين مجتمعين
المعاني او الصور الشعرية من جهة والاسلوب من جهة اخرى . فلا الاسلوب خالياً من
المعنى او الصور الشعرية الجميلة يكفي ولا المعاني العالية والصور الجميلة في ثوب خلق من الألفاظ
اما اسلوب المؤلف النثري فيفضل اسلوبه الشعري متانة بناءً وجزالة الفاظ رغم ماتقع
عليه من هنات لغوية كاستعماله « الأوائل » وهو يقصد « الآلات » و « البواصر »
وهو يقصد « الأبصار » اما معانيه فتتم على سعة اطلاع على الصحافة الافرنجية

وأما أسلوبه في الشعر الانكليزي فحسن ومن ابداع مقاطيعه قوله في وصف شلالات نياغرا
« في قاعك العميق الخدد مدفونة اسرار الزمان المقدسة وفي شلالك الهدار تدوي نغبات
المصور المستفزة (للشعور) »

جمال المرأة في القصيدة اليتيمة

عني الاستاذ محمود ابو الوفا الاديب المعروف بشرع المفردات اللغوية في القصيدة اليتيمة التي مطاعها
هل بالطلول لسائل رد ام هل لها بتكلم عهد

وهي على ما قال الأستاذ الهامي في ديباجته الموجزة « القصيدة الوحيدة في شعر
العرب التي تناولت جميع اعضاء المرأة وصفاً . فلو انك قدمتها الى مصور فطلبت اليه
ان يلون لك هذه الصفات كما رسمها ذوق الشاعر لرأيت صورة المرأة التي لو رآها ابناء
القرن العشرين لقلدوها اكليل ملكة الجمال » . وحبذا الحال لو عهد الاستاذ ابو الوفا
الى احد اصحاب المطابع الشهيرة بطبعها طبعاً متقناً يتفق مع مكانة القصيدة وشرحها

العاصفة

امامنا ترجمتان « للعاصفة » احدها للآستاذ يوسف اسكندر جريس والثانية
للآستاذ محمد عبد العزيز امين . اما الترجمة الاولى فقد عني صاحبها بجعل كل صفحة منها
في عمودين عمود يحتوي على الاصل الانكليزي والعمود الذي يقابله على الترجمة العربية .
وهي مطبوعة طبعاً حسناً بمطبعة المقطم . اما الثانية فخالية من الاصل الانكليزي ومطبوعة
على ورق سخيف طبعاً غير نظيف . فاذا كان القصد من عدم العناية بطبعها طبعاً جيداً
ترخيص ثمنها فهذا امتهان لحقوق شكسبير ومكانته في عقول المتأدين . وهنا لا بدّ يسألنا
القارئ رأينا في الترجمة الحرفية والمعنوية . فنحن نرى ان الترجمة الحرفية التي تحتفظ
بأصل اللغة العربية وروحها هي الطريقة الوحيدة لترجمة شكسبير وغير شكسبير من كبار
الشعراء الغربيين ولا طريقة غيرها على ما بسطه الاستاذ اسماعيل مظهر في هذا الجزء

طبعة جديدة للمصحف الشريف

كانت الحكومة المصرية والهيئات الدينية والمدارس الحرة تستورد لتلاميذ مدارسها
الختلفة نسخاً عديدة من المصحف الشريف من طبعات يقدمها الموردون مما هو مطبوع
في الخارج . غير ان معظم هذه الطبعات كان لا يخلو من احطاء جوهرية فيه . حتى
لجأت الحكومة غير مرة الى اعدام النسخ التي ظهر فيها الخطا فحمل كل ذلك الحكومة
المصرية على التصميم على طبع مصحف شريف صحيح طبقاً للرسم العثماني وفعلاً بدأ التفكير
والدرس حوالي سنة ١٩٠٧ وتولت المطبعة الاميرية العمل فجمعت الصحائف وراجعتها

هيئة من مصححيها العالمين بالاصول الدينية وبعد ذلك تولت مشيخة الازهر الشريف المراجعة الدقيقة فاحالتها على شيخ المقارىء . وكلفت مصلحة المساحة القيام بعملية الطبع بطريقة المعروفة « اوفست » فقامت بها على اتم وجه وأوفاه

وقد ظهرت حتى الآن نسخ طبعيتين من هذا المصحف تحاطفها الايدي في كل البلدان الاسلامية . وظهرت الآن الطبعة الثالثة على ورق جيد مجلدة تجليداً متيناً وأودعت نسخها في قلم نشر المطبوعات بوزارة المالية وثمن النسخة عشرة غروش صاغ وهي قيمة نفقات الطبع فقط

مصارع الخلفاء

مشاهد رائعة من التاريخ — نقلها الاستاذ كامل كيلاني — ١٤٠ صفحة من الحجم المتوسط — نشرها مكتبة الوفد لصاحبها محمد محمود بشارع الفلكي بباب اللوق بمصر ثمن النسخة ٥ غروش هو أول كتاب طبع في هذا الباب جمع بين دقتيه مصير الخلفاء من عهد الفاروق الى المعتز بالله . وإن في الكلام على مصارعهم لاثارة من تاريخهم وماسى وعبراً كان كل منهم المبتدأ ومصرعه الخبر . وتاريخ الاسلام يمثل في تواريخهم اكثر مما يمثل في شيوخهم وتاريخنا الحاضر يمثل في شعوبنا أكثر مما يمثل في ملوكنا . ولا غرو اذا كان خلفاء الاسلام ابقي على الايام من الايام . وقل ان نظفر بتفصيلات مصارعهم مجموعة في غير هذه المجموعة وقد يصور التاريخ أحوال اولئك العادلين من الخلفاء المسلمين أحسن تصوير كما يصور أحوال الظالمين الماجنين اقبح تصوير فأنم لهم على ظلمهم ومجونهم اذا اعتامهم القدر بالقتل والتمثيل كان شناعة موتهم أنستنا شناعة أعمالهم ولا غرو اذا استحرق القتل في اواخر الخلفاء الاسلاميين من الأمويين والعباسيين . وكأنني انظر الى دماءهم تترقق بين ثيابهم وتسيل على عروشهم فلا يرثي لهم أحد . فاذا اعيادهم ماتم واذا افراحهم اتراح واذا مجالس لهموم مجالس نعيم واذا هم عادوا كما بدءوا . فناء ثم فناء كما قال المعري

حياة كجسر بين موتين أول وثان وفقد الشخص ان يعبر الجسر
وكما قال الفرد دى فيه « ما الحياة الا جسر بين فناءين »

وأعجب ما عجبت له ان الدنيا نثرهم في التراب ونظمتهم أنت أيها الاستاذ في كتاب وأن عصورهم تباينت ومصارعهم تباعدت فألفت بين المتباينات ، وقاربت بين المتباعدات في صفحات ، بأسلس عبارة وأوضح إشارة ، ومهدت للقراء سبيل الاتقاع ، بهذا الابداع تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائحات المعاني

وقد تخيرت من الروايات التاريخية المضطربة ما صح لك وراق وجاد لفظه وشاق . وانتظم عقده ووضح نقده وفرحى مرحى . فبأنت حيال التاريخ الا زاوية . وحيال المؤرخين الا رسول وما على الرسول الا البلاغ ؟
عبد الرحيم محمود

بَابُ الْاِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

في وقت واحد من غير ان يشوش احدهما ما يذيعه الآخر . ولكن هذا العمل ليس الا خطوة واحدة على طريق غايتها وضع نظام عام من هذا القليل يشمل كل الامم والبلدان

من المعروف لدى العلماء ان الف نوع من الامواج اللاسلكية يستطيع استخدامه للاذاعة . وقد تقاسمت المحاط التي انشئت حتى الان نصف هذا العدد فيما بينها ولا بد ان يعاد النظر في هذا الاقسام قبلما يوضع نظام دولي شامل

ولا تتقضي عشر سنوات حتى تكون الاذاعة اللاسلكية قد اصبحت فنا من الفنون الجميلة ويكون المهندسون قد نفذوا الى اسرار الاذاعة والاستقبال واتقنوا وسائلهما حتى ليستطيعوا ان يخلقوا في مخيلة المستمع وهم قريب من المغني او الموسيقي او الخطيب او المحدث مهما تكن محطة الاذاعة بعيدة عنه . وبقضهم على اعنة هذا الفن الجديد يحون الفواصل الجغرافية فيستطيع المستمع المصري او الايطالي ان يدوزن آله ويصغي الى اية محطة من محطات الاذاعة الدولية سواء كانت من كندا

الاذاعة اللاسلكية بعد عشر سنوات كل الذين راقبوا ارتقاء الفنون اللاسلكية في السنوات الثمان المنصرمة ادركوا خلوه من الخطاة المحدودة والانتظام . فكانت المحاط اللاسلكية تنشأ هنا وهناك بين ليلة ونحاهما كأنها بزور ذرتها الرياح على وجه الأرض . فارسات جذورها في الارض وفروعها في السماء . وحاول اصحاب هذه المحاط اللاسلكية ان يقدموا للجماهير اللاسلكي ما يسره ويساهيه وكانوا يسددون نفقاتهم مما يذيعونه من الاعلانات لأصحابها

فنشأ عن ذلك فوضى في الاثير مصدرها الاضطراب الحاصل من اعتراض الامواج اللاسلكية بعضها بعضاً في الاثير . اذ لا يخفى على قراء المقتطف ان الامواج اللاسلكية المذاعة من محطين متجاورين تتعارض وتشوش اذا نقص الفرق بينهما في الطول عن مقدار معين . وبلغت الفوضى معظمها في اميركا لكثرة المحاط التي انشئت فيها فقبضت الحكومة على زمام الامر ووزعت على المحاط اطوالاً معينة للامواج اللاسلكية التي تذيع بها فصار في الامكان الان ان يذيع محطان متجاوران الاغاني والموسيقى

دسمبر

او استر

الاضطر

اضطراب

وم

ويصبح

الفنون

الموسيقى

ان نصغر

الخفيفة

الموسيقى

الاحياء

ان تتخذ

الذي تدير

مثلا بالمو

وتختص

السمفوني

ومحطة

لتحسين

الاجواء

يدرون

وم

في السن

عالمية

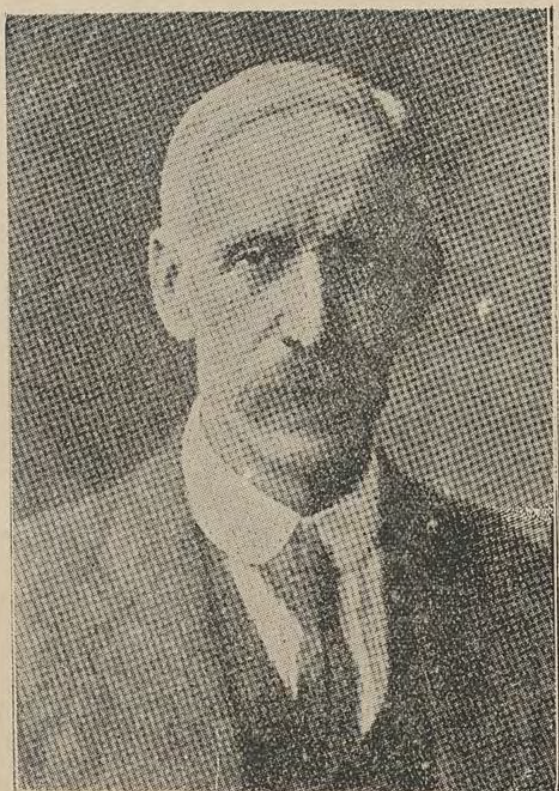
غرينتش

الحلية

الطول

اللاسلكي

لأن الح



السردريك جولد هيكز
زعيم الباحثين في مسائل الفيتامين واحد نائلي جائزة
نوبل الطبية في سنة ١٩٢٩

البلدان قليلة . ولا ريب في ان انشاء محطات للتلفزة المحلية يكون موضع عناية المهتمين بذلك . ولا بد كذلك من نشوء فن جديد يدعى السينما السليكية « التليسينا » اي اذاعة الصور السينمائية بأسلاك كاسلاك التلفون . واتقان هذا الفن اسهل جداً من اتقان التلفزة

توزيع جوائز نوبل

جائزة الاداب

فاز بجائزة الاداب لسنة ١٩٢٩ توماس مان وهو روائي الماني لم يشتهر بعد خارج المانيا شهرة بعض الكتاب الالمان المحدثين الذين وضعوا روايات عن الحرب زاد ما بيع من احدها على مليون نسخة ونصف مليون من النسخ ولكن النقاد العارفين في المانيا واخراجها يعترفون بان (مان) اعظم روائي المانيا المعاصرين كتب منذ ٢٨ سنة رواية موضوعها «بودن بروكس» بدت فيها دلائل النضوج العقلي والفني مع انه كان لا يزال حينئذ في مقتبل الشباب — في السادسة والعشرين — قطعت خمسين طبعة في عقد واحد . وبلغ من حب الالمان له واحترامهم اياه انهم احتفلوا ببلوغه الخمسين في كل انحاء البلاد . ومن رواياته الحديثة رواية «الحبل السحري» تميد الى الدهر . روايات بلزاك لاتساع موضوعها والنقاد الذين اطلعوا عليها وخصوصاً الذين يميلون الى الفلسفة يحسبون انها من اعظم الروايات التي كتبت في هذا العصر

او استراليا او اليابان . ويقضون على اسباب الاضطراب والتشويش التي تنشأ الآن من اضطراب الجو وعصف العواصف ولمع البروق ومتى فعلوا كل ذلك يصفوا الاثير ويصبح وسطاً نقياً لاذاعة اعظم منتجات الفنون البشرية . وأول هذه المنتجات الموسيقى لغة العواطف الدولية . فنستطيع ان نصغي الى الاوبرات الكبيرة والاوبرات الخفيفة والسمفونيات والاغاني وأنواع الموسيقى الأخرى كما يخرجها اكبر الموسيقيين الاحياء في اعظم دور الموسيقى في العالم . ولا بد ان تتخصص المحطات المختلفة بنوع الموسيقى الذي تذيعه . فتخصص محطة دافنيري الانكليزية مثلاً بالموسيقى والاغاني الطريفة (فودفيل) وتخصص محطة استوكهولم مثلاً باذاعة الموسيقى السمفونية وكونيجسبرج بموسيقى الرقص ومحطة ميلانو بالاورا . وهذا يمهّد السبيل لتمرين جوق اورا عالمي يتفوق على كل الاجواق المعروفة الآن لان مديره يدرون ان العالم بأسره يصغي اليهم ومن الامور الخطيرة التي ينتظر تحقيقها في السنوات العشر القادمة انشاء ساعة عالمية . فيرسل من محطة خاصة متصلة بمركز غرينتش بيان منتظم للوقت فتضبط الساعات المحلية بموجبه بحساب الفرق في خطوط الطول . والمرجح ان اصحاب الاذاعة اللاسلكية العامة لا يعنون شديداً بالعناية بالتلفزة لأن الحوادث التي تهم جمهور الناس في كل

جائزة الطب

وقسمت جائزة الطب بين السر فردريك
جولند هبكنز الانكليزي مكتشف الفيتامين
والدكتور ايجكان احدا ساذة جامعة آرخت
لمباحته البارعة في مرض البريبري

اما مباحث السر جولند هبكنز في
الكشف عن الفيتامين فمعروفة لدى قراء
المقتطف وقد بسطناها بسطاً وافياً في مقالة
« اين نحن في مسائل الفيتامين » في جزء
فبراير الماضي صفحة ١٤٦ وهو الان استاذ
الكيمياء الحيوية بجامعة كمبردج. واما الدكتور
ايجكان فكان اول من ادرك ان البريبري
داء ينشأ عن الاعتماد على الارز المقشور
في التغذية وقد بنى رأيه هذا على ما شاهده
في الدواجن . ذلك انه رأى الدواجن في
سجن بجاي حيث كان طبيياً تصاب باعراض
البريبري ولاحظ انها تتغذى بنفاية الارز
المقشور فارتأى ان المرض صلة وثيقة
بالتغذية . كان ذلك سنة ١٨٩٧ اي نحو ١٥
سنة قبل اكتشاف المواد الفيتامينية . ومع
ان تعامله العلمي لهذه الصلة لم يصب كبد
الحقيقة حينئذ مهدت مباحثه السبيل لامتحان
ما يقال عن فيتامين (ب) المقاوم للبريبري
فكان في هذه المباحث من الرواد

جائزتا الطبيعيات

ومنحت جائزة الطبيعيات عن سنة ١٩٢٨
التي تأخر منحها للاستاذ رتشر دصن مدير
فرع العلوم الطبيعية في كلية الملك بلندن
لكشفه عن ناموس يتناول حركة الكهارب

المنبعثة من الاجسام الشديدة الحرارة . ولد
الاستاذ رتشر دصن سنة ١٨٨١ وتلقى العلوم
في كلية درهام العلمية وكلية الملك بلندن ثم
انتظم في جامعة كمبردج وتفوق في العلوم
الطبيعية . ثم تنقل في معامل البحث الطبيعي
بانكلترا وانتظم في الجمعيات العلمية المختلفة وسنة
١٩٢١ عين مديراً لقسم الطبيعيات في كلية
المعلمين العليا ثم مديراً لهذا القسم في كلية
الملك بلندن

ومنحت جائزة الطبيعيات عن سنة ١٩٢٩
للعالم الفرنسي الشاب الدوق ديه برولي لمباحثه
الرياضية الدقيقة في الكهارب المتوجة .
وقد اشرنا الى مباحثه هذه في مقالة لنا نشرناها
في مقتطف ابريل الماضي صفحة ٣٦٩ و ٣٧٠
جائزة الكيمياء

وقسمت جائزة الكيمياء عن سنة ١٩٢٩
بين الاستاذ ارثر هاردن استاذ الكيمياء
الحيوية في جامعة لندن والاستاذ فون ايلر
من اساذة جامعة استوكهلم

ولد الاستاذ هاردن في منشستر سنة
١٨٦٥ وتلقى علومه العالية في كلية اوكسفورد
ثم بجامعة ارلنغن ثم درس في كلية اوكسفورد
واتتخب عضواً في الجمعية الملكية سنة ١٩٠٩
وهو الآن مدير قسم الكيمياء الحيوية في
معهد لستر بلندن واستاذها في جامعة لندن

اثر جديد للانسان القديم

في الاجتماع السنوي الذي عقدته الجمعية
الجيولوجية الصينية في بكين في ١٤ فبراير

الماضي
وصف في
عليها في
متغلغل
كانسان
بليدون
هو « سينان »
انسان ح
ايا نثروبو
وال
مقام خط
القديم وي
مع الكش
وانسان
ان هؤلاء
في اما ك
احدها
واحد
بسرعة
فيها هذه
لان المواد
متجاوزة
وسويسر
الحيولوج
الطبقات

(١)
مقالتنا الم
مقتطف
« اصل ال

الماضي التي الاستاذ دافدنس بلاك خطبة وصف فيها سلسلة الآثار المتحجرة التي عثر عليها في جوار باكين . ومنها آثار انسان قديم متغلغل في القدم دعاه « انسان باكين » كانسان جاوى وانسان هيدلبرج وانسان بلتدون وهكذا . والاسم العلمي الذي اطلقه عليه هو « سينانثروپوس باكينسيس » كما دعى قبله انسان جاوى يشكانثروپوس وانسان بلتدون ايا نثروپوس

والكشف عن آثار انسان باكين له مقام خطير في دوائر العلماء بآثار الانسان القديم ويحسبونه في مقام واحد من الخطورة مع الكشف عن انسان جاوى سنة ١٨٩١ وانسان بلتدون سنة ١٩١٢ ^(١) والظاهر ان هؤلاء الرجال الثلاثة الذين وجدت آثارهم في اما كن متفرقة على سطح الارض يبعد احدها عن الآخر بعداً شاسعاً كان في عصر واحد . نعم يتعذر على العلماء الآن ان يوازنوا بسرعة بين الطبقات الجيولوجية التي وجدت فيها هذه الآثار المتحجرة في البلدان المختلفة . لان الموازنة بين الطبقات الجيولوجية في بلادين متجاورتين كفرنسا واطاليا وشمال ايطاليا وسويسرا وجنوب المانيا امر سهل على الجيولوجي ولكن يتعذر عليه ان يوازن بين الطبقات الجيولوجية في شرق اميركا وغرب

(١) لا بد في فهم هذه النبذة من الرجوع الى مقالنا المسببة في هذا الموضوع التي نشرناها في مقتطف بونيو الماضي صفحة ٢٥ وموضوعها « اصل الانسان ومنشؤه »

افريقية . والاما كن التي عثر فيها على اثار الانسان القديم احدها في انكلترا وآخر في جاوى والثالث في الصين على ان الامر الذي لا ريب فيه هو ان المتحجرات التي وجدت مع آثار الانسان المذكور من مميزات عصر البليستوسين في مفتحة وقد يرجع تاريخها الى نحو مليون سنة . ومما يقال في تاريخ هذه الآثار يرجع لدى العلماء على ما يقوله الاستاذ اليوت سمث ان جنس الانسان الذي يمثله انسان جاوى وانسان بلتدون وانسان باكين هو اقدم الاجناس البشرية ولا يستثنى منها الجنس الذي يمثله انسان هيدلبرج او انسان روديسيا او انسان نيندرتال

لقاح واق من السل

اخذ الدكتور كالت والدكتور جاران الفرنسيان باشلس التدرن الرئوي (السل) وازدرعاه ازدرعاً متوالياً في الصفراء وهي مفرز المرارة حتى تولد عندهما باشلس اذ حقن به الانسان لا يحدث المرض ولكنه يمنح الجسم قوة ومناعة ضد السل وحضروا من هذا الباشلس لقاحاً ووزعاه على طائفة من الاطباء للتوسع في امتحانه في الناس والحيوانات وقد اسفرت امتحانات الاستاذ كالتاسوزن الطبيب ببخارست عاصمة رومانيا التي استمرت ثلاث سنوات متوالية عن نجاح تام . ذلك ان الاستاذ المذكور لقح نحو ١٨ الف شخص

به فظهرت فوائده فيهم كلهم . ومن هؤلاء نحو الف طفل يعيشون في بيئة تساعد على انتشار السل ولكن واحداً من الاطفال الذين طعموا به لم يصابوا بالسل . وقد ثبت من تجارب اطباء آخرين ان هذا التطعيم يمنح الجسم مناعة الى حد ما ضد الاصابة بياسلوس التدرن الفعال

خزانة السير اسحق نيوتن

في مجلة التاريخ الجاري ان جانباً كبيراً من خزانة نيوتن معروض للبيع في انكلترا الآن . وقد ظل امر هذه الخزانة سرّاً حتى كشف عنها الكولونل ده فيلامل حديثاً فقد كان من الامور التي لا تقبل النزاع ان خزانة نيوتن كانت تحتوي على طائفة كبيرة من الكتب النفيسة . ولكن كتب السير التي كتبت عن نيوتن لم تشر اليها مطلقاً . وقد ظل الباحثون يعتقدون ان خزانة نيوتن قد زالت او تلفت حتى سنة ١٩٢٠ ففي تلك السنة بيع بيت قديم في « تيم بارك » باكسفرديشير بالمزاد وكان صاحبه المستر ويكهام مسغريش يملك بيتاً آخر في مقاطعة اخرى فارسل يوم المزداد طائفة من الكتب الكبيرة من بيته الثاني الى البيت الاول لتباع مع اثائه فيبيعت كلها بارخص الاثمان مع ان بعضها كان ممهوراً بتوقيع اسحق نيوتن هكذا « Is. Newton » . ولما يلبث بعض المشتريين ان وجدوا في حيازتهم كتباً خاصة بخزانة نيوتن فبيع بعض هذه الكتب في لندن في

حل رجل يتجر بالكتب العلمية القديمة . وبعض المشتريين كانوا اميركيين فدفعوا مبالغ عالية ثمناً لبعض النسخ فمسخة اقليدس التي كان نيوتن يستعملها في المدرسة بيعت بستائة جنيه ولما احتفل العالم العلمي بانقضاء ثلاثمائة سنة على ميلاد نيوتن كتب الكولونل ده فيلاميل مقالة في مجلة « البوكان » عنوانها « مأساة خزانة نيوتن » فدعا على اثرها المستر ويكهام مسغريش الى زيارته في بيته فزاره فوجد فيه ٨٦٠ كتاباً من مجموعة كانت تحتوي على ١٨٩٦ كتاباً مصفوفة في خزائن لم يعلم صاحبها بها قبلاً والا كانت كل هذه المجلدات بيعت كما يبيع غيرها سنة ١٩٢٠ ومن ذلك الحين اخذ الكولونل ده فيلاميل يعني بوضع تاريخ لخزانة نيوتن ويؤخذ منه انها بيعت بعد موت نيوتن الى جاره وهذا اعطاها الى ابنه في بلد آخر وبعد موت هذا ابتاعها الدكتور مسغريش باربعمائة جنيه ثم انتقلت من الدكتور مسغريش الى ابنه . ولما كان اصحابها المتتابعون يلصقون على الكتب الاوراق الخاصة بهم تناسى الناس نيوتن وحفظت كتبه كلها كتب قديمة لا قيمة لها حتى كشف عنها سنة ١٩٢٦

الحكومة المصرية والفنون الجميلة

قررت مصلحة الفنون الجميلة في وزارة الداخلية اعتماد ١٦٧٠٠ جنيه مصري في الميزانية الجديدة لتعصيد الفنون الجميلة في مصر ثمانية آلاف جنيه منها للاوبرا الملكية والـ

الامواج اللاسلكية في الصخر

اثبت الدكتور ايف استاذ الطبيعيات في جامعة ماكجل الكندية ان الامواج اللاسلكية تستطيع ان تخترق ما سمكه ٣٠٠ قدم من الصخر الصلب كالصخر الجيري او الرملي. ذلك انه وجد ان الامواج اللاسلكية الطويلة تسمع في نفق طوله ثلاثة اميال ونصف ميل ولكن الامواج القصيرة التي يقل طولها عن اربعين متراً لا تسمع الا على مسافة بضعة مئات من الامتار من مدخل النفق. فلما تقرر عند هذه الحقيقة اراد هو وزملاؤه ان يعرفوا طريقة انتقال الامواج الى داخل النفق على طوله. فقال احدهم ان الصخور التي حفر فيها النفق تنقل الامواج. وقال آخر ان الامواج تدخل من مدخل النفق وتسير فيه وقال ثالث ان القضبان الحديدية تنقلها. وقال الاستاذ ايف ان الثلاثة تشترك في نقلها. لذلك اراد ان يعيد التجربة في نفق او كهف لا يحتوي على قضبان حديدية ويمكن سد مدخله فوجدوا في كهف «عموث» بولاية كنتكي خير مكان لاجراء هذه التجارب. ذلك ان مدخل الكهف طويل متعرج يمكن سده وفوق الكهف صخر رملي صلد علوه ٧٥ قدماً. فلما ادخلت الآلة اللاسلكية اللاقطة الى الكهف تمكن الباحثون من سماع الموسيقى المذاعة من محطات مختلفة في ولايات بعيدة

اصلاح خطأ

ورد في صفحة ٥٥٢ سطر ٢٥ مقالة تاريخ الغناء العربي «هذا العناق» والصواب «هذه العناق»

جنيه لجمعية محبي الفنون الجميلة و١٧٠٠ جنيه لنادي الموسيقى الشرقية والف جنيه لجمعيات فنية مختلفة وخمسة آلاف جنيه لتشجيع التمثيل العربي

الجمعية الملكية وجوائزها

اشرفت السنة على نهايتها واخذت الجمعيات العلمية توزع على الباحثين اوسمتها ومداياها في مكان آخر من هذا الباب ذكرنا الباحثين الذين وزعت عليهم جوائز نوبل. ومن الجمعيات العلمية التي ينتظر توزيع جوائزها بفارغ صبر الجمعية الملكية البريطانية اقدم الجمعيات العلمية في بريطانيا ومن اقدمها في اوربا. وقد اجتمع مجلسها وقرر ان يمنح المداية الملكية الاستاذ لتلود استاذ الرياضيات في جامعة كمبرج لمباحثه في التحليل الرياضي ونظرية الاعداد الفردية. ومداية ملكية اخرى للاستاذ ميور استاذ الباثولوجية في جامعة غلاسجو لمباحثه في «المناعة» ومداية كوبلي للدكتور ماكس بلانك الاستاذ بجامعة برلين لمباحثه في الطبيعيات النظرية بوجه عام ولاستنباط مذهب الكونم بوجه خاص. ومداية دايشي للاستاذ لوس من اساتذة جامعة كاليفورنيا لما كشفه في علم الحركة والحرارة (ثرموديناميكس) ومداية هيوز للاستاذ هاش جيجر من اساتذة جامعة كيل لاستنباط طرق لاحصاء ذرات الفا وبيتا المنطلقة من الراديوم

الجزء الخامس من المجلد الخامس والسبعين

صفحة	
٤٨٥	المجمع المصري للثقافة العالمية
٤٨٧	السرطان والاشعة الكونية
٤٩٢	الحضارة القديمة في العالم الجديد (مصورة)
٤٩٩	إلمامة تاريخية ساذجة بعصر ابى بكر الصديق . للدكتور احمد فريد رفاعى
٥٠٥	مركز الثقل الجديد فى العمران . لرئيس جامعة كولومبيا
٥٠٩	الرازي وعيده الالفى . للدكتور يوسف فرج حرير
٥١٧	تحوّل الآراء فى الاثير لشكري شماس افندي
٥٢٢	التجارة عند الامم القديمة . للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٥٣٠	موازنة بين الحيولوجيا والتاريخ
٥٣٣	شاعر فى طيارة . لفوزى معلوف افندي (مصورة)
٥٤١	نظرات نقدية فى ملحمة . للدكتور احمد زكى ابو شادي
٥٤٤	رجال العلم والعمل (مصورة)
٥٥٠	تاريخ الفناء العربى . للاستاذ عبد الرحيم محمود
٥٥٤	حلقة جديدة بين مصر وسوريا (مصورة)
٥٥٨	خمس فى سيارة . للاستاذ سامى الجريدينى
٥٦٣	فعل العضلات مفتاح سر الحياة
٥٦٥	بن المتنبى وابى فراس . لكامل كيلانى افندي
—++++—	
٥٧١	باب المراسلة والمناظرة * كيف ترجم شكسبير . رأى الاستاذ احمد الشايب ورأى اسماعيل مظهر بك
٥٧٦	باب الزراعة والاقتصاد * التعاون فى مصر . حزب الفلاح المصرى
٤٤٦	باب شؤون المرأة وتغيير المنزل * الطفل الناقه والعناية به (مصورة)
٥٨٦	مكتبة المقتطف
٥٠٠	باب الاخبار العلمية * وفيه ١١ نبذة (مصورة)